وقف هذا الكتاب الشريف لرضاة الله تعالى
العبد الفقير الراجي شاه محمد محمود بيك
تقبل الله منه

٨٥

وقف تربهٔ حضرت شيخ مراد قدس سره.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم • قال الفقيه القاضي
الإمام أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رضي الله عنه
الحمد لله المتفرد بآلائه الأسنى المختص بالملك الأعز الأحمى
الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى • الظاهر لا ضيلا
ووهما • الباطن تقدسا لا عدما • وسع كل شيء رحمة وعلما
واسبغ على أوليائه نعما غما • وبعث فيهم رسولا من أنفسهم
أنفسهم عزيزا وعمما • وأزكاهم محتدا ومنمى • وأرجحهم
عقلا وحلما • وأوفرهم علما وفهما • وأقواهم يقينا وعزما
وأشدهم بهم رأفة ورحمى • زكاه روحا وجسما
وحاشاه عيبا ووصما • وآتاه حكمة وحكما • وفتح
به أعينا عميا • وقلوبا غلفا وآذانا صما • فآمن به وعزره
ونصره • من جعل الله عز وجل له في مغنم السعادة
قسما • وكذب به وصدف عن آياته من كتب
الله عز وجل عليه الشقاء حتما • ومن كان في هذه
أعمى فهو في الآخرة أعمى • صلى الله تعالى عليه وسلم صلاة
تنمو وتنمى • وعلى آله وسلم تسليما أما بعد أشرق
الله قلبي وقلبك بأنوار اليقين • ولطف لي ولك بما

لطف به لأوليائه المتقين • الذين سر قلوبهم بنزل قدسه
وأوحشهم من الخليقة بأنسه • وخصهم من معرفته
ومشاهدة عجائب ملكوته وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم
حيرة • وولهت عقولهم في عظمته حيرة • فجعلوا همهم به
واحدا • ولم يروا في الدارين غيره مشاهدا • فهم بمشاهدة
كماله وجلاله يتنعمون • وبين آثار قدرته وعجائب عظمته
يتردد ون • وبالانقطاع إليه والتوكل عليه يتعززون
فهنيئا بصادق قوله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
فإنك كررت علي السؤال في مجموع يتضمن التعريف بقدر
المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجب له من توقير
وإكرام • وما حكم من لم يوقر وأجب عظيم ذلك
القدر • أو قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر • وإن جمع
لك ما لا سلف فيما وأجمعنا في ذلك من مقال • وأبينه بتنزيل صور
وأمثال • فاعلم أكرمك الله تعالى أنك حملتني من ذلك
أمرا إمرا • وأرهقتني فيما ندبتني إليه عسرا • وأرقيتني
بما كلفتني مرتقا صعبا مأوه قلبي وعبا • فإن الكلام
في ذلك يستدعي تقرير أصول • وتحرير فصول • والكشف
عن غوامض ودقائق من علم الحقائق مما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم
ويضاف إليه أو يمتنع أو يجوز عليه • ومعرفة النبي والرسول
والرسالة والنبوة والمحبة والخلة • وخصائص هذه الدرجة
العلية • وهاهنا مهامه فيح تحار فيها القطا • وتقصر بها
الخطا • ومجاهل تضل فيها الأحلام إن لم تقتد بعلم أسديه
ومداحض تزل بها الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله تعالى
وتأييد لكني لما رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من
نوال وثواب • بتعريف قدره الجسيم • وخطره العظيم • وبيان
خصائصه التي لم تجتمع قبل في مخلوق • وما أيد الله تعالى به
من حقه الذي هو أرفع الحقوق • ليستيقن الذين أوتوا الكتاب
ويزداد الذين آمنوا إيمانا • ولما أخذ الله تعالى على الذين أوتوا
الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه • ولما حدثنا به

أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله تعالى بقرائتي عليه
قال حدثنا الحسين بن محمد حدثنا أبو عمر النمري حدثنا أبو محمد
ابن عبد المؤمن حدثنا أبو بكر محمد بن بكر حدثنا سليمان بن الأشعث
حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء
عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم
فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمة فما أدرت إلى نكت
مسفرة عن وجه الغرض مودياً من ذلك الحق المفترض اختلستها
على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن والبال بما طوقه
من مقاليد النعمة التي ابتلى بها فكادت تشغل عن كل فرض
ونفل وترد بعد حسن التقويم إلى أسفل سفل ولو أراد الله تعالى
بالإنسان خيراً لجعل شغله وهمه كله فيما يحمد غداً أو يدم محله فليس
ثم سوى حضرة النعيم أو عذاب الجحيم ولكان عليه بحوبصنه
واستنقاذ مجنه وعمل صالح يستزيده وعلم نافع يفيده
أو يستفيده جبر الله صدع قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل
جميع استعدادنا لمعادنا وتوفر دواعينا فيما يحبنا ويقربنا
زلفى إليه تعالى ويحظينا بمنه ورحمته ولما نويت تقريبه ودرجت
تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت تفصيله وانتحيت حضرة
وتحصيله ترجمته بالشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم
وحصرت الكلام فيه في أربعة أقسام القسم الأول في تعظيم العلي
الأعلى لقدر هذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قولاً وفعلاً وتوجه
الكلام فيه في أربعة أبواب الباب الأول في ثنائه تعالى عليه
وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه عشرة فصول الباب الثاني في تكميله
تعالى له المحاسن خلقاً وخلقاً وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه تسعاً وفيه سبعة وعشرون فصلاً الباب الثالث
فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها بعظيم قدره عنده ومنزلته
وما خصه به في الدارين من كرامته وفيه اثنى عشر
فصلاً الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات
والمعجزات وشرف به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون
فصلاً القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام

ويترتب

ويترتب القول فيه في أربعة أبواب الباب الأول في فرض
الإيمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول
الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب
الثالث في تعظيم أمره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب
الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته وفيه عشرة
فصول القسم الثالث فيما يستحيل في حقه صلى الله تعالى عليه وسلم وما يجوز
عليه وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه وهذا القسم
أكرمك الله تعالى هو سر الكتاب وباب ثمرة هذه الأبواب وما
قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نريده فيه من النكت
البينات وهو الحاكم على ما بعده والمبرز من غرض هذا التأليف وعند
وعند التقصي لموعدته والتقصي عن عهدته ينشرح صدر العدو اللعين
ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ أنواره جوانح صدره ويقدر
أنا قل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في
بابين الباب الأول يختص بالأمور الدينية ويتشبث به القول في
العصمة وفيه ستة عشر فصلاً الباب الثاني في أحواله الدنيوية
وما يجوز طروه عليه من الأعراض البشرية وفيه تسعة فصول
القسم الرابع في تصرف وجوه الأحكام على من تنقصه أو سبه عليه
السلام ويتقسم الكلام فيه في بابين الباب الأول في بيان ما هو في
حقه سب ونقص من تعريض أو نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني
في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه وعقوبته وذكر استتابته
والصلاة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث
جعلناه تكملة لهذه المسألة ووصلة للبابين الذين قبله في
حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وصحبه واختصرنا الكلام فيه في خمسة فصول
وبتمامها يتحسن الكتاب وتتم الأقسام والأبواب ويلوح في غرة
الإيمان لمعة سنية وفي تاج التراجم درة خطيرة تنبح كل لبيس
وتوضح كل تخمين وحدس ويشفي صدور قوم مؤمنين ويصدع
بالحق ويعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا إله سواه
أستعين القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر المصطفى صلى الله

تعالى عليه وسلم قولا وفعلا. قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رحمه
الله تعالى لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم
بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه السلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن
ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه
الالسنة والاقلام **فمنها** ما صرح تعالى في كتابه ونبه به
على جليل قدر نبيه واثنى به عليه من اخلاقه واداب وحض العباد
على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم
طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله
الفضل بدءا وعودا وله الحمد اولى واخرى **ومنها** ما ابرزه للعيان من
خلقه على اتم وجه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة والاخلاق
الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده بالمعجزات الباهرة
والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها من عاصره و
راءها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى
علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله تعالى عليه
وسلم كثيرا حدثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين ابن
محمد الحافظ رحمه الله تعالى قراءة مني عليه قال حدثنا ابو الحسين
المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد بن خيرون قالا حدثنا ابو
يعلى البغدادي ثنا ابو علي التستري ثنا محمد بن احمد بن محبوب ثنا ابو عيسى
سورة الحافظ قال ثنا اسحق بن منصور ثنا عبد الرزاق انا معمر عن
قتادة عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اتي
بالبراق ليلة اسري به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل
ايمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله تعالى منه قال
فارفض عرقا **الباب الاول** في ثناء الله تعالى عليه واظهاره
عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب الله العزيز ايات كثيرة مفصحة
بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وعد محاسنه و
تعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها على ما ظهر معناه وبان
فحواه وجعلنا ذلك في عشرة فصول **الفصل الاول** فيما جاء من ذلك
مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى لقد جاءكم رسول
من انفسكم الاية قال السمرقندي وقرأ بعضهم من انفسكم بفتح

الفاء

الفاء وقرأ الجمهور بالضم قال القاضي الامام ابو الفضل
وفقه الله تعالى اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل مكة
او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب
انه بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويحققون مكانه
ويعلمون صدقه وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة
لهم لكونه منهم وانه لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة او قرابة وهو عند ابن عباس
وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى وكونه من انفسهم واتمهم
وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية المدح ثم وصفه بعد ما وصفه
حميده واثنى عليه بمحامد كثيرة من حرصه على هداية قومه ورشدهم
واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضر بهم في دنياهم واخراهم
وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم اعطاه
اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الاية الاخرى
لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم الاية
وفي الاية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الاية وقوله
كما ارسلنا فيكم رسولا منكم **وروي** عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه عليه السلام في قوله تعالى من انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا
ليس في آبائي من لدن آدم سفاح كلها نكاح وقال ابن الكلبي
كتب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نسبه ايام فما وجدت فيهن سفاحا
ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية ومن ابن عباس رضي الله تعالى عنه في قوله
تعالى وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي حتى اخرجك نبيا وقال
جعفر بن محمد علم الله تعالى مخرجه خلقه عن طاعته فعرفهم ذلك لكي يعلموا
انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام بينه وبينهم مخلوقا
من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة والرحمة واخرجه
الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته وموافقته موافقته
فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال تعالى وما ارسلناك
الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله تعالى محمدا صلى
الله تعالى عليه وسلم بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله
وصفاته رحمة على الخلق فمن اصابه شيء من رحمته فهو الناجي

فى الدارين من كل مكروه والواصل فيهما الى كل محبوب
الا ترى ان الله تعالى يقول وما ارسلناك الا رحمة للعالمين فكانت
حياته رحمة ومماته رحمة كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم حياتى خير لكم وموتى
خير لكم وكما قال اذا اراد الله تعالى رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها
فرطا وسلفا وقال السمرقندى رحمة للعالمين يعنى للجن والانس وقيل
لجميع الخلق للمؤمن رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة
للكافر بتاخير العذاب قال ابن عباس هو رحمة للمؤمنين والكافرين اذ
عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكى ان النبى صلى الله
عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شئ قال نعم
كنت اخشى العاقبة فامنت لشاء الله عز وجل على بقوله ذى قوة عند
ذى العرش مكين مطاع ثم امين وروى عن جعفر بن محمد الصادق
فى قوله تعالى فسلام لك من اصحاب اليمين اى بك انما وقعت
سلامة منهم من اجل كرامة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الله تعالى الله نور
السموات والارض الاية قال كعب وابن جبير المراد بالنور الثانى هنا
محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله مثل نوره اى نور محمد وقال سهل
ابن عبد الله المعنى الله هادى اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد
اذ كان مستودعا فى الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح
قلبه وبالزجاجة صدره اى كانه كوكب درى لما فيه من الايمان
والحكمة يوقد من شجرة مباركة اى من نور ابراهيم عليه السلام
وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله عز وجل يكاد زيتها
يضئ اى تكاد نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم تبين للناس قبل كلامه
كهذا الزيت وقد قيل فى هذه الاية غير هذا والله تعالى اعلم وقد سماه
الله تعالى فى القران فى غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا فقال عز وجل
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وفى هذا قوله تعالى
الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وشرح والمراد
بالصدر هنا القلب قال ابن عباس شرحه للاسلام وقال
سهل نور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه
الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك

ووزرك الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة
وقيل اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى
بلغها حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لانقضت
الذنوب ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم
بالنبوة وقيل اذا ذكرت ذكرت معى فقول لا اله الا الله محمد رسول
الله وقيل فى الاذان قال القاضى رحمه الله هذا تقرير من الله جل
اسمه لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف
منزلته عنده وكرامته عليه بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه
لوعى العلم وحمل الحكمة ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه
وبعضه لسيرها وما كانت عليه بظهور دينه على الدين كله وحط عنه
عهدة اعباء الرسالة والنبوة لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه
بعظيم مكانه وجليل شانه ورفعة ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال
قتادة رفع الله عز وجل ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد
ولا صاحب صلاة الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله
وروى ابو سعيد الخدرى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبريل
فقال ان ربى وربك يقول اتدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله
اعلم قال اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى
معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال
جعفر بن محمد الصادق لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية
واشار بعضهم فى ذلك الى الشفاعة ومن ذكره معه تعالى ان قرن
طاعته بطاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا
بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشركة ولا يجوز جمع هذا
الكلام فى غير حقه عليه السلام حدثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد
الجيانى الحافظ فيما اجازنيه وقراءة على الثقة عنه قال ثنا ابو عمر
النمرى ثنا ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود السجستانى
ثنا ابو الوليد الطيالسى ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم ما شاء الله
وشاء فلان ولكن ما شاء الله ثم شاء فلان قال الخطابى ارشدهم
صلى الله تعالى عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشيئة الله تعالى على

مشبهة من سواه والخنا وهاء ثم التي هي للنسق والتراخي بخلاف
الواو التي هي للاشتراك ومثله الحديث الآخر ان خطيبا خطب
عند النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله
فقد رشد ومن يعصهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم بئس
خطيب القوم انت قم او قال اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين
الاسمين بحرف الكناية لما فيه من التسوية وذهب غيره الى انه
انما كره له الوقوف على بعضهما وقول في سليمان اصح لما روي في الحديث
الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى ولم يذكر الوقوف على بعضهما
وقد اختلف المفسرون واصحاب المعاني في قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة ام لا
فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملائكة وقدروا الاية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روي
عن عمر رضي الله تعالى عنه انه قال من فضلك عند الله ان جعل طاعتك
طاعته فقال من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الاية وروي انه لما نزلت هذه الاية
قالوا ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى
عيسى حنانا فانزل الله تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن
طاعته بطاعته رغما لهم وقد اختلف المفسرون في معنى قوله
تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت
عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط المستقيم
هو رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصاحباه اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما
وحكى ابو الليث السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى
صراط الذين انعمت عليهم قال فبلغ ذلك الحسن فقال صدق
والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير صراط الذين انعمت
عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن بعضهم
في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه محمد صلى الله تعالى
عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد فقال

سهل

سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به اولئك هم
المتقون الاية اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق محمد
صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ وصدق
بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر وقيل
علي وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى الا بذكر الله
تطمئن القلوب قال محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وانما به الفصل
الثاني في وصفه تعالى بالشهادة وما تعلق بها من الثناء والكرامة
قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية
جمع الله له في هذه الاية صروفا من رتب الاشرة وجملة اوصاف من المدحة
فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه صلى
الله عليه وسلم ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته وداعيا
الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق حدثنا الشيخ ابو محمد
ابن عتاب رحمه الله تعالى نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي
نا ابو زيد المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف نا البخاري نا محمد بن
سنان نا فليح نا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت عبد الله بن عمرو
ابن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال اجل والله انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن يا
ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين
انت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب
في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر
ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله
ويفتح به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله
ابن سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب في
الاسواق ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب
لكل خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى
امامه والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم

الصادقين والتصديق بين التشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى
الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي **الفصل الثالث** مما ورد في خطابه
اياه مورد الملاطفة والمبرة فمن ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم
اذنت لهم قال ابو محمد مكي قيل هذا افتتاح كلام بمنزلة اصلحك
الله واعزك الله وقال عون بن عبد الله اخبره بالعفو قبل ان يخبره
بالذنب وحكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك الله يا سليم
اتعلب لم اذنت لهم قال وكوبداء النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام
لكن الله تعالى برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت
لهم بالتخلف حتى يتبين لك الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا
من عظيم منزلته عند الله ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره
به ما ينقطع دون معرفة غايته بنياط القلب قال بعضوبه ذهب
ناس الى ان النبي صلى الله عليه وسلم عاتب بهذه الاية وحاشاه
من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم
لقعد المنافقون وانه لا حرج عليه في الاذن لهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه يجب على المسلم المجاهد نفسه الرائض بزمام الشريعة
خلقه ان يتاءدب باداب القران في قوله وفعله ومعاطاته
ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقة وروضة الاداب
الدينية والدنيوية وليتاءمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال
من رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع وستر ما فيها
من الفوائد وكيف ابتداء بالاكرام قبل العتب وانس بالعفو قبل
ذكر الذنب ان كان ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد
كدت تركن اليهم شيئا قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله الانبياء
بعد الولايات وعاتب نبينا صلى الله عليه وسلم وعلى جميعهم قبل
وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء ومحافظة لشرائط المحبة وهذه
غاية العناية ثم انظر كيف بداء بتثبيته وسلامته قبل ذكر ما عتبه
عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءته وفي طي تخويفه
تاءمينه وكرامته ومثله قوله تعالى انه ليحزنك الذي يقولون
فانهم لا يكذبونك الاية قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي

به بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمى به بعد النكرة واكثر
به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة
واؤلف به بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة
واجعل امته خير امة اخرجت للناس وفي حديث اخبرنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار
مولده بمكة ومهاجره بالمدينة او قال طيبة امته الحامدون
لله على كل حال وقال تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الامي الاية
وقد قال تعالى فبما رحمة من الله لنت لهم الاية قال السمرقندي
ذكرهم الله منته انه جعل رسوله رحيما بالمؤمنين رؤوفا لين
الجانب ولو كان فظا خشنا في القول لتفرقوا من حوله لكن
جعل الله سجاياه سهلة ملقاة لطيفا هكذا قاله الضحاك
وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء
على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو الحسن القابسي ان
الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته بهذه الاية
وفي قوله في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم
وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل
امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدولا اخيارا ومعنى هذه الاية
وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان جعلناكم امة خيارا
عدولا لتشهدوا للانبياء على امميهم ويشهد لكم الرسل بالصدق
قيل ان الله جل جلاله اذا سئل الانبياء هل بلغتم فيقولون نعم فتقول
اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد امة محمد للانبياء وزكيهم
النبي صلى الله عليه وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول
حجة عليكم حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان
لهم قدم صدق عند ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم
صدق هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا
هي مصيبتهم بنبيهم صلى الله تعالى عليه وسلم وعن ابي سعيد الخدري
هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهو شفيع صدق
عند ربه وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة
اودعها في محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام

الصادقين

صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل
الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروى ان النبي صلى الله عليه
وسلم لما كذبه قومه حزن فجاءه جبريل عليه السلام
فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال انهم لا يعلمون
انك صادق فانزل الله الاية ففي هذه الاية منزع لطيف
المأخذ من تسليته تعالى له صلى الله عليه وسلم والطافه
في القول بان قرر عنده انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين
له معترفون بصدقه قولا واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل
النبوة الامين فدفع بهذا التقرير ارتماض نفسه بسمة الكذب
ثم جعل الزم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين فقال تعالى
ولكن الظالمين باياتك يجحدون فخاشاه من الرضم
وطوقه بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد
انما يكون ممن علم الشيء ثم انكره كقوله وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم ظلما وعلوا ثم عزاه وآنسه بما ذكره عمن
قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت رسل من قبلك الاية
فمن قرأ لا يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك كاذبا
وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون
على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك
الى الكذب وقيل لا يعتقدون كذبك ومما ذكر من خصائصه
وبرأ الله تعالى به ان الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم
فقال يا ادم يا نوح يا ابراهيم يا داود يا عيسى يا زكريا يا
يحيى ولم يخاطب هؤلاء الانبياء الا بيا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها
المزمل يا ايها المدثر **الفصل الرابع** في قسمه تعالى بعظيم قدره
قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل
التفسير في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حياة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم واصله ضم العين من العمر ولكنها
فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل وعيشك
وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية البر والتشريف قال
ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا

الكرم

الكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة
احد غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله بحياة غير محمد صلى الله عليه وسلم
لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم
الايات اختلف المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد
مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند ربي عشرة اسماء
ذكر ان منها طه ويس اسمان له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن
جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم
وعن ابن عباس رضي الله عنهما يس يا انسان اراد محمدا
صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال
الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان وعن
ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل
ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر
انه من اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح هذا انه قسم كان فيه من
التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم عطف القسم الآخر
عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته
والشهادة بهذا كيد اقسم تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين يرحمه
الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه
ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه
بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال انه
يا سيد ما فيه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم
وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل
لا اقسم براد لم تكن فيه بعد حرج وحكي منه حكاه مكي وقيل لا
زائدة اي اقسم به وانت به يا محمد حاول او حل لك ما فعلت فيه
على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء مكة وقال الواسطي اي
حلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وبقبرك
ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده يصححه
قوله حل بهذا البلد وهو قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى وهذا
البلد الامين قال آمنها الله تعالى بمقامه فيها وكونه بها فان كونه امان

حيث كان ثم قال ووالد وما ولد من قال اراد آدم فهو عام ومن
قال هو ابراهيم وما ولد فهي ان شاء الله تعالى اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم
فتضمن السورة القسم به في موضعين وقال تعالى الم ذلك الكتاب
قال ابن عباس رضي الله عنهما هذه الحروف اقسام اقسم الله بها وعنه
وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله التستري الالف هو الله
تعالى واللام جبريل والميم محمد عليهما السلام وحكى هذا القول المتقدم
ولم ينسبه الى سهل وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه الاول يحتمل القسم ان هذا
الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه فضيلة قرآن اسمه باسم مقسوما
تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم بقوة
قلب حبيبه صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة
ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم من اسماء القرآن وقيل هو
اسم الله وقيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر
ابن محمد في تفسير والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال
النجم قلب محمد هو انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن
عطاء في قوله تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد لانه منه تفجر الايمان

الفصل الخامس

في قسمه تعالى جده له لتحقق مكانته عنده قال
جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة اختلف المفسرون
في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه وسلم
قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امراة في ذلك بكلام وقيل بل
تكلم به المشركون عنده فترة الوحي فنزلت السورة قال القاضي
الامام ابو الفضل تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتوحيده
به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له بما اخبره به من حاله بقوله
والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات المبرة الثاني
بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك ربك وما قلى
اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان اصطفاك الثالث
قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحاق اي ما لك في
مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا وقال سهل
اي ما ادخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك

في الدنيا الرابع قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه الآية جامعة
لوجوه الكرامة وانواع السعادة وسنيات الانعام في الدارين
والزيادة قال ابن اسحاق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة
وقيل يعطيه الحوض والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ليس آية في القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدخل احد من امته النار الخامس ما عدد الله تعالى عليه من نعمه وقوله
من الآية قبله في بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس به
على اختلاف التفاسير ولا مثال له فاغناه بما آتاه او بما جعله في
قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه وآواه اليه وقيل
آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى الم يجدك
فهدى يك ضالا واغنى يك عائلا وآوى يك يتيما ذكره بهذه
المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
ويتمه وقبل مفارقته به ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه و
اصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشادة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث
بها وهذا خاص له عام لامته صلى الله عليه وسلم وقال تعالى والنجم اذا هوى
الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى
والنجم باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر
ابن محمد انه محمد عليه السلام وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد
قيل في قوله والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت
هذه الآيات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واهتم
جل جلاله على هذا بتبرئة المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه
فيما تلا وانه وحي يوحى وصله اليه عز الله جبريل وهو الشديد القوى
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسرا وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه راى من آيات ربه الكبرى وقد نبه سبحانه
وتعالى على مثل هذا في اول سورة الاسرا ولما كان ما كان شفه صلى الله
عليه وسلم من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا يحيط
به العبارات ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول ومن عنه

تعزعنه تعالى بالايماء والكناية الدالة على التعظيم فقال فاوحى
الى عبده ما اوحى وهذا النوع من الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة
بالوحى والاشارة وهو عندهم ابلغ ابواب الايجاز وقال تعالى لقد راى
من ايات ربه الكبرى لحسرت الافهام عن تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام
فى تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضى ابو الفضل اشتملت هذه الايات على
اعلام الله تعالى بتزكية جملته صلى الله عليه وسلم وعصمتها من الافات فى هذا
المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه قلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما راى ولسانه
بقوله وما ينطق عن الهوى وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا
اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس الى قوله
وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اى اقسم اية لقول رسول كريم
اى كريم عند مرسله ذى قوة على تبليغ ما حمله من الوحى مكين
اى متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اى فى السماء
امين على الوحى قال على بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا
محمد صلى الله عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له وقال غيره
هو جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد راه يعنى محمد صلى الله عليه
وسلم قيل راى ربه وقيل راى جبريل فى صورته وما هو على الغيب
بضنين اى بمتهم ومن قراه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء
به والتنويه بكريم حكمه وبعلمه ومنزلة محمد صلى الله عليه وسلم
باتفاق وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون الايات اقسم
تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه على تنزيه المصطفى صلى الله
عليه وسلم مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه وبسط
امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون وهذه
نهاية المبرة فى المخاطبة واعلى درجات الادب فى المحاورة ثم اعلمه
بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذ عنه
ولا يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى
عليه بما منحه من هباته وهداه اليه واكد ذلك تنبيها للتمجيد
بحرف التاكيد فقال وانك لعلى خلق عظيم قيل القران وقيل الاسلام
وقيل التطبع الكريم وقيل ليس لك همة الا الله قال الواسطى اثنى
الله عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله بذلك على غيره

لانه جبله

لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذى يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه
عليه سبحانه ما اعمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم
بعد هذا بما وعده به من عقباهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون
الثلاث الايات ثم عطف بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه
وعد معايبه متوليا ذلك بفضله ومنتصرا لنبيه صلى الله عليه وسلم
فذكر بضع عشرة خصلة من خصال الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين
الى قوله اساطير الاولين ثم ختم ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه
وخاتمة بواره بقوله سنسمه على الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من
نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه ابلغ من رده واثبت فى ديوان
مجده الفصل السادس فيما ورد من قوله تعالى فى جهته صلى الله عليه وسلم
مورد الشفقة والاكرام قال الله تعالى طه ما انزلنا عليك القران
لتشقى قيل طه اسم من اسمائه صلى الله عليه وسلم وقيل هو اسم الله تعالى
وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هى حروف مقطعة لمعان
قال الواسطى اراد يا طاهر يا هادى وقيل هو امر من الوطء والهاء كناية
عن الارض اى اعتمد على الارض بقدميك ولا تتعب نفسك بالاعتماد
على قدم واحدة وهو قوله ما انزلنا عليك القران لتشقى نزلت الاية
فيما كان النبى صلى الله عليه وسلم يتكلفه من السهر والتعب وقيام
الليل اخبرنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضى
ابى الوليد الباجى اجازة ومن اصله نقلت قال ثنا ابو ذر الحافظ ثنا
ابو محمد الحموى ثنا ابرهيم بن خزيم الشاشى ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم
بن القسم عن ابى جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعنى طاء الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القران لتشقى ولا خفا بما فى هذا كله من الاكرام
وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه صلى الله عليه وسلم كما قيل او
جعلت قسما لحق الفضل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة والمبرة
قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث
اسفا اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين ثم قال ان نشاء ننزل

عليهم من السماء اية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب
قوله تعالى فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله تعالى ولقد نعلم
انك يضيق صدرك بما يقولون الى اخر السورة وقوله ولقد استهزئ
برسل من قبلك الاية قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكره وهون عليه
ما يلقى من المشركين واعلمه ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن
قبله ومثل هذه السلية قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت رسل من
قبلك ومن هذا قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا
ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبر به عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله
ومحنتهم به وسلاه بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من
لقي ذلك ثم طيب طيب نفسه وابان عذره بقوله تعالى فتولى عنهم اي اعرض
عنهم فما انت بملوم اي في اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله
تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك
بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى بهذا في اي كثيرة من
هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله به في كتابه العزيز من
عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة رتبته من
ذلك قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من
كتاب وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي تخصص
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما
ذكره في هذه الايات قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث
نبيا الا ذكر له محمدا صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه
ان ادركه ليؤمنن به وقيل ان يبينه لقومه وياخذ ميثاقهم ان
يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين
لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من
ادم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد صلى الله عليه وسلم لئن
بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ العهد بذلك على قومه
ونحوه عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله من غير وجه واحد
قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله وكيلا وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى به النبي صلى الله عليه وسلم

فقال

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı . Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 74
Tasnif No.

فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
بعثك اخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند الله ان
اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث فلذلك وقع
ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا تفضيل بتباعه
السلام لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو اخرهم المعنى اخذ الله عليهم الميثاق
اذ اخرجهم من ظهر ادم كالذر وقال تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على
بعض الاية قال اهل التفسير اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله
عليه وسلم لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت
على يديه المعجزات وليس احد من الانبياء اعطي فضيلة او كرامة الا وقد
اعطي محمد صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى
خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال تعالى
يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى
وان من شيعته لابراهيم ان الهاء عائدة على محمد اي ان من شيعة محمد
لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكاه عنه مكي وقيل الهاء
نوح عليه السلام **الفصل الثامن** في اعلام الله تعالى خلقه بصلاته عليه
ولايته له ودفعه العذاب بسببه قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة وبقي
فيها من بقي من المؤمنين نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا
مثل قوله لو تزيلوا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر
المؤمنون نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته
صلى الله عليه وسلم ودرأه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه
بعده بين ظهرانيهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم
وغلبتهم اياهم وحكم فيهم بسيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي
الاية ايضا تاويل اخر حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه
ثنا ابو الفضل بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج
الحرة حدثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ

ثنا سفيان ابن وكيع ثنا ابن نمير عن اسماعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن
يوسف عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله على امانتين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم
وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه قوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال صلى الله عليه وسلم انا امان
لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والفتن قال بعضهم الرسول
صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما دامت سنته باقية فهو
باق فاذا اميت سنته فانتظر البلاء والفتن وقال الله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي الاية ابان الله تعالى فضل نبيه صلى الله عليه وسلم بصلاته عليه
ثم بصلوة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى ابو بكر بن
فورك ان بعض العلماء تاول قوله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في
الصلوة على هذا اي في صلوة الله علي وملائكته وامر الامة بذلك الى
يوم القيمة والصلوة من الملائكة استغفار ومن الله دعاء ومن الله عز وجل
رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم حين علم
الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم الصلوة عليه
وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف من كاف اي كفاية الله
تعالى لنبيه قال الله اليس الله بكاف عبده والهاء هداية له قال ويهديك صراطا
مستقيما والياء تاييد له قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله
يعصمك من الناس والصاد صلاته عليه قال ان الله وملائكته يصلون على
النبي وقال تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه الاية مولاه اي وليه
وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملائكة وقيل ابو بكر وعمر وقيل
علي رضي الله تعالى عنهم وقيل المؤمنون على ظاهره **الفصل**
التاسع فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته قال الله تعالى
انا فتحنا لك فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الايات
من فضله والثناء عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما ينقص
الوصف عن الاتيان اليه فابتدا جل جلاله باعلامه بما قضاه له من
القضاء البين بظهوره وغلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له
غير مواخذ بما كان وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع
اي انك مغفور لك وقال مكي جعل المنة سببا للمغفرة وكل من عنده

لا اله

لا اله غيره منة بعد منة وفضلا بعد فضل ثم قال ويتم نعمته عليك
قيل بخضوع من تكبر عليك لك وقيل بفتح مكة والطائف وقيل برفع ذكرك
في الدنيا وبنصرك ويغفر لك فاعله بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له
وفتح اقاليم البلاد عليه واجتهاله ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد
فوزهم العظيم والعفو عنهم والتجاوز لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا
والاخرة ولعنهم وتبعيدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال انا ارسلناك
شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية فعدد محاسنه وخصايصه من شهادته
على امته لنفسه بتبليغه الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد
ومبشرا لامته بالثواب وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب
وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله ثم بمن سبقت له من الله
الحسنى ويعزروه اي يجلونه وقيل ينصرونه وقيل يبالغون في تعظيمه
ويوقروه اي يعظمونه وقرا بعضهم تعزروه بزايين من العز والاكثر والاظهر
ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال ويسبحوه فهذا راجع الى الله
تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم
مختلفة من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام
المحبة وتمام النعمة وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية
فالمغفرة تبرئة من العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية
وهي الدعوة الى المشاهدة وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله
حبيبه واقسم بحياته وتسنم به شرايع غيره وعرج به الى المحل الاعلى
وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر و
احل له ولامته الغنايم وجعله شفيعا مشفعا وسيد ولد ادم وقرن
ذكره بذكره ورضاه برضاه وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين
يبايعونك انما يبايعون الله يعني بيعة الرضوان اي انما يبايعون الله
ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد عند البيعة قيل قوة الله وقيل قوته
وقيل نعمته وقيل عقده وهذه استعادة وتجنيس في الكلام وتاكيد
لعقد بيعتهم اياه وعظم شان المبايع صلى الله عليه وسلم وقد يكون
من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت

ولكن الله رمى وان كان الاول من باب المجاز وهذا في باب الحقيقة لان
القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه
ولانه ليس في قدرة البشر توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق
منهم من لم تلاء عينيه وكذلك قتل المشركين لهم حقيقة وقد قيل في هذه
الاية الاخرى انها على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم
وما رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله فهو القاتل و
الرامي بالمعنى وانت بالاسم الفصل العاشر فيما اظهره الله في كتابه
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى
ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة الاسراء
في صورة سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته
وقربه ومشاهدته ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله
والله يعصمك من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الاية وقوله الا
تنصروه فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم
بعد تحزبهم لطلبه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند
خروجه عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك
من الايات ونزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب
ما ذكره اهل الحديث والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه
قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو
الابتر اجمله الله بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل
الخير الكثير وقيل الشفاعة وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل
النعمة ثم جاب تعالى عنه عدوه وردد عليه قوله تعالى ان شانئك هو الابتر
اي عدوك ومبغضك والابتر الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه
وقال تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور
الطوال الاول والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم
سائره وقيل السبع المثاني في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار وضرب مثل واعلام نعم
واتيناك نبأ القرآن العظيم وقيل سميت ام القرآن مثاني لانها تثنى في
كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله عليه وسلم وادخرها له
دون الانبياء وسمي القرآن مثاني لان القصص تثنى فيه وقيل السبع

المثاني

اقال

اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة والرحمة والشفاعة
والولاية والتعظيم والتسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك الذكر الاية وقال وما
ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا وقال قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا الاية قال القاضي رضي الله عنه فهذه خصائصه
وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فخصهم
بقومهم وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى الخلق كافة كما قال عليه السلام
بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم قال اهل التفسير اولى بالمؤمنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم
من امر فهو ماض عليهم كما يمضي حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره اولى
من اتباع راي النفس وازواجه امهاتهم اي هن في الحرمة كالامهات
حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية ولا هن له ازواج
في الاخرة وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان لمخالفته المصحف
وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له في الازل واشار الواسطي الى انها اشارة الى اختيال
الرؤية التي لم يحتملها موسى صلى الله عليهما الباب الثاني في تكميل الله له
المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا
اعلم ايها المحب لهذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم الباحث عن مفاصيل
جمل قدره العظيم ان خصال الجلال والكمال في البشر نوعان ضروري
دنيوي اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب ديني وهو
ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى ثم هي على قسمين ايضا منها ما يختص
لاحد الوصفين ومنها ما يتمازج ويتداخل فاما الضروري المحض
فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان في جبلته من كمال
خلقته وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة
حواسه واعضائه واعتدال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم
ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه
ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه وقد يلحق هذه الخصال الاخيرة
بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة البدن على سلوك طريقها
وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة واما المكتسبة الاخروية
فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين والعلم والحلم

والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو والعفة والجود
والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتودد والوقار والرحمة وحسن
الأدب والمعاشرة وأخواتها وهي التي جماعها حسن الخلق وقد يكون
من هذه الأخلاق ما هو في الغريزة وأصل الجبلة لبعض الناس وبعضهم
لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد أن يكون فيه من أصولها في أصل الجبلة
شعبة كما سنبينه إن شاء الله تعالى وتكون هذه الأخلاق دنيوية إذا لم
يرد بها وجه الله والدار الآخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل باتفاق
أصحاب العقول السليمة وإن اختلفوا في موجب حسنها وتفضيلها

فصل قال القاضي رحمه الله تعالى إذا كانت خصال الجلال والكمال
ما ذكرناه ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها أو اثنتين أو ثلاث
اتفقت له في كل عصر إما من حسب أو جمال أو قوة أو علم أو شجاعة أو سماحة
حتى يعظم قدره وتضرب باسمه الأمثال ويتقرر له بالوصف
بذلك في القلوب شرة وعظمة وهو منذ عصور خوالي رمم بوال
فما ظنك بعظيم قد رمن اجتمعت فيه كل هذه الخصال إلى ما لا يأتي حده
عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة إلا بتخصيص
الكبير المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء
والإسراء والرؤية والقرب والدنو والوحي والشفاعة والوسيلة
والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث
إلى الأحمر والأسود والصلوة بالأنبياء والشهادة بين الأنبياء والأمم
وسيادة ولد آدم ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند
ذي العرش والطاعة ثم والأمانة والهداية ورحمة للعالمين وإعطاء
الرضى والسؤل والكوثر وسماع القول وإتمام النعمة والعفو عما تقدم
وتأخر وشرح الصدر ووضع الوزر ورفع الذكر وعزة النصر
ونزول السكينة والتأييد بالملائكة وإيتاء الكتاب والحكمة والسبع
المثاني والقرآن العظيم وتزكية الأمة والدعاء إلى الله وصلاة
الله والملائكة والحكم بين الناس بما أراه الله ووضع الأصر
والأغلال عنهم والقسم باسمه وإجابة دعوته وتكليم الجمادات
والبهم وإحياء الموتى وإسماع الصم ونبع الماء من بين أصابعه
وتكثير القليل وانشقاق القمر ورد الشمس وقلب الأعيان

والنفس

والنفس بالرغب والاطلاع على الغيب وظل الغمام وتسبيح الحصا وإبراء الأكمه
والعصمة من الناس إلى ما لا يحويه محتفل ولا يحيط بعلمه إلا ما منحه ذلك
وفضله به لا إله غيره إلى ما أعد له في الدار الآخرة من منازل الكرامة و
درجات القدس ومراتب السعادة والحسنى والزيادة التي تقف
دونها العقول وتحار دون إدراكها الوهم **فصل** إن قلت كرمك الله
لا خفاء على القطع بالجملة أنه صلى الله عليه وسلم أعلى الناس قدرا و
أعظمهم محلا وأكملهم محاسن وفضلا وقد ذهبت في تفاصيل
خصال الكمال مذهبا جميلا سوقني إلى أن أقف عليها من أوصافه
صلى الله عليه وسلم تفصيلا فأعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف في
هذا النبي الكريم حبي وحبك أنك إذا نظرت إلى خصال الكمال التي
هي غير مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها بشهادة
محاسنها دون خلاف بين نقلة الأخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ
القطع أما الصورة وجمالها وتناسب أعضائه في حسنها فقد جاءت
الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وأنس بن
مالك وأبي هريرة والبراء بن عازب وعائشة أم المؤمنين وابن أبي هالة وأبي
جحيفة وجابر بن سمرة وأم معبد وابن عباس ومعبد بن معبد وأبي
الطفيل والعداء بن خالد وجزيء بن قاتل بن حكيم بن أجاو وغيرهم رضوان الله
تعالى عليهم أجمعين منها أنه صلى الله تعالى عليه وسلم كان أزهر اللون أبيض أنجل
أشكل أهدب الأشفار أدلج أدعج أقنى أفلج مدور الوجه في أسيع الجبين كث
اللحية تملأ صدره سواء البطن والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين
ضخم العظام عبل العضدين والذراعين والأسافل رحب الكتفين والقدمين
سائل الأطراف أنور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل
البائن ولا بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن بما شبهه أحد ينسب
إلى الطول إلا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر إذا افترق ضاحكا
أفتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام إذا تكلم رئي كالنور
يخرج من ثناياه أحسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم مثل سبائك
البرد ضرب اللحم قال البراء ما رأيت من ذي حلة سوداء في حلة حمراء أحسن من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أبو هريرة ما رأيت شيئا أحسن من رسول
الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وإذا ضحك يتلألأ

في الجدد وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله عليه وسلم
مثل السيف قال لا بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرا وقالت
ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه واحسنه من قريب
وفي حديث ابن ابي هالة يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر وقال علي
رضي الله عنه في اخر وصفه له من راه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه
يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم والاحاديث في
بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول بسردها وقد اختصرنا في وصفه
نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية في القصد الى المطلوب وختمنا هذه
الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه هناك ان شاء الله تعالى **فصل**
واما نظافة جسمه وطيب ريحه وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات
الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص لم توجد في غيره ثم
تممها بنظافة الشرع وخصالا لفطرة العشر وقال صلى الله عليه وسلم بني الدين
على النظافة حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد قالوا ثنا احمد بن عمر
ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة
ثنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن انس قال ما شممت عنبرا قط ولا
مسكا ولا شيئا اطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة
انه صلى الله عليه وسلم مسح خده قال فوجدت ليده بردا وريحا كانما اخرجها
من جونة عطار وقال غيره مسها بطيب او لم يمسها يصافح المصافح فيظل
يومه يجد ريحها ويضع يده على راس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها
ونام رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة
تجمع فيها عرقه فسألها صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله في طيبنا وهو
من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن جابر رضي الله عنه لم يكن
النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا عرف انه سلكه من طيبه وذكر
اسحاق بن راهويه ان تلك كانت رائحته بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني
عن جابر رضي الله عنه ادرفق النبي صلى الله عليه وسلم فالتفت خاتم النبوة بفي فكان بين
على مسكا وقد حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد ان يتغوط
انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند
محمد بن سعد كاتب الواقدي في هذا خبرا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تاتي الخلاء فلا يرى منك شيئا من الاذى فقال يا عائشة او ما علمت ان الارض

تبتلع

تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء وهذا الخبر وان لم يكن مشهورا فقد قال
قوم من اهل العلم بصحة الحديثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب
الشافعي حكاه الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتابه البديع في فروع المالكية وتخريج ما لم يقع
منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية وشاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه
شيء يكره ولا غير طيب ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله
عليه وسلم فذهبت انظر ما يكون من الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا و
ميتا قال وسطعت منه ريح طيبة لم يجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر رضي الله
عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك بن سنان
دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له وقوله
لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال له صلى الله
عليه وسلم ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكره عليه وقد روي نحو
من هذا عنه في امراة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك ابدا
ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المراة التي
شربت بوله صحيح الزمه الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في صحيحه وابنتها
هذه المراة بركة واختلف في اسمها فقيل هي ام ايمن وكانت تخدم النبي صلى الله
عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدح من عيدان يوضع
تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم افتقده فلم يجد فيه شيئا
فسال بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة فشربته وانا لا اعلم روي
حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع
السرة وروي عن امه آمنة انها قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة
رضي الله عنها قالت ما رايت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن
علي رضي الله عنه قال اوصاني النبي صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري
فانه لا يرى احد عورتي الا طمست عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس
انه صلى الله عليه وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضا قال عكرمة لانه
صلى الله عليه وسلم كان محفوظا **فصل** واما وفور عقله وذكائه وقوة حواسه
وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان اعقل الناس
وان كامل ومن تامل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسة
العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضله وغاية افاضته من العلم

وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
لكتب منه لم يمعن في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا
يحتاج الى تقريره لتحققه وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين
كتابا فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا و
افضلهم رايا وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع
الناس من مبدا الدنيا الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة
رمل من بين رمال الدنيا وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
قام في الصلوة يرى من خلفه وكما يرى من بين يديه وفي الموطا عنه عليه الصلوة
والسلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في الصحيحين وبه
فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها مثله قالت زيادة زاده الله اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر
من ورائي كما انظر من بين يدي وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين
يدي وحكى بقي بن مخلد عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم
يرى في الظلمة كما يرى في الضوء والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه
وسلم للملائكة والشياطين ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس
حين وصفه لقريش والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه انه كان
يرى في الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول
احمد بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تعاضده
ولا استحالة في ذلك وهي من خواص الانبياء عليهم السلام وخصائصهم كما
اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني
حدثتنا ام القسم بنت ابي بكر عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد
الحسني ثنا محمد بن محمد بن سعيد ثنا محمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا
همام ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لما تجلى الله لموسى عليه السلام كان يبصر النملة على الصفاة في الليلة الظلماء
مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا ان يختص نبينا صلى الله عليه وسلم بما
ذكرناه من هذا الباب بعد الاسراء والحظوة بما راى من ايات ربه الكبرى
وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة اشد اهل وقته وكان دعاه الى
الاسلام ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال

ابو هريرة

ابو هريرة ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى الله عليه وسلم في مشيته كانما
الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما
انما التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلعا كانما يخطو من صبب فصل واما
فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك
بالمحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع و
ايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف
وفي جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب يخاطب
كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها
حتى كان كثير من اصحابه يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير
قوله من تاء تل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش
والانصار واهل الحجاز ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة
النهدي وقطن بن حارثة العليمي والاشعث ابن قيس ووائل بن حجر الكندي و
غيرهم من اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها
ووهاطها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم
وصرامهم ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثناب والنابت
والفصيل والغارض والدجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ و
القارح وقوله لهمدان اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومنزفها وابعث
داعيها في الذرى وقوله اللهم وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة كان
مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا
لكم يا بني همدان ودائع الشرك ووضائع الملك لا تلطط في الزكوة ولا تلحدي
في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الغارض
والفريش وذو العناق الركوب والفلو الضبيس لا يمنع سرحكم ولا يفسد
طلحكم ولا يحتبس ذكركم ما لم تضمروا الرماق وتاكلوا الرباق من اقر
فله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه صلى الله عليه
وسلم لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشاشيب وفيه في
السبعة شاة لا مقورة الاليا ولا ضناك واقطوا التبيجة وفي السيوب
الخمس ومن زنى ممن يكن فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى ممن
ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في فرائض الله وكل مسكر
حرام ووائل بن حجر يتوقل على الاقيال ابن هذا من كتابه لا نسيء في الصدقة

وكان

قبيلة من اليمن

حومة متطوعة

زكوة عام واجب

دوه

صغار ورة

في مال الزكوة

يميل الى الساطل

صغر

ميوه الخاص

المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النمط وكثرة
استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث
الناس بما يعلمون وكقوله صلى الله عليه وسلم في حديث عطية السعدي
فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامري حين سأله
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك اي سل عما شئت وهي
لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه
وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها
ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة كقوله
المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ويرد على من سواهم وقوله
الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما
ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن
وهو بالخيار ما لم يتكلم ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم
وقوله اسلم تسلم واسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي و
اقربكم مني مجالس يوم القيمة احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا
الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها ونهيه
عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال ومنع وهات وعقوق
الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيث كنت واتبع السيئة
الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله خير الامور اوسطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما
وقوله الظلم ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم
اني اسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها
شعثي وتصلح بها غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني
بها رشدي وترد بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني
اسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
على الاعداء الى ما دونه الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته
وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده فيما لا خلاف انه
نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر

قدره

قدره وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في
قالبه عليها كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن
من جحر مرتين والسعيد من وعظ بغيره في اخوانها ما يدرك الناظر
العجب في مضمنها ويذهب به الفكر في اراني حكمها وقد قال له اصحابه
ما رأينا الذي هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن
بلساني لسان عربي مبين وقال مرة اخرى بيد اني من قريش ونشأت
في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله عليه وسلم قوة عارضة البادية
وجزالتها وفصاحة الفاظ الحاضرة ورونق كلامها الى تأييد الالهي
الذي مدده الوحي الذي لا يحيط بعلمه تبشري وقالت ام معبد في
وصفها له صلى الله عليه وسلم حلو المنطق فصل لا نزر ولا هذر كأن
منطقه خرزات تنظم وكان جهير الصوت حسن النغمة صلى الله عليه وسلم

فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه
ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبة بني هاشم وسلالة قريش و
صميمها واشرف العرب واعزهم نفرا من قبل ابيه وامه ومن
اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده حدثنا قاضي
القضاة حسين بن محمد الهمذاني رحمه الله ثنا الفاضي ابو الوليد
سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا قتيبة بن
سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني ادم قرنا فقرنا حتى
كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله عز وجل خلق الخلق فجعلني من خيرهم من خير قرنهم ثم
تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني من خير
بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل
بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي وهذا حديث صحيح وفي حديث ابن عمر
رواه الطبري انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل اختار خلقه فاختار
منهم بني ادم ثم اختار بني ادم فاختار منهم العرب ثم اختار

قريش بن كنانة حضرة صنع تعظيم

العرب فاختار منهم قريشا ثم اختار قريشا فاختار منهم بني هاشم
ثم بني هاشم فاختارني فلم ازل خيارا من خيار الا من احب العرب فبحبي احبهم
ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان قريشا
كانت نورا بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق ادم بالفي عام يسبح ذلك النور
وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق الله ادم القى ذلك النور في صلبه فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب ادم وجعلني في صلب
نوح وقذف بي في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من بين ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة هذا
الخبر شعر العباس في مدح النبي صلى الله عليه وسلم المشهور **فصل**
وانما ما تدعو ضرورة الحياة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة اضرب ضرب
الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه
فاما التمدح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة كالغذاء
والنوم ولو ترك العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل
والشرب دليل على النهم والحرص والشره وغلبة الشهوة مسبب لفساد الدنيا
والاخرة جالب لادواء الجسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته
دليل على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الخاطر وحدة الذهن كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم
الذكاء والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير نفع و
قساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم ضرورة ويوجد
مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة والحكماء السالفين واشعار العرب
واخبارها وصحيح الحديث واثار من سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد
عليه اختصارا واقتصارا على اشتهاره والعلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم
قد اخذ من هذين الفنين بالاقل هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به
وحض عليه لا سيما باد تباطا احدهما بالاخر حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ
بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل الاصبهاني ثنا ابو نعيم الحافظ قال حدثنا سليمان
ابن احمد ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى بن
جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما ملأ
ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم اكلات يقمن صلبه فاذا كان
لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه ولان كثرة النوم

من

من كثرة الاكل والشرب قال سفيان الثوري بقلة الطعام يملك سهر
الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا
كثيرا وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان احب الطعام اليه ما كان على
ضيف اي كثرة الايدي وعن عائشة رضي الله عنها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله
عليه وسلم شبعا قط وانه كان في اهله لا يسألهم طعاما ولا يتشهاه ان
اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما اسقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث
بريرة وقوله الا ارى البرمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله فلنه صلى الله عليه وسلم
اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رأهم لم يقدموه اليه مع علمه
انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين لهم ما جهلوه من اثره
بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة
نامت الفكرة وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون
لا يصلح العلم لمن ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم
انا انا فلا اكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعد في الجلوس
لكل المتربع وشبهه من تمكن للجلسة التي يعتمد فيها الجالس على ما تحته والجالس
على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه والنبي صلى الله عليه وسلم انما
كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز مقعيا ويقول انما انا عبد اكل كما ياكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وليس معنى الحديث في الاتكاء الميل على شق عند المحققين
وكذلك نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة
ومع ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وكان
نومه على جانبه الايمن استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهناء
لهدو القلب وما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب
الايسر فيشتد على ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن
تعلق القلب وقلق فاسرع الافاقة ولم يعمره الاستغراق **فصل**
والضرب الثاني ما يتعلق التمدح بكثرته والتخير بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمستحق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورة ولم يزل التفاخر
بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما في الشرع فسنة
مأثورة وقد قال ابن عباس افضل هذه الامة اكثرها نساء مشيرا اليه
صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام تناكحوا تناسلوا فاني مباه
بكم الامم وهي عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر اللذين

الذهبي عن سفيان بن عيينة في ذلك انه قال كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا
رضي الله عنه كان ازهد الصحابة وكان له اربع نسوة وتسع عشرة سرية منه

بنه عليهما الصلاة والسلام بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه اغض
للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح في الزهد قال سفيان
ابن عبيد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف بزهد فيهن ونحوه لابن
عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيري الزوجات والسراري كثيري
النكاح وحكي في ذلك عن علي والحسن وابن عمر وغيرهم رضي الله عنهم غير
شيء وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح وكثرة
من الفضائل وهذا يحيى زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا فكيف
يثني الله عز وجل عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
يتسلى من النساء ولو كان كما قررته لكنكي فاعلم ان شاء الله تعالى على مجيء انه حصور
ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد ذكر هذا حذاق المفسرين
ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا يليق هذا بالانبياء وانما
معناه انه معصوم من الذنوب اي لا يأتيها كانه قد حصر عنها وقيل مانعا
نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة في النساء فقد بان لك من هذا ان عدم
القدرة على النكاح نقص وانما الفضل في كونها موجودة ثم منعها اما بمجاهدة
كعيسى عليه السلام او بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة
لكونها شاغلة في كثير من الاوقات حائلة الى الدنيا فهي في حق من اقدر عليها
وملكها وقام بالواجب فيها ولم يشغله عن ربه عز وجل درجة عليا وهي درجة
نبينا صلى الله عليه وسلم الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه تبارك
وتعالى بل زاده ذلك عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه
لهن وهدايته اياهن بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت
من حظوظ دنيا غيره فقال حبب الي من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر
من النساء والطيب اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس
لدنياه بل لاخرته للفوائد التي ذكرناها في التزويج وللقاء الملائكة
الطيب ولانه ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اشباهه وكان
حبه لهاتين الخصلتين لاجل غيره وضع شهوته وكان حبه الحقيقي لتخصص
بذاته في مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل
بينهما بالحالتين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في كفاية
فتنتهن وزاد فضيلة القيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر
على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحلائل ما لم يبح

لغيره

لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي
قوة ثلاثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاووس
اعطي صلى الله عليه وسلم قوة اربعين رجلا في الجماع وسئل عن صفوان
ابن سليم فقال كانت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه
التسع وتطهر من كل واحدة قبل ان يأتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب
وقد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع وتسعين
وانه فعل ذلك قال ابن عباس كان في ظهر سليمان مائة رجل وكانت له
ثلاثمائة امرأة وثلاثمائة سرية وحكى النقاش وغيره سبع مائة امرأة
وثلاثمائة سرية وقد كان لداود عليه السلام على هديه واكله من عمل يده
تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج اوريا مائة وقد نبه على ذلك في
الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة وفي حديث
انس عنه صلى الله عليه وسلم فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة
وكثرة الجماع وقوة البطش واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة
وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام
وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته كثيرة فهو مضر لبعض الناس بعني
الاخرة فلذلك ذمه من ذمه ومدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول
وذم العلو في الارض وكان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحسنة والمكانة
في القلوب والعظمة قبل النبوة في الجاهلية وبعدها وهم يكرمونه
ويودونه اصحابه ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم
اعظموا امره وقضوا حاجته واخباره في ذلك معروفة سيأتي بعضها
وقد كان يبهت ويفرق لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما رأته
ارعدت من الفرق فقال يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود
ان رجلا قام بين يديه فارعد فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هون
عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظم قدره بالنبوة وشريف
منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فامر
مبلغ النهاية ثم في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفضل نظما
هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما اختلف
الحالات في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة

المال وصاحبه على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله
به الى حاجاته وتمكن اغراضه بسببه والا فلا فضيلة في نفسه
فمتى كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقا له في مهماته
ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه مشتريا به المعالي
والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه عند
اهل الدنيا واذا صرفه الى وجوه البر وانفقه في سبل الخير وقصد
بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى
كان صاحبه ممسكا له غير موجه وجوهه حريصا على جمعه عاد
كثرته كالعدم وكان منقصة في صاحبه ولم يعف به على جدد السلامة
بل اوقعه في قوة رذيلة البخل ومذمة البذالة فاذا امتدح بالمال
وفضيلته عند مفضله ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره
وتصريفه في متصرفاته فجامعه اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه
وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى ولا ممتدح عند احد من العقلاء
بل هو فقير ابدا عبد واصل الى غرض من اغراضه اذا ما بيده من المال
الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه حال من مال غيره ولا مال له فكانه
ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني بتحصيله فوائد المال وان لم
يبق في يده من المال شيء فانظر سيد الانبياء صلى الله عليه وسلم وخلقه
في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد واحلت
له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم
بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانا ذلك من الشام والعراق
وجلبت اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك
الا بعضه وهادنه جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا
امسك منه درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به
المسلمين وقال ما يسرني ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا
دينارا ارصده لديني واتئد دينار يمر به فقسمها وبقيت منها بقية فدعا
لبعض نسائه فلم يأخذه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت
ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه
ومسكنه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس
ما وجده فيلبس في الغالب الشملة والكساء الخشن والبردة الغليظ

ويقسم

ويقسم على حضرة اقبية الديباج المحوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضره
اذ التباهي في الملابس والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة
وهي من سمات النساء والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه
وكونه ليس مثله غير مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين
وقد ذم الشرع ذلك وغاية التخرف في العادة عند الناس انما
تعود الى الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة المسكن
وسعة المنزل وتكثير الآلة وخدمه ومركوباته ومن ملك الارض وجبي
اليه ما فيها فترك ذلك زهدا وتركها فهو حائز الفضيلة المالية وما لك
للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدة عليها في الفخر ويعرف في المدح
باضرابه عنها ورفضه في فائها وبذلها في مظانها فصل واما
الخصال المكتسبة من الاخلاق الجيدة والاداب الشريفة التي
اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق
الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد
السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة
وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى التحرف اطرافها فجميعها قد كانت خلق نبينا
صلى الله عليه وسلم على الاستيفاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى
اثنى الله تعالى عليه بذلك فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي
الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويتسخط بسخطه وقال صلى
الله عليه وسلم بعثت لاتمم مكارم الاخلاق قال انس كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا وعن علي بن ابي طالب رضي
الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها في اصل خلقته
واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بحول الهي وخصوصية
ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم متدبرا هم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ومحمد وسليمان وعنهم عليهم
السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم والحكمة
في الفطرة قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطي يحيى العلم بكتاب
الله في حال صباه وقال معمر كان ابن ستين او ثلاث فقال له الصبيان لم
لا تلعب فقال للعب خلقت وقيل في قوله مصدقا بكلمة من الله صدق يحيى

بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه وقيل صدقه
وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها
اياه بقولها لا تحزني على قراءة من قرا من تحتها وعلى قول من قال
ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وقال فهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما
وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة
الصبي ما اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اورث
الملك اثنتي عشرة عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو
طفل وقال المفسرون في قوله ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي
هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل ابتداء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يامره عن
الله ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل
فذلك رشده وقيل ان القاء ابراهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت
وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلاء اسحاق بالذبح وهو ابن سبع سنين
وان استدلال ابراهيم بالكوكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة عشر
شهرا وقيل وحي الى يوسف وهو صبي عند ما هم اخوته بالقائه في
الجب يقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير
ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان
نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد حين ولد باسطا يديه الى الارض
رافعا رأسه الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت
بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية
تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم ما هممت بسوء حتى
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى
آتيناه حكما وعلما وقد يجد غيرهم يطبع على بعض هذه الاخلاق دون
جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها عناية من الله تعالى
كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن الشمت او الشهامة او صدق

اللسان

٨٥

اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها فبالاكتساب يكمل ناقصها
وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل منحرفها وباختلاف هذين
الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما خلق له ولهذا ما قد اختلف
السلف فيها هذا الخلق جبلة او مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف
ان الخلق الحسن جبلة وغريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن
وقال هو الصواب ما اصلنا وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في
حديثه والجراءة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه الاخلاق المحمودة و
الخصال الشريفة كثيرة ولكنا نذكر كلياتها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله
عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل انما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة
دائرتها فالعقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي
وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح
النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير وافتنانه
الفضائل وتجنب الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه عليه السلام
وبلوغه منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها من سواه وان جلالة
محله من ذلك وما تفرع منه متحقق عند من تتبع مجاري احواله و
اطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه
بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب
الامثال وسياسات الانام وتقرير الشرائع وتأصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة
الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه صلى الله عليه وسلم فيها قدوة واماما وحجة
كالعبادة والطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته
صلى الله عليه وسلم ان شاء الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من
تقدم ولا الجلوس الى علمائهم بل نبي امي لم يعرف شيئا من ذلك حتى شرح الله
صدره وابان امره وعلمه واقرأه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله مردودة
وبالبرهان القاطع على نبوته نظرا فلو نطول بسرد الاقاصيص واحاد القضايا التي
تجمع عنها ما لا يأخذه حصر ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه
صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه الله تعالى واطلعه عليه من علم ما يكون
وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تفنن فضله عليه وحرست الالسن

دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه **فصل** وانما الحلم والاحتمال
والعفو مع القدرة والصبر على ما يكره ويأتي هذه الالقاب فوق فات
الحلم حالة موقرة وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال حبس النفس
عند الالام والموذيات ومثلها الصبر وتعاينها متقاربة وانما العفو
فهو ترك المؤاخذة وهذه كله مما ادب الله نبيه صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وامر بالعرف الخبر **وروي** ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما نزلت عليه هذه الاية سال جبريل عن تاويلها فقال له حتى اسال
العالم ثم ذهب ثم اتاه فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك
وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال تعالى له واصبر على ما اصابك
الاية وقال تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقال تعالى وليعفوا
وليصفحوا الاية وقال تعالى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور ولا
خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت
عنه هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيده مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى
اسراف الجاهل الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي
وغيره قالوا حدثنا محمد بن عتاب ثنا ابو بكر بن وائل القاضي وغيره ثنا
ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن عروة
عن عائشة رضي الله عنها قالت ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين قط الا اختار
ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه وما انتقم رسول
الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم
ابعث لعانا ولكني بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في بعض كلامه يا ابت
وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر على الارض
الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك
وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان تقول الا خيرا فقلت اللهم
اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن الخلق
وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم ينتصر صلى الله عليه وسلم على الشكوت

رضي الله عنها

عنهم

عنهم حتى عفا ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا وشفع لهم فقال اللهم اغفر لقومي
ثم اظهر سبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم
لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في
جوابه ان بين له جهله ووعظ نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك من يعدل
انه لا اعدل حيث وخسرت ان لم اعدل واتى من اراد من اصحابه قتله ولما قصد
له غورث بن الحارث ليقتله وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم متسند تحت
شجرة وحده قائلة والناس قائلون في غزاة فلم ينبه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا وهو قائم والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط
السيف من يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يمنعك مني فقال
كن خير آخذ فتركه وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن
عظيم حلمه في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها
على الصحيح من الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم او سحره وقد اعلم به واوحي
اليه بشرح امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته ولم يزل لم يؤاخذ عبد الله بن ابي
واشباههم المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس رضي الله عنه كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة
شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال ويقاد
منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافئ بالسيئة السيئة فضحك
النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل له على بعير شعيرا وعلى الاخر تمرا وقالت عائشة
رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها
قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان يجاهد في
سبيل الله وما ضرب خادما ولا امراة وجئ اليه برجل فقيل هذا
اراد ان يقتلك فقال له صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت ذلك
لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه فجبذ
ثوبه من منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال الا تقضيه يا بني عبد المطلب مطل
فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا احوج الى غير هذا منك احوج يا عمر تامرني

بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث وأمر
عمر بقضيد ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان سببا لسلامه وذلك
أنه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتها في محمد إلا شيئين
لم أخبرهما يسبق حلمه جهله ولا يزيده شدة الجهل إلا حلما فاختبره بهذا
فوجده كما وصف والحديث في حلمه عليه السلام وصبره وعفوه عند
المقدرة أكثر من أن نأتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة إلى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش
وأذى المخالفين ومصابرة الشدائد الصعبة معهم إلى أن أظفره الله عليهم
وحكم فيهم وهم لا يشكون في استيصال شأفتهم وإبادة خضرائهم
فما زاد على أن عفا وصفح وقال ما تقولون أني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم
وابن أخ كريم فقال أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم الآية
اذهبوا فأنتم الطلقاء وقال أنس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من
التنعيم صلاة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذوا
فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله وهو الذي كف أيديهم
عنكم الآية وقال لأبي سفيان وقد سيق إليه بعد أن حلب إليه الأحزاب وقتل
عمه وأصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولا طعنة في القول ويحك يا أبا سفيان
ألم يأن لك أن تعلم أن لا إله إلا الله فقال بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك
وأكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضبا
وأسرعهم رضى صلى الله تعالى عليه وسلم **فصل** وأما الجود
والكرم والسخاء والسماحة ومعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم
بينها بفروق فجعلوا الكرم الإنفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره
ونفعه وسموه أيضا حرية وهو ضد الدناءة والسماحة التجافي عما
يستحقه المرء عند غيره بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء وهو
سهولة الإنفاق وتجنب اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد
التقتير فكان صلى الله عليه وسلم لا يوازي في فضله الإخلاق أكرم
ولا يبارى بعدا وصفه كل من عرفه حدثنا القاضي الشهيد أبو علي الصدفي
رحمه الله ثنا القاضي أبو الوليد الباجي ثنا أبو ذر الهروي ثنا أبو الهيثم الكشميهني
وأبو محمد السرخسي وأبو إسحاق البلخي قالوا ثنا عبد الله الفربري ثنا البخاري
ثنا محمد بن كثير أنا سفيان عن ابن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله

يقول

يقول ما سئل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا وعن أنس وسهل بن سعد
مثله وقال ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود
ما كان في شهر رمضان وكان إذا لقيه جبريل عليه السلام أجود بالخير من الريح
المرسلة وعن أنس أن رجلا سأله فأعطاه غنما بين جبلين فرجع إلى بلده
وقال أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى فاقة وأعطى مهر واحد مائة
من الإبل وأعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة وهذه كانت حاله صلى الله
عليه وسلم قبل أن يبعث وقد قال له ورقة إنك تحمل الكل وتكسب المعدوم
ورد على هوازن سباياها وكانوا ستة آلاف وأعطى العباس من الذهب
ما لم يطق حمله وحمل إليه سبعون ألف درهم فوضعت على حصير ثم قام
إليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال
ما عندي شيء ولكن ابتع علي فإذا جاءنا شيء قضيناه فقال له عمر
ما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك فقال رجل من الأنصار يا رسول الله أنفق ولا تخف من ذي
العرش إقلالا فتبسم صلى الله عليه وسلم وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا أمرت ذكره الترمذي وذكر عن معوذ بن عفراء قال
أتيت النبي صلى الله بقناع من رطب يريد طبقا وأجر رغب يريد
قثاء فأعطاني ملء كفيه حليا وذهبا قال أنس كان النبي صلى الله
عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخبر بجوده وكرمه صلى الله عليه
وسلم كثير وعن أبي هريرة أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم
يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف وسق
فجاء الرجل يتقاضاه فأعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصفه نائل
فصل وأما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة
الغضب وانقياد الغضب للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها
إلى الموت حيث يحمد فعلها دون خوف فكان صلى الله عليه وسلم
منهما بالمكان الذي لا يجهل قد حضر المواقف الصعبة وفر
الكماة والأبطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل لا يدبر
ولا ينزح وما شجاع إلا وقد أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة
سواه حدثنا أبو علي الجياني فيما كتب إلي ثنا القاضي سراج ثنا أبو محمد
الأصيلي ثنا أبو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل

ثنا ابن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن أبي إسحاق سمع البراء
وسأله رجل أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته
البيضاء وأبو سفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول أنا النبي لا كذب
وزاد غيره أنا ابن عبد المطلب قيل فما رأي يومئذ أحد كان أشد
منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون
مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار
وأنا آخذ بلجامها أكفها إرادة أن لا تسرع وأبو سفيان آخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا
غضب ولا يغضب إلا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رأيت
أفصح ولا أنجد ولا أجود ولا أرضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
علي رضي الله عنه إنا كنا إذا حمي البأس ويروى اشتد البأس واحمرت
الحدق لنتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون أحد أقرب
إلى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله
عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو وكان من أشد الناس يومئذ
بأسا وقيل كان الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم
إذا دنا العدو ليقربه منه وعن أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم
أحسن الناس وأجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل
المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت فتلقاهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم راجعا قد سبقهم إلى الصوت واستبرأ الخبر على
فرس لأبي طلحة عري والسيف في عنقه وهو يقول لن تراعوا وقال
عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم كتيبة إلا كان
أول من يضرب ولما رآه أبي بن خلف يوم أحد وهو يقول أين
محمد لا نجوت إن نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين
افتدى يوم بدر عندي فرس أعلفها فرقا من ذرة أقتلك
عليها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أنا أقتلك إن شاء الله
تعالى فلما رآه يوم أحد شد أبي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاعترض له رجال من المسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا

قال النووي هذا الجواب من بديع الأدب لأنه تقدير الكلام أفررتم كلكم فيقتضي أنه النبي عليه
وأنتم شاذ لك فقال المراد لا واسه ما فر رسول الله عليه السلام وقيل أنهم السائل
لما سئل لم فراركم بكليتهم فأجاب بذلك كأنه قال كيف تفر جميعا والحال أن النبي عليه
السلام لم يفر وأنه فر بعضنا لكن لم يفر بعضنا حتى لا يبقى رسول الله فرادا وقيل هذا الجواب
على أسلوب الحكيم يعني لا يهمك هذا السؤال الذي تتفكك عدم فراره عليه السلام
والله أعلم

والنبي صلى الله عليه وسلم

فإنه في رواية مسلم رواه سلمة بن الأكوع رضي الله عنه فلما غشوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض فاستقبل بها وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق أحد منهم إلا امتلأت عيناه من تلك القبضة من تراب وهزمهم الله ولا شك
أن النزول في وقت المحاربة فيه من الشجاعة ما لا يخفى ونسبة العرب من الأس
الركض الضرب بالرجل فمتى نسب إلى الراكب فهو إعلام مركوبه ومتى نسب إلى الماشي فوطئ
الأرض ش أي نادى عباس أمر رسول الله وكان صيتا كذا في شرح الموطأ
وقال الدلجي نادى رسول الله عليه السلام

وفي هذا الحديث استشعار بشجاعته عليه السلام يعني لا يرده راد ولا يقدر على مقاومته
أي لم يكن له كل أحد له صلى الله عليه وسلم وجوه منه لا يتحرك أحد عنده أحد
وقال شيخي ورد أحد مبالغة فإنه العاقل وغيره سواء في ذلك ش
أي أكثر رضى منه لأنه صلى الله عليه وسلم كان يرضى بكل شيء من ملبوس وما كول وغيره
ويحتمل أن المراد بالرضى عدم الغضب أي كان أكثر حالا عدم الغضب ش

أي وقف صلى الله عليه وسلم على حقيقة وفي الأساس استبرأت الشيء
طلبت آخره لأقطع الشبهة عني واستبرأ الأرض قلبها
يقال في الأدعية جربناه إذا لم يكن له لباس وغيره عري

دعا عليه لنفسه بالهلاك أي نجى الله حبيبه ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد أجاب
الله دعاءه فأهلكه والمعنى حين افتدى ولده عبد الله بن أبي لما أسر
يوم بدر وفي الحديث ليفتدي ابنه الأسير عنده عليه السلام كذا صححوه
صواب

أي

أي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بها انتفاضة
تطاير واعنه تطاير الشعر إذا انتفض ثم استقبله النبي
صلى الله عليه وسلم فطعنه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل
بل كسر ضلعا من أضلاعه فرجع إلى قريش يقول قتلني محمد وهم
يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بي بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال
أنا أقتلك والله لو بصق علي لقتلني فمات بسرف في قفولهم إلى مكة

فصل

وأما الحياء والإغضاء فالحياء رقة تعتري وجه الإنسان
عند فعل ما يتوقع كراهته أو ما يكون تركه خيرا من فعله والإغضاء
التغافل عما يكرهه الإنسان بطبيعته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات إغضاء قال الله سبحانه إن ذلكم
كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الآية وحدثنا أبو محمد بن عتاب رحمه الله
بقراءتي عليه ثنا أبو القاسم حاتم بن محمد ثنا أبو الحسن القابسي ثنا أبو زيد
المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبدان أنا عبد الله أنا
شعبة عن قتادة قال سمعت عبد الله مولى أنس عن أبي سعيد الخدري
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها
وكان إذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان صلى الله عليه وسلم لطيف
البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحدا بما يكرهه حياء وكرم نفس
وعن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بلغه
عن أحد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول ما بال
أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروي أنس أنه
دخل عليه رجل بأثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه أحدا بما
يكره فلما خرج قال لو أمرتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت
عائشة في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا
ولا سخابا بالأسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد
حكي مثل هذا الكلام عن التوراة من رواية عبد الله بن سلام وعبد الله بن عمرو
بن العاص وروي عنه أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد
وأنه كان يكنى مما اضطره الكلام إليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها
ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

فصل

وأما حسن عشرته
وأدبه وبسط خلقه صلى الله عليه وسلم مع أصناف الخلق فحيث

العذراء بعين مهملة وذال معجمة وراء مهملة وهذا الكلام الباقي يعذرها وهي جلدة يغشى
بها الفرج فإذا جومعت زالت فيقال افتضها وإزال عذرتها ش
الخدر بكسر الخاء المعجمة وسكون الدال المهملة وبالراء المهملة هو البيت أو ستر في جانب
البيت أو قبة تضرب لها ش

الصفرة الذي المعروف والمراد بها الزعفران والورس والزعفران يغير إنه كان خضب
بذلك فبقي عليه بقية منها ش ولو شيء يلبس جوابها محذوف وتقديره لصبغه
ونحوه وقيل إنها مصدرية أي ودوت قولكم لها ش
بفتح الزاي المعجمة يقال نزعه ينزعه كسأله يسأله إذا أزاله والسنخ من الرأي ش

الفحش كالأمر قبيح أو شديد القبح قولا أو فعلا والفاحش من يصدر عنه ذلك والتفحش
تشبه به وبالغ فيه والظاهر أن المراد به هنا إرادة اللسان وهنا وبغيره قوله ولا
صخابا بالأسواق صخاب بفتح وتشديد وصيغة مبالغة من الصخب وهو رفع الصوت
مبالغة فيه وهو بالصاد والسين وبكذا كلاما كاذبا معروف خلق تجوزا والقياس
مطردا وخص الأسواق لأنه فيها أفحش ولأنها محل واعاظ المنكرات وتجوزه فلا عاجبة
إليه سبحانه

عليه السلام

قط

انتشرت به الاخبار الصحيحة قال علي رضي الله عنه في وصفه صلى
الله عليه وسلم كان اوسع الناس صدرا واصدق الناس لهجة واكرمهم
عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسن علي بن مشرف الانماطي
فيما اجازنيه وقرأته على غيره ثنا ابو اسحاق الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس
ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن المثنى
قالا ثنا الوليد بن مسلم ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في اخرها فلما اراد الانصراف
قرب له سعد حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم قال سعد يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس
فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اركب فابيت فقال اما
ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية اركب اما مي
فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان صلى الله عليه وسلم يؤلفهم
ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه
يتفقد اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف
عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس
بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء هذا وصف
ابن ابي هالة قال وكان صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك
وقال ادفع بالتي هي احسن السيئة الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية
ولو كانت كراعا ويكافئ عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي اف قط ولا قال لشيء صنعته
لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته وعن عائشة رضي الله عنها
ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه
احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال جرير بن عبد الله ما حجبني

رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح
اصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره و
يجيب دعوة العبد والحر والامة والمسكين ويعود المريض في اقصى المدينة
ويقبل عذر المعتذر قال انس ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي
راسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي راسه وما اخذ احد بيده فيرسل يده حتى
يرسلها الاخر ولم ير مقدما ركبتيه بين يدي جليس له وكان يبدأ من لقيه
بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادا رجليه بين اصحابه
حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه ورب ما بسط له ثوبه ويؤثره
بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني اصحابه
ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى
يجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي
انه كان لا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلوته وسأله عن
حاجته فاذا فرغ عاد الى صلوته وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا
ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن انس كان خدم المدينة
يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الغداة بانيتهم فيها الماء
فما يؤتى باناء الا غمس يده فيها وربما كان ذلك في الغداة الباردة
يريدون به التبرك فصل واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع
الخلق فقد قال الله تعالى فيه عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين
رؤف رحيم وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم
من فضله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين
رؤف رحيم وحكى نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد
عبد الله بن محمد الخشني بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ثنا ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن
سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر ثنا ابن وهب ثنا يونس عن ابن شهاب
قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة وذكر حنينا قال فاعطى
رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية مائة من النعم ثم مائة ثم
مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان قال والله لقد
اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى

انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فاعطاه
ثم قال احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون
وقاموا اليه فاشار اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وارسل اليه
وزاده شيئا ثم قال احسنت اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة
خيرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس
اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم ما قلت بين يدي
حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغداة والعشي
جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال فزدناه
فزعم انه رضي اكذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيرا فقال
صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه
فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بيني
وبين ناقتي فاني ارفق بها منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من
قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها
واستوى عليها واني لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل
النار وروي عنه انه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغني احد منكم
عن احد من اصحابي شيئا فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر
ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم
وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم
لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخير صلاة
الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لثلا تتعنت امته
ورغبته لربه ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء
الصبي فيتجوز في صلاته من شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا
ربه وعاهدهم فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكوة
ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما
كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام فقال له ان الله قد سمع قول
قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك الجبال لتامره بما شئت
فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني بما شئت ان
شئت ان اطبق عليهم الاخشبين قال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك

بشيء

بشيء وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى
الله عليه وسلم ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك وقال
اوخر عن امتي لعل الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما
خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال
ابن مسعود كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة
السآمة علينا وعن عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا فيه صعوبة
فجعلت تردده فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق

فصل واما خلقه صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة
الرحم فحدثنا القاضي ابو عامر محمد بن اسماعيل بقراءتي عليه انا ابو بكر
محمد بن محمد انا ابو اسحاق الحبال انا ابو محمد بن النحاس انا ابن الاعرابي
انا ابو داود انا محمد بن يحيى انا محمد بن سنان انا ابراهيم بن طهمان عن بديل
عن عبد الكريم بن عبد الله بن سقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء
قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية
فوعدته ان آتيه بها في مكاني فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا هاهنا منذ ثلاث
انتظرك وعن انس كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اتي بهدية
قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت
تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها ما غرت على امرأة ما غرت
على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة
فيهديها الى خلائلها واستأذنت عليه اختها فارتاح اليها ودخلت
عليه امرأة فهش لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت
تاتينا ايام خديجة وان حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال
كان يصل ذوي رحمه من غير ان يوثرهم على من هو افضل منهم وقال
صلى الله عليه وسلم ان آل فلان ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما ابلها
ببلالها وقد سبى صلى الله عليه وسلم يا امامة ابنة زينب يحملها على
عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة قال وفد
وفد النجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم فقال
له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين
واني احب ان اكافئهم وللاحبي باخيه من الرضاعة القيما في سباياه

هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال لها ان احببت اقمت
عندي مكرمة محببة او متعتك ورجعت الى قومك
فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل رأيت النبي صلى الله
عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط
لها رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن
عمرو بن السائب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا
يوما فاقبل ابوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم
اقبلت امه فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر فجلست
عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاجلسه بين يديه وكان بعث الى ثويبة مولاة ابي لهب مرضعته
بصلة وكسوة فلما ماتت سأل من بقي من قرابتها فقيل لا احد
وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل
وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل
واما تواضعه صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته
فكان اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين
ان يكون نبيا ملكا او نبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال
له اسرافيل عند ذلك فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد
آدم يوم القيمة واول من تنشق عنه الارض واول شافع حدثنا ابو الوليد
بن العواد الفقيه بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع
وخمسمائة نا ابو علي الحافظ نا ابو عمر نا ابن عبد المؤمن نا
ابن داسة نا ابو داود نا ابو بكر بن ابي شيبة نا عبد الله بن نمير عن
مسعر عن ابي العنبس عن ابي العديس عن ابي مرزوق عن ابي غالب
عن ابي امامة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم متوكئا
على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما تقوم الاعاجم يعظم بعضها
بعضا وقال انما انا عبد آكل كما يأكل العبد
واجلس كما يجلس العبد وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس الفقراء ويجيب دعوة
العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيث ما انتهى به المجلس

جلس

جلس وفي حديث عمر عنه لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم انما
انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن انس رضي الله عنه ان امرأة كان
في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي يا ام فلان
في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال فجلست
فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس
رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار
ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني قريظة على حمار مخطوم بحبل
من ليف عليه اكاف وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير
والاهالة السنخة فيجيب قال وح صلى الله عليه وسلم على رجل رث
وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه
ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدي في حجه ذلك ما لج بدنة
ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش المسلمين طأطأ على رحله رأسه
حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم
قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا بين الانبياء ولا تخيروني
على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت ما لبث يوسف
في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك ابراهيم
وسيأتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن
عائشة والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم
يزيد على بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته
ويرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل
البعير ويعلف ناضحه ويأكل مع الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته
من السوق وعن انس ان كانت الامة من اماء اهل المدينة لتأخذ
بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت حتى تقضي
حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فلست بملك انما انا ابن امرأة تأكل القديد وعن
ابي هريرة دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى
سراويل وقال للوزان زن وارجح وذكر القصة قال
فوثبت الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها فجذب يده

وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم
ثم اخذ السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق
بشيئه ان يحمله **فصل** واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته
وعفته وصدق لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس
واعدل الناس واعف الناس واصدقهم لهجة منذ كان اعترف
له بذلك مجاروه وعداه وكان يسمى قبل نبوته الامين قال
ابن اسحاق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق الصالحة
وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحاربت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر
حكموا اول داخل عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل
وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع
بن خثيم كان يحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية
قبل الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم اني لامين في السماء امين
في الارض حدثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه نا ابو الفضل
ابن خيرون نا ابو بكر بن روح الحرة جدنا ابو علي التستري نا محمد بن محبوب
المروزي نا ابو عيسى الحافظ نا ابو كريب نا معاوية بن هشام عن
سفيان عن ابي اسحاق عن ناجية بن كعب عن علي رضي الله عنه ان ابا جهل
قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت
به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروي غيره
لا نكذبك وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي
ابا جهل يوم بدر فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع
كلامنا اخبرني عن محمد صادق ام كاذب فقال ابو جهل والله ان
محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل هرقل عنه ابا سفيان
فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا
وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم
واصدقكم حديثا وامانكم حتى اذا رأيتم في صدغيه
الشيب وجاء كم بما جاء كم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر وفي
الحديث عنه ما لمست يدي امرأة قط لا يملك رقها وفي حديث

على في وصفه صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة وقال صلى الله عليه
وسلم في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل لخبت وخسرت ان لم اعدل
قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم
في امرين الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس
منه قال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح
للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشراب واللهو ويوم الشمس
للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون ولكن نبينا صلى الله
عليه وسلم جزا نهاره ثلاثة اجزاء جزاء لله تعالى وجزاء لاهله وجزاء لنفسه
ثم جزا جزاءه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول بلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من
لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يأخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد
وذكر ابو جعفر الطبري عن علي عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان
اهل الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد
من ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب
فخرجت لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير
لعرس بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس
الشمس فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم
اهم بعد ذلك بسوء **فصل** واما وقاره صلى الله عليه وسلم
وصمته ونوديته ومروءته وحسن هديه فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ
اجازة وعارضت بكتابه نا ابو العباس الدلائي انا ابو ذر الهروي
انا ابو عبد الله الوراق نا ابو داود نا عبد الرحمن بن سلام نا حجاج بن
محمد عن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة
بن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج
شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وذلك كان اكثر جلوسه صلى الله عليه
وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم تربع وربما جلس

الفرقصاء وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في
غير حاجة يعرض عن من تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه
فصلا لا فضول ولا تقصير وكان ضحك اصحابه عنده التبسم
توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي هونا كانما ينحط
من صبب وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في مشيته
انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن
مسعود ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن
عبد الله كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل او ترسيل
قال ابن ابي هالة كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر
قالت عايشة رضي الله عنها كان صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو
عده العاد احصاه وكان صلى الله عليه وسلم يحب الطيب والرائحة
الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض عليهما ويقول حبب الي
من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلوة ومن
مروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب
والامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب
واستعمال خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد
تقدم من الاخبار انباء هذه اليسيرة ما يكفي وحسبك من تقلله
منها واعراضه عن زهرتها وقد سبقت اليه بحذافيرها وترادفت
عليه فتوحها ان نبي صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي
في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا
سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ والقاضي ابو عبد الله التميمي
قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي
ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين بن الحجاج ثنا ابو بكر بن ابي شيبة
ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود عن عايشة
قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام تباعا من خبز
حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين متواليين
ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما شبع آل

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله وقالت عايشة رضي
الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما ولا بعيرا
وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة
قالت عايشة ولقد مات صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو
كبد الا شطر شعير في رف لي وقال لي صلى الله عليه وسلم اني عرض
علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع
يوما فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم
والذي اشبع فيه واحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل
عليه السلام نزل عليه فقال له ان الله يقرئك السلام ويقول لك
ان شئت ان اجعل هذه الجبال ذهبا وتكون معك حيث ما كنت فاطرق
ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له
قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت
وعن عايشة قالت ان كنا آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان
هو الا التمر والماء وعن عبد الرحمن بن عوف هلك رسول الله صلى
عليه وسلم ولم يشبع هو واهل بيته من خبز الشعير وعن عايشة
وابي امامة وابن عباس نحوه قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي المتتابعة طاويا لا يجدون عشاء
وعن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة
ولا خبز له مرقق ولا راى شاة سميطا قط وعن عايشة انما كان فراشه
الذي ينام عليه ادما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيتي مثنى ثنيتين فنام عليه فثنيناه له
ليلة فقال ربع فلما اصبح قال ما فرشتم لي الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه
بحاله فان وطاءته منعتني الليلة صلاتي وكان ينام احيانا على سرير مرمول
بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن عايشة قالت لم يمتلئ جوف النبي
صلى الله عليه وسلم شبعا قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت النفقة
احب اليه من الغنى وان كان ليظل جايعا يلتوي طول ليله من الجوع
فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها
ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما ارى به وامسح بيدي على
بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو تبلغت من الدنيا بما يقوتك

قال
رضي الله عنها
رضي الله عنها

فيقول يا عائشة تعالي والله نبيا اخواني من اولي العزم من الرسل صبروا
على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم
مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحي ان ترفهت في معيشتي
ان يقصر بي غدا دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق
باخواني واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهرا حتى توفي صلى الله
عليه وسلم **فصل** وانما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته
فعلى قدر علمه بربه ولذلك قال فيما حدثنا ابو محمد بن عتاب قراءة
مني عليه قال ثنا ابو القاسم الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد
المروزي ثنا ابو عبد الله الفربري ثنا محمد بن اسماعيل ثنا يحيى بن
بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة
رضي الله عنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما
اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا زاد في روايتنا عن ابي عيسى
الترمذي رفعه الحابي ذر اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون
اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك
واضع جبهته ساجدا لله والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا و
لبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات
تجارون الى الله عز وجل لوددت اني شجرة تعضد وروى هذا
الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر نفسه وهو اصح
وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت
قدماه وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد
غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبدا شكورا
ونحوه عن ابي سلمة وابي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها
كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وايكم يطيق ما كان
يطيق وقالت كان صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر
حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس وقال كنت لا
نشاء ان تراه من الليل مصليا الا رايته مصليا ولا نائما الا رايته نائما
وقال عوف بن مالك كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فاستاك
ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة فلا
يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ

ثم ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة
ثم سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
وعن حذيفة مثله وقال سجد نحوا من قيامه وجلس بين السجدتين نحوا
منه وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة قام
رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة وعن عبد الله بن الشخير
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز كازيز
المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وقال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر
الله في اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال
سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة راس مالي
والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي
والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلوة وفي حديث آخر وثمرة فؤادي
في ذكره وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي **فصل** اعلم وفقنا
الله واياك ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم
من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع
المحاسن في هذه الصفة لانها صفات الكمال والتمام البشري والفضل
الجميع لهم صلوات الله عليهم اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع
الدرجات ولكن فضل الله بعضهم على بعض قال تعالى تلك الرسل
فضلنا بعضهم على بعض وقال ولقد اخترناهم على علم على العالمين
وقد ثبت في الصحيح ان اول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال
آخر الحديث على خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طوله
ستون ذراعا في السماء وفي حديث ابي هريرة رأيت موسى فاذا رجل ضرب
رجل افنى كانه من رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير
خيلان الوجه احمر كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن بمثل
السيف قال صلى الله عليه وسلم وانا اشبه ولد ابراهيم به وقال في
حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت راء من ادم الرجال
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم ما بعث الله

تعالى من بعد لوط نبيا الا في ذرية من قومه ويروى ذرية اي كثرة ومنعة
وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من حديث قتادة عن انس
ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها
واحسنهم صوتا وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه فذكرت انه فيكم
ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى في
ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى يا يحيى خذ
الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حيا وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران
على العالمين الآيتين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان الله
يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال اني عبد الله آتاني
الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين
آذوا موسى الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم
كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى من جسده شيء استحياء الحديث
وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الآية وقال في وصف جماعة منهم
اني لكم رسول امين وقال ان خير من استأجرت القوي الامين وقال
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحاق ويعقوب
كلا هدينا الى قوله فبهداهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح
والهدى والاجتباء والحكم والنبوة فقال فبشرناه بغلام عليم
وحليم وقال ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول
كريم الى امين وقال ستجدني ان شاء الله من الصابرين وقال في اسماعيل
انه كان صادق الوعد الآيتين وفي موسى انه كان مخلصا وفي
سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق
ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار وفي
داود انه اواب ثم قال وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
وفي موسى ستجدني ان شاء الله شعيب
ستجدني ان شاء الله من الصالحين وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما
انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وقال ولما بلغ اشده آتيناه حكما
وعلما وقال انهم كانوا يسارعون في الخيرات الآية قال سفيان هو الحزن

قيل المتكلم في عموم خطابه فلانه دانه يوسف عليه السلام كان احسن منه عليه السلام كما
وقع في حديث المعراج ان يوسف احسن ما خلق الله الا اضافة لاوفى
ملابسة اي حديث ذكر فيه مقال هرقل لانه حاوي المحدثين ان يسند الحديث الى
الصحابي

حكا مهملة وبالياء ثانيها مشددة بنزنة صبي اي كثير الحياء ستير بكسر السين المهملة
وكسر التاء المثناة بنزنة سكيت اي شديد الستر لذنبه من بالنصب اي اقرأ
الحديث الذي رواه البخاري عن ابي هريرة او تذكره وتتمته انه صلى الله عليه وسلم
لما كان يغتسل وحده قالوا انه انما يفعل هذا لبرص او ادرة به فذهب
مرة يغتسل وحده فشق ثوبه على حجر فهرب حجر على بني اسرائيل فرآه الملا الناس المحصنات
بنافي ما سمعوه وآذوه به

الدائم في اي كثيرة ذكر فيها من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة
على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث كثير كقوله صلى الله عليه وسلم
انا الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي وفي حديث انس وكذلك الانبياء تنام
اعينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع ما اعطي من الملك
لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم الناس لذائذ
الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى اليه يا راس العابدين وابن محجة
الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده فيأمر الريح
فتقف فيتظلم في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت
على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجائع وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم خفف على داود القرآن فكان
يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل
يده قال الله تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد
وكان سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت مال الله وقال
صلى الله عليه وسلم احب الصلاة الى الله صلاة داود واحب الصيام
الى الله صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام
سدسه ويصوم يوما ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش
الشعر ويأكل خبز الشعير بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع
ولم يرض حكما بعد الخطيئة ولا شاخصا ببصره الى السماء حياء
من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها وقيل بكى حتى نبت العشب
من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده اخدودا وقيل كان يخرج
متنكرا يتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه فيزداد تواضعا وقيل لعيسى
عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله من ان يشغلني بحمار
وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اين ما ادركه النوم نام
وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه السلام
لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال صلى الله
عليه وسلم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان
ذلك احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير
لقيه اذهب بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق

يسوء وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب وكان يبكي من خشية الله تعالى
حتى اتخذ الدمع مجرى في خده وكان يأكل مع الوحش لئلا يخالط الناس
وحكى الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نفرة
من حجر ويكرع فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه
به من كلامه واخباره وفي هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل
الاخلاق وحسن الصورة والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها
ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض جهلة المؤرخين او المفسرين
مما يخالف هذا **فصل** قد اتينا اكرمك الله من ذكر الاخلاق
الحميدة والفضائل الجيدة وخصال الكمال العديدة واردنا
صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلينا من الاثار ما فيه مقنع والامر
اوسع فمجال هذا الباب في حقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون
نفاده الادلاء ويحسر غلم خصايصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا
فيه بالمعروف مما اكثر في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا
في ذلك بقل من كل وشيض من فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر
حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه من شمائله واوصافه كثيرا و
ادماجه جملة كافية من سيره وفضائله ونصله بتنبيه لطيف على
غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
قال بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة ثنا الامام ابو القاسم عبد الله
بن طاهر النيسابوري قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن عبد الله
بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن احمد بن الحسن
المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا ثنا ابو القاسم
علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انا ابو سعيد الهيثم بن كليب الشاشي
انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان بن وكيع ثنا جميع
بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل من بني تميم من ولد
ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي
هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما قال سألت خالي هند بن
ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن
احمد بن خداداذ الكرخي بها قال لي قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن
خيرون قالا انا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران

قراءة

قراءة عليه فأقر به انا ابو محمد الحسن بن محمد بن يحيى بن جعفر بن عبيد الله
بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر
العلوي ثنا اسماعيل بن محمد بن اسحاق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب قال حدثني علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه
موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال
قال الحسن بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة
عن حلية رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجو ان
يصف لي منها شيئا اتعلق به قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر اطول من المربوع
واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان انفرقت
عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره
ازهر اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن
بينهما عرق يدره الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه يحسبه
من لم يتأمله اشم كث اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب
مفلج الاسنان دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة
معتدل الخلق بادنا متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين
اللبة والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر
الذراعين والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة
شثن الكفين والقدمين سائل الاطراف او قال سائد الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما
الماء اذا زال زال قلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية اذا مشى
كأنما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف نظره
الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة يسوق اصحابه
ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة
ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير دمثا
ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت ولا يذم شيئا لعينه

دواقا ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق شيء حتى ينتصر
له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار بكفه
كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه
جل ضحكه التبسم وتفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن الحسين
بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه عن مدخل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع منه
شيئا قال الحسين سألت ابي عن دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى الى منزله
جزأ دخوله ثلاثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ لنفسه
ثم جزأ جزءه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة
ولا يدخر عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل
باذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين
ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسألته
عنهم واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم
الغائب وابلغوني حاجة من لا يستطيع ابلاغ حاجته فانه من ابلغ
سلطانا حاجة من لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة
لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان
بن وكيع يدخلون رواد ولا يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة
يعني فقهاء قلت فاخبرني عن مخرجه كيف كان يصنع فيه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه الا مما يعنيهم ويؤلفهم
ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس
ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد
اصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويقويه ويقبح
القبيح ويوهنه معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا
او يملوا لكل حال عنده عتاد لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين
يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده اعمهم نصيحة واعظمهم
عنده منزلة احسنهم مواساة ومؤازرة فسألته عن مجلسه
عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس

ولا يقوم

ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها الى القوم
جلس حيث ينتهي به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا
يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاومه لحاجة صابره
حتى يكون هو المنصرف عنه من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول
قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متفاوتين
متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية الاخرى صاروا عنده في الحق سواء
مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا
تؤبن فيه الحرم ولا تنثى فلتاته وهذه الكلمة من غير الرواتين يتعاطفون
فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير و
يوثرون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله
عليه وسلم في جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم
البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا
فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا ييأس منه قد ترك
نفسه من ثلاث المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان
لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم
اطرق جلسائه كأنما على رؤوسهم الطير واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده
الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما
يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق
ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة يطلبها فارفدوه ولا يطلب الثناء الا
من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه حتى يجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام
هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد الآخر قلت كيف كان سكوته
صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير و
التفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع بين الناس واما تفكره ففيما
يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه
وجمع له في الحذر اربع اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى
عنه واجتهاد الرأي بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا و
الآخرة انتهى الوصف بحمد الله تعالى **فصل** في تفسير غريب هذا
الحديث ومشكله قوله المتذب اي البائن الطول في نحافة وهو
مثل قوله في الحديث الآخر ليس بالطويل المتمغط والشعر الرجل الذي

واذا انتهى

كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا جعد والعقيقة شعر
الرأس اراد انه تفرقت من ذات نفسها فرقها والا تركها معقوصة
ويروى عقيصة وازهر اللون نيره وقيل ازهر حسن ومنه
زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الاخر ليس
بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض و
الادم الاسمر اللون ومثله فى الحديث الاخر ابيض مشرب اى
فيه حمرة والحاجب الازج المقوس الطويل الوافى الشعر والاقنى
السائل الانف المرتفع وسطه والاشم الطويل قصبة الانف
والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده البلج ووقع فى حديث
ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد الحدقة وفى
الحديث الاخر اشكل العين واشجر العين وهو الذى فى بياضها حمرة
والصليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل رقتها
وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين
الثنايا ودقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة
بادن ذو لحم وممسك معتدل الخلق يمسك بعضه
بعضا مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم
اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم الغضير الذقن وسواء
البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت
هذه اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه
كان بادى الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه
وبه يتضح قوله قبل سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس
الصدر ولا مفاض البطن ولعل اللفظ مسيح بالسين وفتح
الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكاه ابن دريد والكراديس
رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل المشاش والكتد
والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين ومشاش الكفين و
القدمين لحمهما والزندان عظما الذراعين وسائل الاطراف اى طويل
الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى سائل الاظراف او قال سائل
بالنون قال وهما بمعنى واحد تبدل اللام من النون ان صحت الرواية
بها وانما على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى

فخامة

فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة فى الحديث ورحب الراحة اى
واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود وخمصان الاخمصين اى مجافى
اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض من وسط القدم ومسيح
القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء وفى حديث ابى هريرة
خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها ليس له اخمص
وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح ع
عيسى بن مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا
ايضا يخالف قوله شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة و
التكفؤ الميل الى سنن المشى وقصده والهون الرفق والوقار والذريع
الواسع الخطو اى ان مشيته كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد
خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح
الكلام ويختمه باشداقه اى لسعة فيه والعرب تتمادح بهذا
وتذم بصغر الفم واشاح مال وانقبض وحب الغمام البرد
وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة اى جعل من جزء نفسه ما
يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل يجعل منه للخاصة
ثم يبدلها فى جزء اخر بالعامة ويدخلون دوادا اى محتاجين اليه
وطالبين لما عنده ولا ينصر قود الاعن ذواق قيل عن علم يتعلمونه
ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد العدة
والشئ الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اى لا يتخذ لصلاته موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا
مفسرا فى غير هذا الحديث وصابر اى حبس نفسه على ما يريد
صاحبه ولا تؤبن فيه الحرم اى لا يذكرن بسوء ولا تنثى فلتاته
اى يتحدث بها اى لم تكن فيه فلتة وان كانت من احد سترت ويوفد
بعينوه واستحياء الكعيب الصياح وقوله ولا يقبل الثناء الا من
مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل الا من مسلم وقيل الا
من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم له ويستفزه
يستخفه وفى حديث اخر فى وصفه منهوس العقب اى قليل
لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها الباب الثالث

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه ومنزلته
وما خصه به في النادرين من كرامته صلى الله عليه وسلم لا خلاف انه
اكرم البشر وسيد ولد ادم وافضل الناس منزلة عند الله واعلاهم درجة
واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا وقد
اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معاني ما وردت منها في
اثني عشر فصلا فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه والاصطفاء

الفصل الاول

ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد ادم وما خصه به في الدنيا
من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد عبد الله بن
احمد العدل اذنا بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغاني حدثنا ام القاسم بنت
ابي بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم وهو ابن عقيل عن يحيى هو ابن اسماعيل
عن يحيى الحماني ثنا فليح عن الاعمش عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم الخلق قسمين فجعلني من خيرهم قسما
فذلك قوله اصحاب اليمين واصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب
اليمين ثم جعل القسمين اثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله اصحاب
الميمنة واصحاب المشامة والسابقون السابقون فانا من السابقين
وانا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبايل فجعلني من خيرها قبيلة وذلك
قوله وجعلناكم شعوبا وقبايل الاية فانا اتقى ولد ادم واكرمهم على الله ولا
فخر ثم جعل القبايل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله
ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وعن ابي سلمة عن ابي هريرة قال
قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وادم بين الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى
من ولد ابراهيم اسماعيل واصطفى من ولد اسماعيل بني كنانة واصطفى من بني
كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم ومن
حديث انس انا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي حديث ابن عباس انا اكرم
الاولين والاخرين ولا فخر وعن عايشة عنه صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل
فقال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني
ابا افضل من بني هاشم وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق
ليلة اسري به فاستصعب عليه فقال له جبريل ايحمد تفعل هذا
فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وعن ابن عباس عنه

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لما خلق الله ادم اهبطني في صلبه الى الارض وجعلني
في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب ابراهيم ثم لم يزل
ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى اخرجني بين
ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد المطلب
رضي الله عنه عمه فيه بقوله

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... الجم نسرا واهله الغرق
تنقل من صالب الى رحم ... اذا مضى عالم بدا طبق

في ابيات اخر وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وابن عمر وابن عباس
وابو هريرة وجابر بن عبد الله انه قال اعطيت خمسا وفي بعضها ستا
لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض مسجدا
وطهورا وايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل واحلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة وفي رواية
بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض علي اني فلم
يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود قيل السود
العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم وقيل البيض والسود
من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن ابي هريرة رضي الله
عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن
عقبة بن عامر انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني فرطكم وانا شهيد عليكم و
اني والله لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض و
اني والله ما اخاف عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا
فيها وعن عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي اوتيت جوامع الكلم وخواتمه و
علمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر بعثت بين يدي الساعة
ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى
سل يا محمد فقلت ما اسئل يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي

لاحمد من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك
الكوثر وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت
الارض طهورا لك ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما
تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا لك ولم اصنع ذلك
لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبات لك
شفاعتك ولم اخباها لنبي غيرك وفي حديث اخر رواه
حذيفة بشرني يعني ربه اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون
الفا مع كل الف سبعون الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا
يجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصر والعزة والرعب يسعى
بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي المغانم واحل لنا كثيرا
مما شدد على من قبلنا ولم يجعل علينا في الدين من حرج وعن
ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من
الانبياء الا وقد اعطي من الايات ما مثله امن عليه البشر وانما
كان الذي اوتيت وحيا اوحى الله الي فارجو ان اكون اكثرهم
تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت
الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت لحينها ولم يشاهدها
الا الحاضرها ومعجزة القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا
لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام يطول هذا نخبته وقد بسطنا
القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا اخر باب المعجزات وعن علي
رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطي
نبيكم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن
مسعود وعمار وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس
عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لا تحل
لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة من نهار وعن الغرياض بن
سارية سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اني عند الله وخاتم
النبيين وان ادم لمجدل في طينته وعدة ابي ابراهيم وبشارة عيسى بن
مريم وعن ابن عباس قال ان الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء
وعلى الانبياء صلوات الله عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال
ان الله قال لاهل السماء ومن يقل منهم اني اله من دونه

الاية

الاية وقال لمحمد انا فتحنا لك فتحا مبينا الاية قالوا فما فضله على
الانبياء قال ان الله قال وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه الاية
وقال لمحمد وما ارسلناك الا كافة للناس وعن خالد بن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول
الله اخبرنا عن نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس
وانس بن مالك فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم يعني قوله ربنا وابعث
فيهم رسولا منهم وبشر بي عيسى ورات امي حين حملت بي انه
خرج منها نور اضاء له قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في
بني سعد بن بكر فبينا انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاءني
رجلان عليهما ثياب بيض وفي حديث اخر ثلاثة رجال بطست من ذهب
مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال في غير هذا الحديث من نحري الى
مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء
فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقياه وقال في حديث
اخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلاء ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر
الاخر يده على مفرق صدري فالتام وفي رواية ان جبريل قال
قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران واذنان تسمعان ثم
قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني فرجحتهم ثم
قال زنه بماية من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من
امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته
لوزنها قال في الحديث الاخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي
وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم تروع انك لو تدري ما يراد بك
من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما اكرمك
على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا
عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمر
قندي وغيرهما ان ادم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي
خطيئتي ويروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت
في كل موضع من الجنة مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى
محمد عبدي ورسولي فعلمت انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له

وهذا عند قائله تأويل قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات وفي
رواية الاجري فقال آدم لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك
فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت انه ليس
احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان آدم يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن سريج
بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عيادتها كل دار فيها
احمد او ذكر اسم منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن فايغ القاضي
عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي وفي
التفسير عن ابن عباس في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال لوح من
ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب عجبا لمن
ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها كيف
يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس
على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله لا
اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب
محمد تقي مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض
بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى
الآخر مكتوب محمد رسول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند ورد احمر
مكتوبا عليه بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد
عن ابيه اذا كان يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة
لكرامة اسمه صلى الله عليه وسلم وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في
جامعه عن مالك قال سمعت اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد
الا ناوروزقوا ورزق جيرانهم وعنه صلى الله عليه وسلم ما ضر احدكم ان
يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة وعن علي رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم قط في مشورة معهم رجل اسمه محمد لم يدخلوا
في مشورتهم الا لم يبارك لهم رواه جماعة منهم ابن عتاب وعن عبد الله بن
مسعود ان الله نظر الى قلوب العباد فاختار منها قلب محمد صلى الله عليه وسلم
فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته وحكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت

وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا
الاية قام خطيبا فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا
وفضل نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث **فصل** في تفضيله صلى الله
عليه وسلم بما تضمنته كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء
والعروج به الى سدرة المنتهى وما راى من ايات ربه الكبرى ومن خصائصه
صلى الله عليه وسلم قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة
نابئة عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله
سبحانه وتعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام
الى المسجد الاقصى الاية وقال تعالى والنجم اذا هوى الى قوله لقد راى
من ايات ربه الكبرى فلا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به صلى الله
عليه وسلم اذ هو نص القرآن وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص
محمد نبينا صلى الله عليه وسلم فيه احاديث كثيرة منتشرة راينا ان نقدم
اكملها ونشير الى زيادة من غيره يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو
علي والفقيه ابو بحر سماعي عليهما والقاضي ابو عبد الله التميمي وغير واحد
من شيوخنا قالوا حدثنا ابو العباس العذري ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو
احمد الجلودي ثنا ابو سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا
حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل
يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته
بالحلقة التي تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم
خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل
اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا
بادم صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية
فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث
اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا
صلى الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة
فذكر مثل الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي
شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله

فاذا انا بادريس صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى ورفعناه
مكانا عليا ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه
الصلوة والسلام فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة
فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا
ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة واذا ثمرها
كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشى تغيرت فما احد من خلق الله
يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله الي ما اوحى ففرض علي خمسين
صلاة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك
قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك
لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى
ربي فقلت يا ربي خفف عن امتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت
حط عني خمسا قال ان امتك لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله
التخفيف قال فلم ازل ارجع بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال
يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك
خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها
كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئا فان عملها كتبت
له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى
ربك فاسأله التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت
الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله
هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يأت احد عنه باصوب من هذا وقد
خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا لا سيما من رواية شريك
بن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له وشق بطنه وغسله
بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي وقد قال شريك في
حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء ولا خلاف
انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة
وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا
مجيء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند

طيني

طيني وشقه قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء
كما رواه الناس فجود في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس
والى سدرة المنتهى كانت قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس
ثم عرج به من هناك فازاح كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس
عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر يحدث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله
من ماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغها في صدري
ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء فذكر القصة وروى
قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة وفيها تقديم
وتأخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء في السموات
وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث الاسراء
زيادات تذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن شهاب
وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم و
ابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج
بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس ثم
انطلق به حتى اتى سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري ما هي
قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
يعني موسى بكا فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي
يدخل من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة
وقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلاة فاممتهم فقال
قائل يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني
بالسلام وفي حديث ابي هريرة ثم ساد حتى اتى بيت المقدس فنزل
فربط فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة
قالوا يا جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين
قالوا وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة
فنعم الاخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم
وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود و
سليمان ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال
وان محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه فقال كلكم اثنى

عَلَى دِينِهِ وَأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً
لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ
فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطًا
وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الْأَوَّلُونَ وَهُمُ الْآخِرُونَ وَشَرَحَ لِي صَدْرِي
وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي وَجَعَلَنِي فَاتِحًا وَخَاتِمًا
فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بِهَذَا فَضَّلَكُمْ مُحَمَّدٌ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ
الدُّنْيَا وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ نَحْوًا مِمَّا تَقَدَّمَ وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ
وَانْتَهَى بِي إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ إِلَيْهَا
يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا
يُهْبَطُ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا قَالَ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى
قَالَ فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ مِنْ طَرِيقِ أَبِي تَبِيعٍ بْنِ
أَنَسٍ فَقِيلَ لِي هَذِهِ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَنْتَهِي إِلَيْهَا كُلُّ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِكَ
خَلَا عَلَى سَبِيلِكَ وَهِيَ السِّدْرَةُ الْمُنْتَهَى يَخْرُجُ مِنْ أَصْلِهَا أَنْهَارٌ
مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ
لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَهِيَ شَجَرَةٌ يَسِيرُ الرَّاكِبُ
فِي ظِلِّهَا سَبْعِينَ عَامًا وَإِنَّ وَرَقَةً مِنْهَا مُظِلَّةٌ الْخَلْقَ فَغَشِيَهَا
نُورٌ وَغَشِيَتْهَا الْمَلَائِكَةُ قَالَ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ
مَا يَغْشَى فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ سَلْ فَقَالَ إِنَّكَ اتَّخَذْتَ إِبْرَاهِيمَ
خَلِيلًا وَأَعْطَيْتَهُ مُلْكًا عَظِيمًا وَكَلَّمْتَ مُوسَى تَكْلِيمًا وَأَعْطَيْتَ دَاوُدَ
مُلْكًا عَظِيمًا وَأَلَنْتَ لَهُ الْحَدِيدَ وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِبَالَ وَأَعْطَيْتَ سُلَيْمَانَ
مُلْكًا عَظِيمًا وَسَخَّرْتَ لَهُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ وَالشَّيَاطِينَ وَالرِّيَاحَ وَأَعْطَيْتَهُ
مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَّمْتَ عِيسَى التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَجَعَلْتَهُ يُبْرِئُ
الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأَعَذْتَهُ وَأُمَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِمَا سَبِيلٌ
فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَدِ اتَّخَذْتُكَ حَبِيبًا فَهُوَ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَاةِ مُحَمَّدٌ
حَبِيبُ الرَّحْمَنِ وَأَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجَعَلْتُكَ أُمَّتَكَ هُمُ الْأَوَّلُونَ
وَهُمُ الْآخِرُونَ وَجَعَلْتُ أُمَّتَكَ لَا تَجُوزُ لَهُمْ خُطْبَةٌ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّكَ
عَبْدِي وَرَسُولِي وَجَعَلْتُكَ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ خَلْقًا وَآخِرَهُمْ بَعْثًا وَأَعْطَيْتُكَ
سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَلَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ وَأَعْطَيْتُكَ خَوَاتِيمَ
سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ عَرْشِي لَمْ أُعْطِهَا نَبِيًّا قَبْلَكَ وَجَعَلْتُكَ

فَاتِحًا

فَاتِحًا وَخَاتِمًا وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ
لِمَنْ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا مِنْ أُمَّتِهِ الْمُحَمَّاتُ وَقَالَ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ
مَا رَأَى الْأَيْنَ رَأَى جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ وَفِي حَدِيثِ
شَرِيكٍ أَنَّهُ رَأَى مُوسَى فِي السَّابِعَةِ قَالَ بِتَفْضِيلِ كَلَامِ اللَّهِ قَالَ ثُمَّ عَلَا
بِهِ فَوْقَ ذَلِكَ بِمَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ فَقَالَ مُوسَى لَمْ أَظُنَّ أَنْ يُرْفَعَ عَلَيَّ أَحَدٌ
وَقَدْ رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ
بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بَيْنَا أَنَا قَاعِدٌ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ دَخَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَوَكَزَ بَيْنَ
كَتِفَيَّ فَقُمْتُ إِلَى الشَّجَرَةِ فِيهَا مِثْلُ وَكْرِ الطَّائِرِ فَقَعَدَ فِي وَاحِدَةٍ
وَقَعَدْتُ فِي الْأُخْرَى فَنَمَتْ حَتَّى سَدَّتِ الْخَافِقَيْنِ وَلَوْ شِئْتُ لَمَسَسْتُ
السَّمَاءَ وَأَنَا أُقَلِّبُ طَرْفِي وَنَظَرْتُ جِبْرِيلَ كَأَنَّهُ حِلْسٌ لَأَطِئٌ فَعَرَفْتُ
فَضْلَ عِلْمِهِ بِاللَّهِ عَلَيَّ وَفُتِحَ لِي بَابُ السَّمَاءِ وَرَأَيْتُ النُّورَ الْأَعْظَمَ وَإِذَا
الْحِجَابُ وَفُرُجُهُ الدُّرُّ وَالْيَاقُوتُ ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا شَاءَ أَنْ يُوحِيَ
وَذَكَرَ الْبَزَّارُ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى
أَنْ يُكَلِّمَ رَسُولَهُ إِلَّا أَنْ جَاءَهُ جِبْرِيلُ بِدَابَّةٍ يُقَالُ لَهَا الْبُرَاقُ
فَذَهَبَ يَرْكَبُهَا فَاسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ اسْكُنِي فَوَاللَّهِ
مَا رَكِبَكِ عَبْدٌ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَكِبَهَا حَتَّى
أَتَى بِهَا إِلَى الْحِجَابِ الَّذِي يَلِي الرَّحْمَنَ تَعَالَى فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ خَرَجَ
مَلَكٌ مِنَ الْحِجَابِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا جِبْرِيلُ مَنْ هَذَا
قَالَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي لَأَقْرَبُ الْخَلْقِ مَكَانًا وَإِنَّ هَذَا الْمَلَكَ مَا رَأَيْتُهُ
مُنْذُ خُلِقْتُ قَبْلَ سَاعَتِي هَذِهِ فَقَالَ الْمَلَكُ اللَّهُ أَكْبَرُ اللَّهُ أَكْبَرُ فَقِيلَ
لَهُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا أَكْبَرُ ثُمَّ قَالَ الْمَلَكُ أَشْهَدُ أَنْ لَا
إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقِيلَ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ صَدَقَ عَبْدِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا وَذَكَرَ مِثْلَ هَذَا فِي بَقِيَّةِ الْأَذَانِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ جَوَابًا عَنْ قَوْلِهِ حَيَّ
عَلَى الْفَلَاحِ وَقَالَ ثُمَّ أَخَذَ الْمَلَكُ بِيَدِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَقَدَّمَهُ فَأَمَّ أَهْلَ السَّمَاءِ فِيهِمْ آدَمُ وَنُوحٌ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ
بْنِ الْحُسَيْنِ رَاوِيهِ أَكْمَلَ اللَّهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
الشَّرَفَ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَالَ الْقَاضِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
فهم والمحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه إذ الحجاب مما
يحيط بمقدر محسوس ولكن حجبه على أبصار خلقه وبصائرهم وأدراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله كلا إنهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب وإذ خرج ملك من الحجاب
يجب أن يقال إنه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع
على ما دونه من سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل
عليه من الحديث قول جبريل عن الملك الذي خرج من ورائه إن
هذا الملك ما رأيته منذ خلقت قبل ساعتي هذه فدل أن هذا
الحجاب لم يختص بالذات ويدل عليه قول كعب في تفسير سدرة
المنتهى قال إليها ينتهي علم الملائكة وعندها يجدون أمر الله
لا يجاوزها علمهم وأما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على حذف
المضاف أي يلي عرش الرحمن أو أمر الرحمن أو أمر عظيم آياته أو مبادي
حقائق معارفه مما هو أعلم به كما قال تعالى واسئل القرية أي أهلها
وقوله فقبل من وراء الحجاب صدق عبدي أنا آمر وظاهره
أنه سمع في هذا الموطن كلام الله ولكن من وراء حجاب كما قال وما كان
لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أي وهو لا يراه بحجب
بصره عن رؤيته فإن صح القول بأن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى
ربه فيحتمل أنه في غير هذا الموطن بعد هذا أو قبله ورفع الحجاب عن بصره
حتى رآه والله أعلم **فصل** ثم اختلف السلف والعلماء هل
كان إسراؤه بروحه أو جسده على ثلاث مقالات فذهبت طائفة
إلى أنه إسراء بالروح وأنه رؤيا منام مع إنفاقهم أن رؤيا
الأنبياء حق ووحي وإلى هذا ذهب معاوية وحكي عن الحسن والمشهور
عنه خلافه وإليه أشار محمد بن إسحاق وحجتهم قوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي أريناك وما حكوا عن عائشة
ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله بينا أنا نائم
وقول أنس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم قال في آخرها
فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف والمسلمين
إلى أنه إسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهو قول أنس

وجابر

وجابر وأنس وحذيفة وعمر وأبي هريرة ومالك بن صعصعة وأبي
حبة البدري وابن مسعود والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة
وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وإبراهيم ومسروق
ومجاهد وعكرمة وابن جريج وهو دليل قول عائشة رضي الله عنها
وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول
أكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت
طائفة كان الإسراء بالجسد يقظة من المسجد الحرام إلى بيت المقدس
وإلى السماء بالروح واحتجوا بقوله سبحان الذي أسرى بعبده ليلا
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء
الذي وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد
صلى الله عليه وسلم وإظهار الكرامة له بالإسراء إليه قال هؤلاء
ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره
فيكون أبلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان هل صلى ببيت
المقدس أم لا ففي حديث أنس وغيره ما تقدم من صلاته فيه وأنكر
ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زال عن ظهر البراق حتى رجعا
قال القاضي رحمه الله والحق من هذا والصحيح إن شاء الله تعالى
أنه إسراء بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح
الأخبار والاعتبار ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل
إلا عند الاستحالة إذ لو كان منامًا لقال بروح عبده ولم يقل بعبده
وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان منامًا لكانت فيه آية ولا معجزة
ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من أسلم
وافتتنوا به إذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم إلا وقد
علموا أن خبره إنما كان عن جسده وحال يقظته إلى ما ذكر في الحديث
من ذكر صلاته بالأنبياء ببيت المقدس في رواية أنس وفي السماء على ما
روى غيره وذكر مجيء جبريل له بالبراق وخبر المعراج واستفتاح
السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الأنبياء فيها وخبرهم
معه وترحيبهم به وسنانه في فرض الصلاة ومراجعته مع موسى في
ذلك وفي بعض هذه الأخبار فأخذ بيدي جبريل بيدي فعرج بي إلى السماء
إلى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام

وأنه وصل إلى سدرة المنتهى وأنه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره
قال ابن عباس هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا
منام وعن الحسن فيه بينا أنا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني
بعقبه فقمت فجلست فلم أر شيئا فعدت لمضجعي فذكر ذلك ثلاثا
فقال في الثالثة فأخذ بعضدي فجررت إلى باب المسجد فإذا بدابة
وذكر خبر البراق وعن أم هانئ قالت ما أسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم إلا وهو في بيتي تلك الليلة صلى العشاء الآخرة
ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما صلى الصبح وصلينا قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء
الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت
فيه ثم صليت الغداة معكم الآن كما ترون وهذا بين في أنه بجسمه
وعن أبي بكر من رواية شداد بن أوس عنه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ليلة أسري به طلبتك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم البارحة في مكانك
فلم أجدك فأجابه أن جبريل حمله إلى المسجد الأقصى وعن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة أسري بي في مقدم
المسجد ثم دخلت الصخرة فإذا بملك قائم معه آنية ثلاث
وذكر الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل
على ظاهرها وعن أبي ذر عنه صلى الله عليه وسلم فرج سقف بيتي
وأنا بمكة فنزل جبريل فشرح صدري ثم غسله بماء زمزم
إلى آخر القصة ثم أخذ بيدي فعرج بي وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال أتيت فانطلق بي إلى زمزم فشرح عن صدري وعن
أبي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن
مسراي فسألتني عن أشياء لم أثبتها فكربت كربا ما كربت
مثله قط فرفعه الله لي أنظر إليه وبنحوه عن جابر وقد روى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه في حديث الإسراء عنه صلى الله عليه وسلم
أنه قال ثم رجعت إلى خديجة وما تحولت عن جانبها **فصل**
في إبطال الحجج من قال إنها نوم احتجوا بقوله تعالى وما جعلنا
الرؤيا فسماها رؤيا قلنا قوله سبحان الذي أسرى بعبده برؤية
لأنه لا يقال في النوم أسرى وقوله فتنة للناس يريد أنها رؤيا عين

وأسراء

وإسراء بشخص إذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به أحد لأن كل أحد
يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في أقطار متباينة
على أن المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم
إلى أنها نزلت في قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك
وقيل غير هذا وأما قولهم إنه قد سماها في الحديث منامات وقوله
في حديث آخر بين النائم واليقظان وقوله أيضا وهو نائم
وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه إذ قد يحتمل أن أول وصول الملك
إليه كان وهو نائم وأول حمله والإسراء به وهو نائم وليس في
الحديث أنه كان نائما في القصة كلها إلا ما يدل عليه ثم استيقظت
وأنا في المسجد الحرام فلعل قوله استيقظت بمعنى أصحت واستيقظ
من نوم آخر بعد وصوله بيته صلى الله عليه وسلم ويدل عليه
أن مسراه لم يكن طول ليلة وإنما كان في بعضه وقد يكون قوله
استيقظت وأنا في المسجد الحرام لما كان عمره من عجائب ما طالع
من ملكوت السموات والأرض وخامر باطنه من مشاهدة
الملأ الأعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستيقظ ويرجع إلى
حال البشرية إلا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث أن يكون نومه
واستيقاظه حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه أسري بجسده وقلبه
حاضر ورؤيا الأنبياء حق تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال
بعض أصحابنا الإشارات إلى نحو من هذا قال تغميض عينيه لئلا يشغله
شيء من المحسوسات عن الله ولا يصح هذا إلا أن يكون في وقت صلاته
بالأنبياء ولعله كانت له في هذا الإسراء حالات ووجه رابع
وهو أن يعبر بالنوم هاهنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ونحوه
قوله في رواية عبد بن حميد عن همام بينا أنا نائم وربما قال مضطجع
وفي رواية هدبة عنه بينا أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع
وقوله في الرواية الأخرى بين النائم واليقظان فيكون سمي هيئته
بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم إلى أن هذه
الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في
هذا الحديث إنما هي من رواية شريك عن أنس فهي منكرة من روايته
إذ شق البطن في الأحاديث الصحيحة إنما كان في صغره صلى الله عليه وسلم

وقبل النبوة ولانه قال في الحديث قبل ان يبعث والاسراء
باجماع كان بعد البعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس
مع ان الشافي قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم
يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك
بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله عن مالك بن صعصعة
على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عايشة رضي الله
عنها ما فقد جسده فعايشة لم تحدث به عن مشاهدة لانها
لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت
بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول
الاسلام على قول الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف
وكانت عايشة في الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان
الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل الهجرة بعام والاشبه انه
لخمس والحجة لذلك تطول وليست من غرضنا فاذا لم نشاهد
ذلك عايشة دل على انها حدثت بذلك عن غيرها فلم يرجح خبرها
على خبر غيرها وغيرها يقول خلاف مما وقع نصا في حديث ام هاني
وغيره وايضا فليس حديث عايشة بالثابت والاحاديث الاخر
اثبت لسنا نعني حديث ام هاني وما ذكرت فيه خديجة وايضا
فقد روي في حديث عايشة ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله
عليه وسلم الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح
قولها انه بجسده لا انكارها ان تكون رؤياه لربه رؤيا عين ولو كانت
عندها منامًا لم تنكره فان قيل فقد قال تعالى ما كذب
الفؤاد ما راى فقد جعل ما راه للقلب وهذا يدل على انها
رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى فقد اضاف الاثر الى البصر وقد قال
اهل التفسير في قوله ما كذب الفؤاد ما راى اعني يوهم
القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل ما انكر قلبه
ما راته عينه صلى الله عليه وسلم **فصل** واما رؤيته
صلى الله عليه وسلم لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته
عايشة رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين سراج بن عبد الملك

الحافظ

الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب الفقيهان
قالا ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن
ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن ادم ثنا وكيع
عن ابن المجالد عن عامر عن مسروق انه قال لعايشة يا ام المؤمنين
هل راى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلث من حدثك
بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا راى ربه فقد كذب ثم قرأت لا
تدركه الابصار الاية وذكر الحديث وقال جماعة بقول عايشة وهو
المشهور عن ابن مسعود ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال انما
راى جبريل واختلف عنه وقال بانكار هذا واتباع روايته في الدنيا
جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين وعن ابن عباس انه راه بعينيه
وروي عطاء عنه انه راه بقلبه وعن ابي العالية عنه راه بفؤاده مرتين
وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر ارسل الى ابن عباس يسئله هل راى محمد ربه
فقال نعم والاشهر عنه انه راى ربه بعينيه وروي ذلك عنه من طرق
وقال ان الله اختص موسى بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا صلى الله عليه
وسلم بالرؤية وحجته قوله تعالى ما كذب الفؤاد ما راى افتمارونه على
ما يرى ولقد راه نزلة اخرى قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه
ورؤيته بين موسى ومحمد فراه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين **وحكى**
ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية عن كعب وروى عبد الله
بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس انا نحن بنو
هاشم فنقول ان محمدا قد راى ربه مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى فكلمه موسى وراه
محمد بقلبه وروى سنيك عن ابي ذر في تفسير الاية قال راى النبي صلى الله
عليه وسلم ربه وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي وربيع بن انس ان
النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رايت ربك قال رايته بفؤادي ولم اره
بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رايت ربي وذكر كلمة وقال يا محمد فيم يختصم الملاء الاعلى الحديث وحكى
عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد راى محمد ربه وحكاه ابو معمر
الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود
وحكى ابن اسحاق ان مروان سال ابا هريرة هل راى محمد ربه فقال نعم

وحكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس بعينيه
راه راه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد بن حنبل
راه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال سعيد بن جبير
لا اقول راه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الاية عن ابن عباس وعكرمة
والحسن وابن مسعود فحكي عن ابن عباس وعكرمة راه بقلبه وعن
الحسن وابن مسعود راى جبريل وحكى عبد الله ابن احمد بن حنبل
عن ابيه انه قال راه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك
قال شرح صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن
علي بن اسماعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه راى الله
ببصره وعيني راسه وقال كل اية او تيسها نبي من الانبياء عليهم السلام
فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية
ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز
ان يكون قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والحق الذي لا امتراء فيه
ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها
والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال
ان يجهل نبي ما يجوز على الله وما لا يجوز عليه بل لم يسئل الا جائزا غير
مستحيل ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه
الله فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له
مثلا لما هو اقوى من بنية موسى واثبت وهو الجبل وكل هذا ليس
فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع
دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة
غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار
لاختلاف التاويلات في الاية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا
الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الاية نفسها على جواز الرؤية وعدم
استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار
لا تحيط به وهو قول ابن عباس وقد قيل لا تدركه الابصار وانما يدركه
المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها
وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الاية وقوله تبت اليك لما قدمنا
ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها لن تراني في الدنيا

انما

انما هو تاويل وايضا فليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق
موسى وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس لقطع
اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر
الهذلي في قوله تعالى لن تراني اي ليس لبشر ان يطيق ان ينظر الي في الدنيا
وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما منعناه
ان رؤيته تعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تركيب اهل الدنيا وقواهم
وكونها متغيرة غرضا للافات والفناء فلم تكن لهم قوة على
الرؤية فاذا كان في الاخرة وركبوا تركيبا اخر وذوقوا قوى ثابتة
باقية وايدتم اتوا ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية
وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه
باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الاخرة وزوقوا ابصارا باقية
رؤي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على
الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء
من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم تمتنع في حقه وقد تقدم
ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ونعوذ اذ راكهما بقوة الهية
مخالفا لادراك ما ادركاه ورؤية ما راياه والله اعلم وقد ذكر القاضي
ابو بكر في اثناء اجوبته عن الايتين ما معناه ان موسى عليه السلام راى
الله فلذلك خر صعقا وان الجبل راى ربه فصار دكا باذن الله خلقه الله
له واستنبط ذلك والله اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني ثم قال تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا
وخر موسى صعقا وتجليه للجبل هو ظهوره له حتى راه على هذا القول
وقال جعفر بن محمد شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا
بلا افاقة وقوله هذا يدل على ان موسى راه وقد وقع لبعض المفسرين
في الجبل انه راه وبرؤية الجبل له استدل من قال برؤية محمد
نبينا له اذ جعله دليلا على الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في
الايات نص بالمنع واما وجوبه لنبينا صلى الله عليه وسلم والقول
بانه راه بعينيه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه على
ابني النجم والتنازع فيهما ماثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر
قاطع متواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث

ابن عباس خبر عن اعتقاده لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب
العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ
يحتمل التاويل وهو مضطرب الاسناد والمتن وحديث ابي ذر الاخر مختلف
محتمل مشكل فروى نوراني اراه وحكى بعض شيوخنا انه روى نوراني اراه وفي
حديثه الاخر سالته فقال رايت نورا وليس يمكن الاحتجاج بواحد
منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رايت نورا فهو قد اخبر انه
لم ير الله وانما راى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله والى هذا يرجع
قوله نوراني اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي
للبصر وهذا مثل ما جاء في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث
الاخر لم اره بعيني ولكن رايته بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله
قادر على خلق الادراك الذي في البصر في القلب او كيف شاء لا اله
غيره فان ورد حديث نص بين في الباب اعتقد ووجب المصير اليه
اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله الموفق **فصل**
واما ما ورد في هذه القصة من مناجاة الله وكلامه معه بقوله
تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته الاحاديث فاكثر
المفسرين على ان الموحي الله الى جبريل وجبريل الى محمد الا شذوذا
منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى الله
اليه بلا واسطة ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض
المتكلمين ان محمدا كلم ربه في الاسراء وحكي عن الاشعري
وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس وانكره اخرون وذكر النقاش
عن ابن عباس في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله دنا
فتدلى قال قاربني جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام
ربي وهو يقول ليهدا روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس
في الاسراء نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا
فيوحي باذنه ما يشاء فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم
موسى وبارسال الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله
عليه وسلم الثالث قوله وحيا ولم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة
مع المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي

دون

دون واسطة وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي في حديث الاسراء
ما هو اوضح في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله من الاية
فذكر فيه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب
صدق عبدي انا اكبر انا اكبر وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك
ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين في الفصل بعد هذا مع ما
يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله لمحمد صلى الله عليه
وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا ولا ورد في الشرع
قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى لموسى
كان حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر دلالة
على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة
بسبب كلامه ورفع محمدا فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع صريف
الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان
من خص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات **فصل**
واما ما ورد في حديث الاسراء وظاهر الاية من الدنو والقرب من قوله
دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو و
التدلي منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما
من الاخر او من السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس هو
محمد دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب
وقيل هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس
هو الرب دنا من محمد فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى
فقرب منه فاراه ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال
وقال ابن عباس هو مقدم ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى
الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنى من
ربه قال قاربني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت
كلام ربي وعن انس في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة
المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب
قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى اليه خمسين
صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد دنا من ربه

فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان
منه كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله لا حد له ومن
العباد بالحدود وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف
حجب جبريل عن دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة
والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه وزال عن قلبه الشك
والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع من
اضافة الدنو والقرب هنا من الله او الى الله فليس بدنو مكان
ولا قرب مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد
وانما دنو النبي من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف
رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتاييد وبسط واكرام وتاول
فيه ما يتاول في قوله ينزل ربنا الى سماء الدنيا على احد الوجوه
نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي من توهم
انه بنفسه دنا جعل نفسه مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق
تدلى بعدا يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله فكان
قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عائدا الى الله لا الى جبريل على هذا
كان عبارة عن نهاية القرب ولطيف المحل وانضاح المعرفة والاشراف
على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعيانه عن اجابة الرغبة و
قضاء المطالب واظهار المخفي وانافة المنزلة والمرتبة من الله له وتاول
فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني
يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان والتعجيل
المامول **فصل** في ذكر تفضيله في القيامة بخصوص الكرامة حدثنا
القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى
ثنا السجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي
ثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الزبير بن انس عن انس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا
وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا يئسوا لواء الحمد بيدي
وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية بن زمر عن الربيع
ابن انس في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا

وانا

وانا قايدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم
اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء الكرم بيدي وانا
اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف خادم كانهم لؤلؤ مكنون
وعن ابي هريرة واكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس
احد من الخلايق يقوم ذلك المقام غيري وعن ابي سعيد قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر
وما نبي يومئذ ادم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق الارض عنه
ولا فخر وعن ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد ادم يوم القيامة
واول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله
عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها ومعي فقراء
المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس انا اول
الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن انس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة وتدرون
لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن
ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم قال اطمع ان اكون اعظم الانبياء
اجرا يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابراهيم وعيسى
فيكم يوم القيمة ثم قال انهما في امتي يوم القيمة انا ابراهيم فيقول
انت دعوتي وذريتي فاجعلني من امتك وانا عيسى فالانبياء اخوة بنو
علات امهاتهم شتى وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به
قوله انا سيد الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن
اشار صلى الله عليه وسلم لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره
اذ لجاء الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا الناس
اليه في حوايجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم
يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال تعالى لمن الملك اليوم لله
الواحد القهار والملك له تعالى في الدنيا والاخرة ولكن في الاخرة
انقطعت دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك جاء الى محمد
صلى الله عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة
دون دعوى وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أتي باب الجنة يوم القيمة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فأقول
محمد فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك وعن عبد الله بن عمرو قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حوضي مسيرة شهر وزواياه
سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك كيزانه كنجوم
السماء من شرب منه لم يظمأ أبدا وعن أبي ذر نحوه وقال طوله ما
بين عمان إلى أيلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن ثوبان مثله
وقال أحدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة بن وهب
كما بين المدينة وصنعاء وقال أنس أيلة وصنعاء وقال ابن عمر كما بين
الكوفة والحجر الأسود وروى حديث الحوض أيضا أنس وجابر بن سمرة وابن
عمر وعقبة ابن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي والمستورد وأبو
برزة الأسلمي وحذيفة بن اليمان وأبو أمامة وزيد بن أرقم وابن مسعود
وعبد الله ابن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وأبو بكر وعمر بن
الخطاب وابن بريدة وأبو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وأبو هريرة
والبراء وجندب وعائشة وأسماء بنت أبي بكر وأبو بكرة وخولة
بنت قيس وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين **فصل** في تفضيله
صلى الله عليه وسلم بالمحبة والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة
واختص صلى الله عليه وسلم على ألسنة المسلمين بحبيب الله أخبرنا
أبو القسم بن إبراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت أحمد قالت
ثنا أبو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي
أبو الوليد ثنا عبد بن أحمد ثنا أبو الهيثم ثنا أبو عبد الله محمد بن يوسف
ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا أبو عامر ثنا فليح ثنا أبو
النضر عن بسر بن سعيد عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه قال لو كنت متخذا خليلا غير ربي لاتخذت أبا بكر وفي حديث آخر وإن
صاحبكم خليل الله ومن طريق عبد الله بن مسعود وقد اتخذ
الله صاحبكم خليلا وعن ابن عباس قال جلس ناس من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم
يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا إن الله اتخذ من خلقه
خليلا وقال آخر ما ذا بأعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر
فعيسى كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم

فسلم

فسلم وقال قد سمعت كلامكم وعجبكم إن الله اتخذ
إبراهيم خليلا وهو كذلك ولموسى صفي الله وهو كذلك وعيسى
روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب
الله ولا فخر وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع
ولا فخر وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر
وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر وفي حديث أبي هريرة
رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم اتخذتك
خليلا فهو مكتوب في التورية أنت حبيب الرحمن قال القاضي أبو الفضل
رضي الله عنه اختلف في تفسير الخلة وأصل اشتقاقها فقيل الخليل
المنقطع إلى الله الذي ليس في انقطاعه إليه ومحبته له اختلال وقيل
الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم أصل
الخلة الاستصفاء وسمي إبراهيم خليل الله لأنه يتولى فيه ويعادي
فيه وجعله الله له نصرة وجعله إماما لمن بعده وقيل الخليل أصله
الفقير المحتاج المنقطع مأخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي
بها إبراهيم لأنه قصر حاجته على ربه وانقطع إليه بهمه ولم يجعله
قبل غيره إذ جاءه جبريل وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال
ألك حاجة قال أما إليك فلا وقال أبو بكر بن فورك الخلة صفاء
المودة التي توجب الاختصاص بتخلل الأسرار وقال بعضهم أصل
الخلة المحبة ومعناها الإسعاف والإلطاف والترفيع والتشفيع
وقد بين ذلك تعالى في كتابه بقوله وقالت اليهود والنصارى
نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب
أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة
قد تكون معها العداوة كما قال تعالى إن من أزواجكم وأولادكم عدوا
لكم ولا يصح أن تكون عداوة مع خلة فإذا نسبة إبراهيم ومحمد كليهما
الصلاة والسلام بالخلة إما بانقطاعهما إلى الله ووقف حوائجهما
عليه والانقطاع عمن دونه والإضراب عن الوسائط والأسباب
أو لزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفي لطائفه عندهما وما ظل
بواطنهما من أسرار الهيبة ومكنون غيوبه ومعرفته والاستغناء
لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره

وأنا طابل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر

الوستاذ الإمام

ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلبه لسواه وهو عندهم معنى
قوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا
لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما ارفع
درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا يكون الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم بالخلة ومحمدا
صلى الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج
بقوله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد
اطلق المحبة صلى الله عليه وسلم لفاطمة وابنيها واسامة وغيرهم
واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا صلى
الله عليه وسلم ارفع من درجة الخليل ابراهيم عليه السلام وافضل
المحبة الميل الى ما يوافق المحبوب ولكن هذا في حق من يصح الميل منه
والانتفاع بالرفق وهي درجة المخلوق فاما الخالق جل جلاله فمنزه
عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه من سعادته وعصمته وتوفيقه
وتهيئة اسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقصواها كشف
الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر اليه ببصيرته فيكون
كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره
الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به فلا ينبغي ان يفهم من هذا سوى
التجرد لله والانقطاع اليه والاعراض عن غير الله وصفاء القلب لله
واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه
القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه ومن هذا عبر بعضهم عن الخلة
بقوله * قد تخللت مسلك الروح مني * وبذا سمي الخليل خليلا
* فاذا ما نطقت كنت حديثي * واذا ما سكت كنت الغليلا
فاذا مزية الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم
بما دلت عليه الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة
وكفى بقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية
حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت قالت الكفار انما يريد محمد
ان نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله غيظا لهم ورغما
على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله والرسول فزاده شرفا بامرهم
بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على التولي عنه بقوله فان تولوا

فان

فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر بن فورك عن بعض
المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول جملة اشاراته الى تفضيل
مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا يهدي الى ما بعده فمن ذلك قولهم
الخليل يصل بالواسطة من قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات و
الارض والحبيب يصل الى حبيبه من قوله فكان قاب قوسين او ادنى وقيل
الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع من قوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين والحبيب الذي مغفرته في حد اليقين من قوله ليغفر لك
الله ما تقدم الآية والخليل قال ولا تخزني والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله
النبي فابتدأ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحبة حسبي الله و
الحبيب قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق
في الآخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من
تفضيل المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا فصل في تفضيله بالشفاعة والمقام المحمود قال الله تعالى عسى ان
يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ ابو علي الغساني الجياني فيما كتبه
الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد
قالا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل ثنا اسماعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص
عن آدم بن علي قال سمعت ابن عمر يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثا
كل امة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود
وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني
قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب
بن مالك عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على
تل ويكسوني ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك
المقام المحمود وعن ابن عمر وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى ياخذ بحلقة
الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود عنه صلى الله
عليه وسلم انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبطه به الاولون
والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي رواية هو المقام الذي اشفع لامتي

فيه وعن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام
المحمود قيل وما هو قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث
وعن ابي موسى عنه صلى الله عليه وسلم خيرت بين ان يدخل نصف امتي
الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين لا
ولكنها للمذنبين الخطائين الملوثين وعن ابي هريرة قلت يا رسول الله ماذا اورد
عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا الله مخلصا يصدق لسانه
قلبه وعن ام حبيبة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى
امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق لهم من الله ما سبق للامم قبلهم
فسألت الله ان يؤتيني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل وقال حذيفة يجمع الله
الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر حفاة عراة
كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي محمد فيقول لبيك وسعديك
والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدي من هديت وعبدك بين يديك
وبك واليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب
البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر الله وقال ابن عباس اذا دخل اهل
النار النار واهل الجنة الجنة فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من
النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون
فيسمعهم اهل الجنة فيسألون آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر
حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ويحكى عن
ابن مسعود ايضا ومجاهد وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال جابر بن عبد الله بن يزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه
الله فيه قال نعم قال فانه مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله
به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة في اخراج الجهنميين وعن
انس رضي الله عنه نحوه وقال فهذا المقام المحمود الذي وعده وعن سلمان ان المقام
المحمود هو الشفاعة في امته يوم القيمة وقال قتادة كان اهل العلم يرون
المقام المحمود شفاعته يوم القيمة وعلى ان المقام المحمود هو مقامه
صلى الله عليه وسلم للشفاعة مذاهب السلف من الصحابة والتابعين
وعامة ائمة المسلمين وبذلك جاءت مفسرة في صحيح الاخبار
عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة في تفسيرها شاذة
عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح اثر ولا

سديد

سديد نظر ولو صحت لكان لها تاويل غيره مستنكر لكن ما فسره
النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت
اليه مع انه لم يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفقت على المقال به امة
وفي اطلاق ظاهره منكر من القول وشنعة وفي رواية انس وابي
هريرة وغيرهما دخل حديث بعضهم في حديث بعض قال صلى الله عليه
وسلم يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم
في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه فتدنو الشمس فيبلغ الناس
من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا تنظرون من يشفع
لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم انت آدم ابو البشر خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته
وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا
الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله
مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيأتون نوحا فيقولون
انت اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى
ما نحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول ان ربي
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله
نفسي نفسي قال في رواية انس ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله
ربه بغير علم وفي رواية ابي هريرة وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون
انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه
فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كلمات
كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم الله
وفي رواية فانه عبد آتاه الله التورية وكلمه وقربه نجيا قال
فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب و
قتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله
وكلمته فيأتون عيسى فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فآتي فاقول انا لها فانطلق فاستأذن

على ربي عز وجل فيؤذن لي فاذا رايته وقعت ساجدا وفي
رواية فاتي تحت العرش فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم
بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر عليها الا ان يلهمنيها الله وفي
رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه
على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد ارفع
راسك وسل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب
امتي يا رب امتي فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من
الباب الايمن من ابواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من
الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل وقال مكانه ثم اخر ساجدا
فيقال لي يا محمد ارفع راسك وقل يسمع لك واشفع تشفع وسل
تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في قلبه مثقال
حبة من بر او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم ارجع
الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة من
خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في
قلبه ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة
الرابعة فيقال لي ارفع راسك وقل يسمع واشفع تشفع واسل تعطه
فاقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك لك
ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من
قال لا اله الا الله وفي رواية قتادة عنه قال فلا ادري في الثالثة
او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي وجب
عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة ابن عامر وابي سعيد وحذيفة مثله
قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتاتي الامانة والرحم فيقومان جنبتي الصراط
وذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة فيأتون محمدا فيشفع فيضرب
الصراط فيمرون اولهم كالبرق ثم كالريح والطير وشد الرجال ونبيكم صلى
الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر اخر
جواز الحديث وفي رواية ابي هريرة فاكون اول من يجيز وعن ابن
عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم توضع للانبياء منابر
يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما بين يدي ربي عز وجل منتصبا
فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول يا رب

عجل

عجل حسابهم فيدعا بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا برجال
قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت افضت
ربك في امتك من بقية ومن طريق دياد النميري عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال انا اول من تنفلق الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد
الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تنفتح له
الجنة ولا فخر فاتي فاخذ بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح
لي فيستقبلني الجبار سبحانه وتعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما
تقدم ومن رواية انس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن
يوم القيمة لاكثر مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ
هذه الاثار ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات
الى اخرها من حين يجمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم
العرق والشمس والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ
لاراحة الناس من الموقف ثم بوضع الصراط ويحاسب الناس كما
جاء في الحديث عن ابي هريرة وحذيفة وهذا الحديث اتقن فيشفع في
تعجيل من لا حساب عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع
فيمن وجب عليه العذاب ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث
الصحيحة ثم فيمن قال لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم
وفي الحديث المنتشر الصحيح لكل نبي دعوة يدعو بها واختبات دعوتي
شفاعة لامتي يوم القيمة قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها مستجابة لهم
ويبلغ فيها مرغوبهم والا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا
صلى الله عليه وسلم منها ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين
الرجاء والخوف وضمنت لهم اجابة دعوة فيما شاؤوه يدعون بها
على يقين من الاجابة وقد قال محمد بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في
هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها في امته فاستجيب له وانا اريد ان
اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة وفي رواية ابي صالح لكل نبي دعوة
مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية ابي زرعة عن ابي هريرة وعن
انس مثل رواية ابن زياد عن ابي هريرة فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة
بالامة مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سال لامته

أشياء من أمور الدين والدنيا أعطى بعضها ومنع بعضها وادخرهم
هذه الدعوة ليوم الفاقة وخاتمة المحن وعظيم السول والرغبة
جزاه الله أحسن ما جزا نبينا عن أمته وصلى الله على سيدنا وآله
وصحبه أجمعين **فصل في تفضيله في الجنة بالوسيلة والدرجة**
الرفيعة والكوثر والفضيلة حدثنا القاضي أبو عبد الله محمد بن
عيسى التميمي والفقيه أبو الوليد هشام بن أحمد بقراءتي عليه قالا ثنا
أبو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا أبو بكر التمار ثنا أبو داود
ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن أبي أيوب
عن كعب بن علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص
أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما
يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله
تعالى لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله
وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة
وفي حديث آخر عن أبي هريرة الوسيلة أعلى درجة في الجنة وعن
أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا أسير في الجنة
إذ عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا
الكوثر الذي أعطاكه الله قال ثم ضرب بيده إلى طينة فاستخرج
مسكا وعن عائشة وعبد الله بن عمرو مثله قال وبحراه على الدر
والياقوت وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج وفي رواية عنه
فإذا هو يجري ولما يستق شفاه عليه حوض ترد عليه أمتي وذكر حديث
الحوض ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن ابن عباس أيضا قال الكوثر
الخير الذي أعطاه الله إياه وقال سعيد بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير
الذي أعطاه وعن حذيفة فيما ذكر صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل
وأعطاني الكوثر نهر في الجنة يسيل في حوضي وعن ابن
عباس في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ألف قصر
من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية أخرى
وفيه ما ينبغي له من الأزواج والخدم **فصل فإن**
قلت إذا تقرر من دليل القرآن وصحيح الأثر
واجماع الأمة كونه أكرم البشر وأفضل الأنبياء فما معنى

الأحاديث

الأحاديث الواردة بنهيه عن التفضيل كقوله فيما حدثناه الأستاذ
قال ثنا التميمي قندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت
أبا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد أن يقول
أنا خير من يونس بن متى وفي غير هذا الطريق عن أبي هريرة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث أبي هريرة في اليهودي
الذي قال والذي اصطفى موسى صلى الله عليه وسلم على البشر فلطمه رجل
من الأنصار وقال تقول ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا
فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفضلوا بين الأنبياء وفي رواية
لا تخيروا بين موسى فذكر الحديث وفيه ولا أقول أن أحدا أفضل
من يونس بن متى وعن أبي هريرة ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد
كذب وعن ابن مسعود لا يقولن أحدكم أنا خير من يونس بن متى وفي حديثه
الآخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك إبراهيم **فاعلم** أن للعلماء
في هذه الأحاديث تأويلات أحدها أن نهيه عن التفضيل كان قبل أن
يعلم أنه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل إذ يحتاج إلى توقيف وأن
من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا أقول أن أحدا أفضل
منه لا يقتضي تفضيله هو وإنما أتى الظاهر كف عن التفضيل الوجه الثاني
أنه قال صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع ونفي التكبر والعجب
وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث أن لا يفضل بينهم تفضيلا
يؤدي إلى تنقص بعضهم أو الغض منه لا سيما في جهة يونس عليه السلام
إذ أخبر الله عنه بما أخبر لئلا يقع في نفس من لا يعلم منه الغضاضة
والحطاط من رتبته الرفيعة إذ قال تعالى عنه إذ ذهب مغاضبا فظن
أن لن نقدر عليه فربما يخيل لمن لا علم عنده حط ذلك الوجه
الرابع منع التفضيل في حق النبوة والرسالة فإن الأنبياء فيها
على حد واحد إذ هي شيء واحد لا يتفاضل وإنما التفاضل في زيادة
الأحوال والخصوص والكرامات والرتب والألطاف وأما النبوة
في نفسها فلا تتفاضل وإنما التفاضل بأمور أخر زائدة عليها
ولذلك منهم رسل ومنهم أولو عزم من الرسل ومنهم من رفع

اقول

قاله

مكانا عليا ومنهم من اوتي الحكم صبيا واوتي بعضهم
الزبر وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات
قال الله تعالى ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض الاية وقال
تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية قال بعض اهل العلم والتفضيل
المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال ان تكون اياته ومعجزاته
ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون في ذاته
افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى ما يخصه الله به من كرامته
واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
اثقالو
ان للنبوة عقبة وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم موضع الفتنة من اوهام من يسبق اليه
بسببها جرح في نبوته او قدح في اصطفائه وحط من رتبته ووهن
في عصمته شفقة منه صلى الله عليه وسلم على امته وقد يتوجه
على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون انا راجعا الى القائل
تقديره اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة والطهارة ما بلغ
انه خير من يونس لاجل ما حكي الله عنه فان درجة النبوة افضل
واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردل ولا ادنى و
وسنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله فقد بان لك
الغرض وسقط بما حررناه شبهة المعترض فصل في اسمائه صلى الله
عليه وسلم وما فضل به حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه ثنا ابو عمر
الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم ابن اصبغ ثنا محمد بن وضاح
ثنا يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا
احمد وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد سماه الله عز وجل في كتابه
محمدا واحمد فمن خصائصه تعالى له انه ضمن اسمائه ثناءه وطوى ثناءه
ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من صفة الحمد
ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل
من حمد وافضل من حمد واكثر الناس حمدا فهو احمد المحمودين

واحمد

واحمد الحامدين ومعه لواء الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشهر
في تلك العرصات بصفة الحمد ويبعثه ربه هناك مقاما محمودا كما
وعد يحمده فيه الاولون والاخرون بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه
من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره وسمى امته في
كتب انبيائه الحمادين فحقيق ان يسمى محمدا واحمد ثم في هذين الاسمين
من عجائب خصائصه وبدائع اياته فن اخر وهو ان الله جل اسمه
حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب وبشرت
به الانبياء فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد غيره ولا يدعى
به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب او شك وكذلك
محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل
وجوده صلى الله عليه وسلم وبلاوه ان نبيا يبعث اسمه محمد فسمى
قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك ورجاء ان يكون احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالاته وهم محمد بن احيحة ابن الجلاح الاوسي
ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان
بن مجاشع ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم
ويقال اول من سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن يقول بل محمد بن اليحمد
من الازد ثم حمى الله كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها له
احدا ويظهر عليه سبب يشكك احدا في امره حتى تحققت
السنتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما وانا قوله وانا الماحي
الذي يمحو الله بي الكفر تفسير في الحديث ويكون محو الكفر عاما اما من
مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه يبلغه ملك
امته او يكون المحو عاما بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى ليظهره
على الدين كله وقد ورد تفسير في الحديث انه الذي محيت به سيئات
من اتبعه وقوله انا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ويروى على
عقبي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال تعالى وخاتم النبيين
وسمي عاقبا لانه عقب غيره من الانبياء وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس
بمشاهدتي كما قال تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا
ومعنى قوله لي خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة وعند
اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه عليه السلام لي

وفي الصحيح وانا العاقب الذي ليس بعدي نبي

عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل في بعض
تفاسير طه انه يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه السلمي عن
الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره الى عشرة اسماء فذكر الخمسة التي
في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول الملاحم
وانا المقفى قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل كذا وجدته
ولم اره وارى ان صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعده عن الحربي وهو
اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه السلام
اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم بمعناه
وروى النقاش عنه عليه الصلوة والسلام في القران سبعة اسماء
محمد واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث جبير
بن مطعم هي ست محمد واحمد وخاتم وحاشر وعاقب وماحي وفي
حديث ابي موسى الاشعري انه كان صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه
اسماء فيقول انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ويروى
الرحمة ونبي الرحمة وكل صحيح ان شاء الله ومعنى المقفي معنى العاقب وقيل
المتبع للنبيين وانما نبي الرحمة والتوبة والرحمة والراحة فقد قال تعالى
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب
والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال
في صفة امته انها امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتوا
صوا بالرحمة اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه الله تعالى صلى الله عليه وسلم رحمة له تعالى
رحمة لامته ورحمة للعالمين ورحيما بهم ومترحما ومستغفرا لهم وجعل امته
امة مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها صلى الله عليه وسلم بالتراحم واثنى
عليها فقال ان الله يحب من عباده الرحماء وقال صلى الله عليه وسلم الراحمون
يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء واما راية نبي
الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال والسيف صلى الله عليه وسلم
وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث ابي موسى وفيه ونبي الرحمة
ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه صلى الله عليه وسلم
انه قال انا في ملك فقال لي انت قثم اي يجتمع الناس بيني قال والقثوم
الجامع للخير وهذا اسمه هو في اهل بيته صلى الله عليه وسلم معلوم
وقد جاءت من القابه صلى الله عليه وسلم وسماته في القران

عدة

عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر والنذير
والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين وخاتم النبيين
والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة للعالمين ونعمة الله
والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم الثاقب والكريم والنبي
الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات جليلة وجرى منها في كتب
الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله واطلاق الامة جملة
شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القسم والحبيب ورسول
رب العالمين والشفيع المشفع والمفتقى والمصلح والطاهر
والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد ولد ادم وسيد
المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين وحبيب الله وخليل
الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام المحمود وصاحب
الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج والمعراج
واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والبغل وصاحب
الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب الحمارة
والنعلين ومن اسمائه في الكتب المتوكل والمختار ومقيم السنة والمقدس
وروح القدس وروح الحق وهو معنى البارقليط في الانجيل وقال نعب
البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل ومن اسمائه في الكتب
السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا والخاتم
والخاتم حكاه كعب الاحبار قال نعب فالخاتم الذي ختم الانبياء
والخاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية مشفع
والنحما واسمه ايضا في التورية احيد وروي ذلك عن ابن سيرين
ومعنى صاحب القضيب اي السيف وفسر ذلك مفسرا في الانجيل
قال معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحتمل
على انه القضيب الممشوق الذي كان يمسكه صلى الله عليه وسلم
وهو الان عند الخلفاء واما الهراوة التي وصف بها في اللغة العصا
وارا هاوالله اعلم العصا المذكورة في حديث الحوض ازود الناس
عنه بعصاي لاهل اليمن واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن
حينئذ الا للعرب والعمائم تيجان العرب واوصافه والقابه وسماته
في الكتب كثيرة وفيما ذكرنا منها مقنع ان شاء الله تعالى

مشفع مشقع مشفع نسخ

المشهورة أبا القاسم وروي عن أنس رضي الله عنه أنه لما ولد له
إبراهيم جاء جبريل فقال له السلام عليك يا أبا إبراهيم **فصل**
في تشريف الله تعالى له بما سماه به من أسمائه الحسنى ووصفه به من
صفاته العلى قال القاضي أبو الفضل المص رحمه الله ما أحرى هذا
الفصل بفصول الباب الأول لانخراطه في سلك مضمونها وامتزاجه
بعذب معينها لكن لم يشرح الله الصدر للهداية إلى استنباطه ولا
أثار الفكر في استخراج جوهره والتقاطه إلا عند الخوض في الفصل
الذي قبله فرأينا أن نضيفه إليه ونجمع به شمله. فاعلم أن الله تعالى
خص كثيرا من أنبيائه بكرامة خلعها عليهم من أسمائه كتسمية
إسحاق وإسماعيل بعليم وحليم وإبراهيم بحليم ونوح بشكور
وعيسى ويحيى ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف بحفيظ عليم
وأيوب بصابر وإسماعيل بصادق الوعد كما نطق بذلك الكتاب
العزيز من مواضع ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم
بأن حلاه منها في كتابه العزيز وعلى السنة أنبيائه بعدة كثيرة
اجتمع لنا منها جملة بعد إعمال الفكر وإحضار الذكر إذ لم نجد
من جمع منها فوق اثنين ولا من تفرغ فيها لتأليف فصلين
وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى
كما ألهمنا إلى ما علمنا منها وحققه بيمن التنعة بإبانته ما لم يظهره لنا
الآن ويفتح علقه **فمن أسمائه تعالى الحميد** ومعناه المحمود لأنه
حمد نفسه وحمده عباده ويكون أيضا بمعنى الحامد لنفسه
ولأعمال الطاعات وسمى النبي صلى الله عليه وسلم محمدا وأحمد
فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبور داود اسمه وأحمد بمعنى
أكبر من حمد وأجل من حمد وقد أشار إلى نحو هذا حسان رضي الله عنه
بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
أسمائه تعالى الرؤوف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه
بذلك فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم ومن أسمائه تعالى الحق المبين
ومعنى الحق الموجود والمتحقق أمره وكذلك المبين أي البين
أمره والمبينة بان وأبان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده أمر دينهم
ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال

حتى

حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال فقل إني أنا النذير المبين وقال
قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد
وقيل القرآن ومعناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره
وهو بمعنى الأول والمبين البين أمره ورسالته والمبين عن الله
ما بعثه به كما قال لتبين للناس ما نزل إليهم **ومن أسمائه تعالى**
النور ومعناه ذو النور أي خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار
ومنور قلوب المؤمنين بالهداية وسماه نورا فقال قد جاءكم من الله نور
وكتاب مبين قيل محمد وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح
أمره وبيان نبوته وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به **ومن أسمائه**
تعالى الشهيد ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيامة وسماه
شهيدا وشاهدا فقال إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول
عليكم شهيدا وهو بمعنى الأول **ومن أسمائه تعالى الكريم** ومعناه الكثير
الخير وقيل المفضل وقيل العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في
أسمائه تعالى الأكرم وسماه الله تعالى كريما بقوله إنه لقول رسول كريم
قيل محمد وقيل جبريل وقال صلى الله عليه وسلم أنا أكرم ولد آدم ومعاني
الاسم صحيحة في حقه صلى الله عليه وسلم **ومن أسمائه تعالى العظيم** و
معناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه وقال في النبي صلى الله عليه وسلم
وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في أول سفر من التوراة عن إسماعيل عليه
السلام وستلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم وعلى خلق عظيم **ومن**
أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل العلي العظيم الشأن
وقيل المتكبر وسمى النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود بجبار
فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرايعك مقرونة
بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه
الأمة بالهداية والتعليم ولقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر
وعظيم خطره ونفى عنه تعالى في القرآن جبرية التكبر التي لا تليق به
فقال وما أنت عليهم بجبار **ومن أسمائه تعالى الخبير** ومعناه المطلع
يكنه الشيء العالم بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن
فاسئل به خبيرا قال القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله
عليه وسلم والمسؤول الخبير هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل

المخبر نسخة

النبي والمسؤل هو الله تعالى فالنبي خبير بالوجهين المذكورين قيل لانه عالم
على غاية من العلم بما اعلمه الله به من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر
لامته بما اذن له في اعلامهم به ومن اسمائه تعالى الفتاح ومعناه
الحاكم بين عباده او فاتح ابواب الرزق والرحمة والمنغلق من امورهم
عليهم او يفتح قلوبهم وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون ايضا بمعنى الناصر
كقوله ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح اي ان تستنصروا فقد جاءكم
النصر وقيل معناه مبتدي الفتح والنصر وسمى الله تعالى نبيه محمدا
صلى الله عليه وسلم بالفاتح في حديث الاسراء الطويل من رواية
الربيع بن انس عن ابي العالية وغيره عن ابي هريرة وفيه من قول الله
تعالى وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه من قول النبي صلى الله عليه وسلم
في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري وجعلني فاتحا وخاتما
فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم او الفاتح لابواب الرحمة على امته
والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله او الناصر للحق
او المبتدي بهداية الامة والمبدا المقدم في الانبياء والخاتم لهم
كقوله صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث
ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور ومعناه المثيب على العمل القليل
وقيل المثني على المطيعين ووصف بذلك نبيه ثناء عليه السلام
فقال انه كان عبدا شكورا وقد وصف النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا اي معترفا بنعم ربي عالما
بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي في الزيادة من ذلك لقوله
تعالى ولئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه تعالى العليم والعلام
وعالم الغيب والشهادة وقد وصف نبيه صلى الله عليه وسلم
بالعلم وخصه بمرتبة منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل
الله عليك عظيما وقال تعالى ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم
ما لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول
ولا اخر وقال صلى الله عليه وسلم كنت اول الانبياء في الخلق واخرهم
في البعث وفسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك ومن نوح فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو

منه

منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومنه قوله نحن الاخرون السابقون
وقوله صلى الله عليه وسلم انا اول من تنشق الارض عنه واول من يدخل
الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين واخر الرسل
صلى الله عليه وسلم وعليهم اجمعين ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين
ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي
العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه صلى الله عليه وسلم
بالصادق والمصدوق ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر
وقد قال الله تعالى انما وليكم الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم
انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى بالمؤمنين وقال صلى الله عليه وسلم
من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو ومعناه الصفوح
وقد وصف الله بهذا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في القرآن والتورية
وامره بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال له
جبريل وقد سأله عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال
في التورية والانجيل في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولكن يعفو ويصفح ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله
لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار
السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم واصل الجسم من الميل وقيل
من التقديم وقيل في تفسير طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم
وقال تعالى له وانك لتهدي الى صراط مستقيم وقال فيه وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا فالله تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم
وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
وقيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده
والمصدق قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل المؤمن
الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في
الاخرة من عذابه وقيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاء وقد
قيل ان قولهم في الدعاء آمين اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن
وقيل المهيمن بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين

ورسله وقيل الموحد نفسه وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين

ومهيمن ومؤمن وقد سماه الله تعالى امينا فقال مطاع ثم امين
وكان صلى الله عليه وسلم يعرف بالامين وشهر به قبل النبوة ويعضده ما روى
العباس في شعره مهيمنا فقوله ثم اعتدى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
قيل المراد يا ايها المهيمن قاله القتبي والامام ابو القسم القشيري وقال
تعالى يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين اي يصدق وقال صلى الله عليه وسلم انا
امنة لاصحابي وهذا المعنى المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه
عن النقائص المطهر من سمات الحدوث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر به
من الذنوب ومنه الوادي المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء
في اسمائه عليه وعليهم السلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال تعالى
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر او الذي يتطهر به
من الذنوب ويتنزه باتباعه عنها كما قال ويزكيهم وقال ويخرجهم
من الظلمات الى النور او يكون مقدسا بمعنى مطهر من الاخلاق
الذميمة والاوصاف الدنية ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه المنيع
الغالب او الذي لا نظير له او المعز لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله
اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة
فقال تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وقال ان الله يبشرك
بيحيى وبكلمة منه وسماه تعالى مبشرا ونذيرا وبشيرا اي مبشرا لاهل
طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى فيما ذكره بعض
المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من اسماء محمد صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي ابو الفضل
المصنف رحمه الله تعالى وها انا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل
واختم به هذا القسم واذبح الالحاد بها فيما تقدم عن كل
ضعيف الوهم سقيم الفهم تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه
عن شبه التمويه وهو ان يعتقد ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه
وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا تشبهه
به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه
بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف صفات المخلوق
فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه صفات
المخلوقين اذ صفاته لا تنفك عن الاعراض والاعراض وهو تعالى

مهيمنا في قوله

منزه

منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس
كمثله شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد
اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد
هذه النكتة الواسطي رحمه الله بيانا وهي مقصودنا فقال ليس كذاته
ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة
موافقة اللفظ وجلت الذات القديمة ان يكون لها صفة حديثة
كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب
اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم وقد فسر الامام ابو القسم
القشيري رحمه الله قوله هذا لنزيد بيانا فقال هذه الحكاية تشتمل على
جوامع مسائل التوحيد وكيف يشبه ذاته ذات المحدثات وهي
بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو لغير جلب
انس او دفع نقص حصل ولا بخواطر واغراض وجد ولا بمباشرة ومعالجة
ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال اخر من مشايخنا
ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم
وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه فكره فهو مشبه
ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود اعترف بالعجز
عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله في الاشياء بلا علاج وصنعه لها
بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصورتم وتوهمتم
فالله بخلافه وهذا كلام عجيب نفيس محقق والفصل الاخر تفسير
لقوله ليس كمثله شيء والثاني تفسير لقوله لا يسئل عما يفعل وهم
يسئلون والثالث تفسير لقوله انما قولنا لشيء اذا اردناه ان
نقول له كن فيكون ثبتنا الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا
طرق الضلالة والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وكرمه
الباب الرابع فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به
من الخصائص والذكر اما قال القاضي ابو الفضل حسب الحاجة
ان يحقق ان كتابنا هذا لم يجمعه لمنكر نبوة بينا ولا لطاعن في معجزاته
فيحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل
للطاعن اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول

اللفظ

بلو

من ابطل فتح الشرائع ورده بل القناه لاهل ملته الملبين لدعوته
المصدقين لنبوته ليكون تاكيدا في محبتهم له وممناة لاعمالهم
وليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ويتسنا ان نثبت في هذا الباب امهات
معجزاته ومشاهير اياته لتدل على عظم قدره عند ربه واتينا منها
بالمحقق والصحيح الاسناد واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا
اليها بعض ما وقع في مشاهير كتب الائمة واذا تاء مثل المتاء مثل
المنصف ما قدمناه من جميل اثره وحميد سيره وبراعة علمه
ودرجات عقله وحلمه وجملة كماله وجميع خصاله وشاهد
حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق دعوته
وقد كفى غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت
وجهه عرفت ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد
ابو علي رحمه الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون
عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي
ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي
ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي عن زرارة بن اوفى
عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابي رمثة التميمي قال اتيت النبي
صلى الله عليه وسلم ومعي ابن لي فارتيته فلما رايته قلت هذا ابني الله
وروى مسلم وغيره ان ضمادا لما وفد عليه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له
ومن يضلل الله فلا هادي له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا
شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال له اعد علي كلماتك هؤلاء
فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك وقال جامع بن شداد
كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبي صلى الله عليه وسلم
بالمدينة فقال هل معكم شيء تبيعونه قلنا هذا البعير قال كم قلنا
بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل لا ندري من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة
لثمن البعير رايت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم

فاضحنا

فاصبحنا فجاء رجل بتمر فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم
يامركم ان تاكلوا من هذا التمر وتكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفي
حديث الجهني الجندي حلف عنهما ان لما بلغه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى الاسلام قال الجندي والله لقد دلني على هذا النبي الامي انه
لا يامر بخيرا الا كان اول اخذ به ولا ينهى عن شيء الا كان اول تارك له
وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويفي بالعهد ويخفر الموعود
واشهد انه نبي وقال يفطويه في قوله تعالى يكاد زيتها يضيء ولو لم
تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم يقول
يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن رواحة لو لم تكن
فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر وقد آن ان ناخذ
في ذكر النبوة والوحي والرسالة وبعده في معجزة القرآن وما فيه
من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله جل اسمه قادر على خلق
المعرفة في قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع تكليفه
ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكي عن سننه في بعض الانبياء وذكره
بعض اهل التفسير في قوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
وجائز ان يوصل اليهم جميع ذلك بواسطة يبلغهم كلامه ويكون
ذلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء او من
جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل العقل واذا جاز
هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم من معجزاتهم
وجب تصديقهم في جميع ما اتوا به لان المعجز مع التحدي من النبي قائم
مقام قول الله صدق عبدي فاطيعوه واتبعوه وشاهد على صدقه
فيما يقول وهذا كاف والتطويل فيه خارج عن الغرض فمن اراد تتبعه
وجده مستوفى في مصنفات ائمتنا رحمهم الله تعالى والنبوة في
اللغة من همز ماخوذة من النباء وهو الخبر وقد لا نهمز على هذا
التاويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه واعلمه انه
نبيه فيكون نبي منباء فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا عما
بعثه الله به منبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل فيكون
عند من لم يهمز من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه ان له
رتبة شريفة ومكانة رفيعة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان

والوصفان في حقه مؤتلفان وأما الرسول فهو المرسل ولم يأت
فعول في اللغة إلا نادرا وإرساله أمر الله له بالإبلاغ إلى من أرسله
إليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس إرسالا إذا تبع
بعضهم بعضا فكأنه ألزم تكرير التبليغ أو ألزمت الأمة اتباعه
واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى أو بمعنيان فقيل هما
سواء وأصله من الإنباء وهو الإعلام واستدلوا بقوله تعالى
وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فقد أثبت لهما معا الإرسال
قال ولا يكون النبي إلا رسولا ولا الرسول إلا نبيا وقيل هما مفترقان
من وجه إذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والإعلام
بخواص النبوة أو الرفعة بمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا
في زيادة الرسالة للرسول وهو الأمر بالإنذار والإعلام
كما قلنا وحجتهم من الآيات نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا
شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في المكارم التبليغ قالوا والمعنى
وما أرسلنا من نبي إلى أمة أو نبي ليس بمرسل إلى أحد وقد ذهب
بعضهم إلى أن الرسول من جاء بشرع مبتدإ ولم يأت به نبي
غير رسول وإن أمر بالإبلاغ والإنذار والصحيح الذي عليه
الجم الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وأول الرسل
آدم وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث أبي ذر عنه أن
الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي وذكر أن الرسل
منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أولهم آدم فقد بان لك معنى النبوة
والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا
للكرامية في تعويل لهم وتعويل ليس عليه تعويل وأما الوحي فأصله
الإسراع فلما كان النبي يتلقى ما يأتيه من ربه بعجل سمي وحيا
وسميت أنواع الإلهام وحيا تشبيها بالوحي إلى النبي وسمي الخط
وحيا لسرعة حركة يد الكاتب ووحي الحاجب واللحظ سرعة
إشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا
أي أومأ ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا أي السرعة وأصل
أصل الوحي السر والإخفاء ومنه سمي الإلهام وحيا ومنه قوله
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم أي يوسوسون في صدورهم

بمعنى مفعول

من

ومنه

٧

ومنه قوله تعالى وأوحينا إلى أم موسى أي ألقي في قلبها وقد قيل ذلك
في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أي ما يلقيه في قلبه
دون واسطة **فصل** اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء
معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها وهي على ضربين
ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه هو فعل
الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الإتيان
بمثل القرآن على رأي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم
فلم يقدروا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى وقلب العصا حية
وإخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من بين الأصابع و
انشقاق القمر فما لم يمكن أن يفعله أحد إلا الله فكون ذلك
على يد النبي من فعل الله تعالى وتحديه من يمكن به أن يأتي بمثله تعجيز
له **واعلم** أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم و
دلائل نبوته وبراهين صدقه من هذين النوعين معا وهو أكثر الرسل
معجزة وأبهر هدايا وأظهر هجرانا كما سنبينه وهي في كثرتها
لا يحيط بها ضبط فإن واحدا منها وهو القرآن لا يحصى عدد معجزاته
بألف ولا ألفين ولا أكثر لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد تحدى
بسورة منه فعجز عنها قال أهل العلم وأقصر السور إنا أعطيناك
الكوثر فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها
نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات ثم
معجزاته صلى الله عليه وسلم على قسمين قسم منها علم قطعا ونقل إلينا
متواترا كالقرآن فلا مرية ولا اختلاف في مجيء النبي به وظهوره
من قبله واستدلاله بحجته وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكار
وجود محمد في الدنيا وإنما جاء اعتراض الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه
وجميع ما تضمنته من معجز معلوم ضرورة ووجه إعجازه معلوم
ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض أئمتنا ويجري هذا المجرى على الجملة
أنه قد جرى على يديه صلى الله عليه وسلم آيات وخوارق عادات إن لم يبلغ
واحد منها مبلغ القطع فبلغه جميعها فلا مرية في جريان معانيها
على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر أنه جرت على يديه عجائب وإنما اختلاف
المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله وأن ذلك بمثابة

قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا صلى الله عليه وسلم
ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود حاتم وشجاعة عنترة
وحلم احنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم على كرم هذا
وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا يقطع
بصحته والقسم الثاني ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على ثلاثة
نوع مشتهر منتشر رواه العدد وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة
ونقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين الاصابع وتكثير الطعام ونوع
منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم يشتهر
اشتهارا غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا على الاتيان
بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله تعالى
وانا اقول صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الايات المأثورة عنه صلى الله
عليه وسلم معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه
واخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة فلا يوهن عن مثلنا خلاف خرق محل
عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفا
المؤمنين بل نجزم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع
الماء وتكثير الطعام رواها الثقاة والعدد الكثير عن الجماء الغفير عن
العدد الكثير من الصحابة رضي الله عنهم ومنها ما رواه الكافة عن
الكافة متصلا عن عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك
كان في مواطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما ذكر
عنهما انهم راوه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق اذ هم المنزهون
عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك رغبة ولا رهبة
تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير معروف لديهم لانكروه
كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من السنن والسير وحروف القرآن
وخطا بعضهم بعضا ووهمه في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطع
من معجزاته لما بيناه وايضا فان مسائل الاخبار التي لا اصل لها وبنيت
على باطل لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف

ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة
والاراجيف الطارية واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه الواردة
من طريق الاحاد لا تزداد مع مرور الازمان الا ظهورا ومع تداول
الفرق وكثرة طعن الحدة وحرصهم على توهينها وتضعيف اصلها
واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة وقبولا وللطاعن عليها الا
حسرة وغيظا وكذلك اخباره عن الغيوب وانباؤه بما يكون وكان
معلوم من اياته على الجملة بالضرورة وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال
به من ائمتنا القاضي والاستاذ ابو بكر وغيرهما وما عندي اوجب
قول القائل ان هذه القصص المشهورة من باب خبر واحد الا قلة
مطالعته للاخبار ورواتها وشغله بغير ذلك من المعارف والا
فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث والسير لم يرتب في
صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه ولا يبعد
ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند اخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة واما
الامامة والخلافة واحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن وصفها
وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل
عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام
واجزاء النية في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى
تجديد النية كل ليلة والاقتصار في المسح على بعض الراس وان مذهبهما
القصاص في القتل بالمحدد وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط
الولي في النكاح وان ابا حنيفة يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم
ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم
فضلا عن سواه وعند ذكرنا احاد هذه المعجزات تزيد الكلام
فيها بيانا ان شاء الله تعالى فصل في اعجاز القرآن اعلم وفقنا الله
واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة وتحصيلها
من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تاليفه والتيام
كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك
انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام قد خصوا من البلاغة
والحكم بما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان

ما لم يؤت انسان ومن فصل الخطاب ما يفيد الالباب جعل الله
ذلك لهم طبعا وخلقة وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة
بالعجب ويذلون به الى كل سبب فيخطبون بديها في المقامات وشديد
الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويكدحون ويقدحون
ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك
بالسحر الحلال ويطرقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن
ويجرون الجبان ويبسطون الجعد البنان ويصيرون الناقص
كاملا ويتركون البسيط حاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل
والقول الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهري والنزع القوي ومنهم
الحضري ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف في القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين فلهما في البلاغة
الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع الناجع
لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا
صرحا لبلوغ اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث
والسمين وتقاولوا في القل والكثير وتساجلوا في النظم والنثر
فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت آياته وفصلت
كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل مقول
وتظافرت ايجازه وايجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت
في الحسن مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه
واعتدل مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار
لفظه وهم افسح ما كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا
واكثر في السجع والشعر ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم
التي بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون مرارخابهم في
كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملأ اجمعين
ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم

من دون الله

من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا
فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس والجن
على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون الآية وقل فأتوا بعشر سور
مثله مفتريات وذلك ان المفتري اسهل ووضع الباطل والمختلق
على الاختيار اقرب واللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا
قيل فلان يكتب كما يقال له وفلان يكتب كما يريد والاول على الثاني
فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل يعجزهم صلى الله عليه وسلم اشد
التعجيز ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم ويحط اعلامهم
ويفتت نظامهم ويدم الههم وآباءهم ويستبيح ارضهم ودياهم
واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
مخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغتراء بالافتراء
وقولهم ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير
الاولين والمباهتة والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة
مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا
لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم
لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا
قدروا ومن تعاطى ذلك من مخاريقهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم
وسلبهم الله ما ألفوه من فصيح كلامهم والا فلم يخف على اهل المميز
منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل تولوا عنه
مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما سمع
الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل
والاحسان الآية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله
لمغدق وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد ان اعرابيا
سمع رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر الآية فسجد وقال سجدت لفصاحته
وسمع آخر رجلا يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد
ان مخلوقا لا يقدر على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
كان يوما نائما في المسجد فاذا هو بغلام على رأسه يتشهد شهادة الحق
فاستخبره فاعلمه انه من نطارقة الروم ممن يحسن ويعرف كلام العرب
وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى المسلمين يقرأ آية من كتابكم فأتمها

وارد اهي قد جمع فيهما ما انزل الله على عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة
وهي قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي
انه سمع كلام جارية فقال لها قاتلك الله ما اوفصك فقالت اوتعد
هذا فصاحة بعد قول الله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين
فهذا نوع من الاعجاز منفرد بالاية غير مضاف الى غيره على التحقيق
والصحيح من القولين وكون القرآن من قبل النبي صلى الله عليه وسلم
وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه صلى الله متحديا به معلوم ضرورة
وعجز العرب عن الاتيان به معلوم ضرورة وكونه في فصاحته خارقا
للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل
من ليس من اهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف
المقرين بالاعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقوله ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم وقوله يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا واشباههما من الاي بل اكثر القرآن
حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها وبهاجة عباراتها
وحسن تاليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة منها جملا
كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر مليئت الدواوين من بعض
ما استفيد منها وكثرت المقالات في المستنبطات عنها ثم هو
في سرد القصص الطوال واخبار القرون السوالف التي يضعف
في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب البيان اية لتاملك من
ربط الكلام بعضه ببعض والتيام سرده وتناصف وجوهه كقصة
يوسف على طولها ثم اذا تردد قصصه اختلفت العبارات عنها
على كثرة تردادها حتى تكاد كل واحدة تنسي في البيان صاحبتها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا تفور النفوس من ترديدها
ولا تتعاداه تعادها فصل الوجه الثاني من اعجازه سورة نظمه
العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناحي
نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع اية وانتهت

فواصل

فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع
احد مماثلة شيء منه بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم
ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر
ولما سمع كلامه صلى الله عليه وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن
رق فجاءه ابو جهل منكرا عليه فقال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار
مني والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع
قريشا عند حضور الموسم وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه
رايا لا يكذب بعضكم بعضا فقالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن
ما هو بزمزمته ولا بسجعه قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه
ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا
الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومبسوطه ومقبوضه ما هو بشاعر قالوا
فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه ولا عقده قالوا فما نقول
قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا اعرف انه باطل وان اقرب
القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه والمرء واخيه والمرء
وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون
الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت وحيدا الاية
وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم اني لم
اترك شيئا الا وقد علمته وقراءته وقلته والله لقد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة وقال
النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف
اخاه انيسا فقال والله ما سمعت بابي شعر من اخي انيس لقد نافض
اثني عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء
الى ابي ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس
قال يقولون شاعر كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم
ولقد وضعته على اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان
احد بعدي انه شعر وانه لصادق وانهم لكاذبون والاخبار في
هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد من النوعين الاعجاز والبلاغة
بذاتها او الاسلوب الغريب بذاته كل واحد منهما نوع اعجاز على
التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد منهما او كل واحد خارج

عن قدرتهما مباين لفصاحتهما وكلامهما والى هذا ذهب غير واحد
من ائمة المحققين وذهب بعض المتسدجين الى ان الاعجاز في مجموع
البلاغة والاسلوب واني على ذلك بقول تحجه الاسماع وتنفر
منه القلوب والصحيح ما قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا
ومن تفنن في علوم البلاغة وارهف خاطره وبسامه ادب هذه
الصناعة لم يخف عليه ما قلناه وقد اختلف ائمة اهل السنة
في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه ما جمع في قوة جزالته وبلاغة
الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع تاليفه واسلوبه لا يصح ان
يكون في مقدور البشر وانه من باب الخوارق الممتنعة عن اقدار الخلق
عليها كاحياء الموتى وقلب العصى وتسبيح الحصى وذهب الشيخ ابو الحسن
القابسي الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور البشر ويقدرهم
الله عليه ولكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله وعجزهم عنه وقال
به جماعة من الاصحاب وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت وقامت
الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدور البشر وتحديهم بان ياتوا
بمثله قاطع وهو البليغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر
مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو بهر اية واقنع دلالة
وعلى كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل
وتجرعوا كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية
الضيم بحيث لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا
والا فالمعارضة لو كانت من قدرهم والتشغل بها اهون عليهم واسرع
بالنجح وقطع العذر واخماد الخصم لديهم وهم من هم قدرة على الكلام وقوة
في المعرفة به مع الجميع الانام وما شهر الا من جهد جهده واستنفد ما
عنده في اخفاء ظهوره واطفاء نوره فما جاءوا في ذلك خبيئة من بنات
شفاههم ولا اتوا بنطفة من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد
وتظاهر الوالد وما ولد بل بسلوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا هذا
نوعان من اعجازه **فصل الوجه الثالث من الاعجاز** ما انطوى عليه
من الاخبار بالمغيبات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه
الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله امنين وقوله تعالى
وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله ليظهره على الدين كله وقوله

وعد الله

وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم الاية
في الارض كما استخلف الذين من قبلهم الاية وقوله اذا جاء نصر الله
والفتح الى اخرها فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع
سنين ودخل الناس في الاسلام افواجا فما مات صلى الله عليه وسلم
وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين
في الارض ومكن فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى
اقصى المغارب كما قال صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت
مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها وقوله
تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فكان كذلك لا يكاد يعد
من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة لا سيما القرامطة
فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم بنفا على خمسمائة عام فما قدروا
على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك المسلمين
في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله عز وجل سيهزم الجمع ويولون
الدبر وقوله قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم وقوله هو الذي ارسل
رسوله بالهدى الاية وقوله لن يضروكم الا اذى الاية وان يقاتلوكم
يولوكم الادبار الاية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالتهم وكذبهم في حلفهم وتعريجهم بذلك كقوله
تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون
في انفسهم ما لا يبدون لك الاية وقوله من الذين هادوا وقوله تعالى
ومن الذين هادوا سماعون للكذب الاية وقوله تعالى من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله في الدين وقد قال مبديا ما قدره
الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله احدى الطائفتين
انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومنه قوله
تعالى انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله عليه
وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزءون نفرا بمكة
ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من الناس فكان
كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار بذلك معروفة
صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما انبأ به من اخبار القرون السالفة
والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا

الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده النبي
صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه فيعترف العالم بذلك
بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا انه صلى الله عليه وسلم
امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة لم يغب عنهم ولا
جهل حاله احد منهم وقد كان اهل الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله
عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص
الانبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ويوسف واخوته واصحاب
الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق
وما في التورية والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى مما صدقه
فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا
لذلك فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد
ومع هذا فلم يحك عن واحد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم
له وحرصهم على تكذيبه وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم
وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم وكثرة سؤالهم له صلى الله
عليه وسلم وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم واسرار علومهم
ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم ومضمنات
كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وعيسى
وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم من الانعام
ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله ذلك
مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي نزل
فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده
وحسدهم اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن باهت
في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه مخالفة
دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له فاتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع وبكت ودعا الى احضار ممكن
غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتوانق يلقى على فضيحته من كتابة
يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله من كتبه ولا ابدى
صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعالى يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا

يبين

يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير الآيتين

فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه بينة لا نزاع فيها ولا مرية
ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه الوجوه اي وردت بتعجيز قوم
في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعالى
لليهود قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة الآية
قال ابو اسحاق الزجاج في هذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة
الرسالة لانه قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا
فلم يتمنه واحد منهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده
لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه يعني يموت مكانه فصرفهم الله
عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم وصحة
ما اوحي اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا ولكن
الله يفعل ما يريد وظهرت بذلك معجزته وباتت حجته صلى الله عليه وسلم
مسلاة دائمة الى قيام الساعة قال ابو محمد الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد
منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك نبيه يقدم عليه ولا
يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه منهم وكذلك ايضا
المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران وابو الاسلام
فانزل الله عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه الآية فامتنعوا منها
ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال لهم قد علمتم انه
نبي وانه ما لاعن قوم نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله
قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الآية الى قوله فان لم
تفعلوا ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون وكما كان وهذه
الآية ادخل في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي
قبلها فصل ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم
عند سماعه والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله ونافذ
خطره وهي على المكذبين به اعظم حتى كانوا يستثقلون
سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعالى ويزيدون انقطاعه لكراهتهم
له ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان القرآن صعب مستصعب على
من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته
اياه مع تلاوته توليه ابتهاجا وتكسبه هشاشة تميل قلبه اليه

وتصديقه به قال تعالى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم
تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال تعالى لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله ويدل على هذا شيء
خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روى
عن نضر انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له ثم يبكيك قال
للبكا والنظم وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام
وبعده فمنهم من اسلم بها الاول وصلة وآمن به ومنهم من كفر
فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الاية ام خلقوا من غير شيء
ام هم الخالقون الى قوله المسيطرون كاد قلبي ان يطير وفي رواية
وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه كلم النبي
صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلا عليهم حم فصلت
الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة بيده على
في النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الرحم ان يكف وفي رواية
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق يديه خلف
ظهره معتمد عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبي صلى الله عليه وسلم
وقام عتبة لا يدري بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه
حتى انوه فاعتذر لهم وقال والله لقد كلمني بكلام والله ما سمعت
اذناي بمثله قط والله ما دريت ما اقول له وقد حكي عن غير واحد
ممن رام معارضته انه اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك
فحكي ان ابن المقفع طلب ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبي يقرأ
وقيل يا ارض ابلعي ماءك فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا
لا يعارض وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى
ابن حكم الغزال يكتب الاندلس في زمنه فحكي انه رام شيئا من هذا فنظر
في سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها
قال فاعترتني خشية ورقة حملته على التوبة والانابة

فصل ومن وجوه اعجازه المعدودة كونه اية باقية لا تعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

تنزيل

تنزيل من حكيم حميد وساير معجزات الانبياء انقضت
بانقضاء اوقاتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة ايانه
الظاهرة معجزاته على ما كان عليه اليوم منذ خمسمائة عام وخمس
وثلاثين سنة لان اول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته
ممتنعة والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان
وائمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم
كثير والمعاند للشرع عتيد فما منهم من اتى بشيء يؤثر في معارضته
ولا الف كلمتين في مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح
المتكلف من دهشه في ذلك الا بزبد شحيح بل الماثور عن كل من رام ذلك
القاؤه في العجز بين يديه والنكوص على عقبيه

فصل وقد
عد جماعة من الائمة ومقلدي الامة في اعجازه وجوها كثيرة
منها ان قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الاكباب على تلاوته
يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة لا يزال غضا طريا
وغيره من الكلام ولو بلغ في الحسن والبلاغة مبلغه يمل مع الترديد
ويتعادى ان اعيد وكتابنا يستلذ به في الخلوات ويؤنس بتلاوته
في الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى احدث اصحابها
لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك الطرق تنشيطهم على قراءتها ولهذا
وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على كثرة
الرد ولا تنقضي عجائبه هو الفصل ليس بالهزل لا
يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذي
لما سمعته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى
الرشد فآمنا به ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة
ولا محمد صلى الله عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام
بها ولا يحيط بها احد من علماء الامم ولا يشتمل عليها كتاب
من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه على طرق
الحجج العقليات والرد على فرق الامم براهين قوية وادلة جلية
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتخذ لقول بعد ان يضعوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم وقل يحييها الذي انشأها

أول مرة ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إلى ما حواه من علوم
السير وأنباء الأمم والمواعظ والحكم وأخبار الدار الآخرة
ومحاسن الآداب والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب
من شيء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ولقد ضربنا
للناس في هذا القرآن من كل مثل وقال صلى الله عليه وسلم
إن الله أنزل هذا القرآن أمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا
مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم
ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق هو
الحق ليس بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل
ومن خاصم به فلج ومن قسم به أقسط ومن عمل به أجر ومن
تمسك به هدي إلى صراط مستقيم ومن طلب الهدى من غيره
أضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
والنور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين
والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج
فيقوم ولا يزيغ فيستعتب ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق
على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود وقال فيه ولا يختلف
ولا يتشابه في بناء الأولين والآخرين وفي الحديث وقال
الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم إني منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم
وفهم للحكمة وربيع القلوب وعن كعب عليكم
بالقرآن فإنه فهم العقول ونور الحكمة وقال تعالى إن هذا
القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون وقال تعالى
هذا بيان للناس وهدى الآية فجمع فيه مع وجازة الفاظه
وجوامع كلمه إضعاف ما في الكتب قبله التي ألفاظها على الضعف
منه مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك
أنه احتج بنظم القرآن وحسن وصفه وإيجازه وبلاغته وإتيانه
هذه البلاغة أمره ونهيه ووعده ووعيده فالتالي له يفهم
موضع الحجة والتكليف معا من كلام واحد وسورة منفردة
ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور

أقسط

المنثور لأن

لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسبح في الآذان وأحلى
على الأفهام فالناس إليه أميل والأهواء إليه أسرع ومنها تيسيره
تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه قال الله تعالى ولقد يسرنا
القرآن للذكر فهل من مذكر وسائر الأمم لا يحفظ كتبها إلا واحد
منهم فكيف الحمل على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في أقرب مدة ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضا وحسن ائتلافه في أنواعها
والتئام أقسامها وحسن التخلص من قصة إلى أخرى والخروج من باب إلى
غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على أمر ونهي
وخبر واستخبار ووعد ووعيد وإثبات نبوة وتوحيد وتقرير وترغيب
وترهيب إلى غير ذلك من فوائده دون خلل يتخلل فصوله والكلام
الفصيح إذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل
رونقه وتقلقلت ألفاظه فتأمل أول سورة وما جمع فيها من أخبار
الكفار وسفاهتهم وتقريعهم بإهلاك الأمم من قبلهم وما ذكر من كذبهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما أتى به القرآن والخبر عن اجتماع ملئهم
على الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم و
ووعيدهم بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الأمم قبلهم وإهلاك الله لهم
ووعيد هؤلاء بمثل مصائبهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على آذاهم
وتسليته بكل ما تقدم ذكره ثم أخذ في ذكر داود وقصص الأنبياء
كل هذا في أجزل كلام وأحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت
عليها الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا أنه ذكر في إعجاز
القرآن إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها أكثرها داخل
في باب بلاغته فلا يجب أن نعد فنا منفردا في إعجازه إلا في باب
تفصيل فنون البلاغة وكذلك كثير مما قد مناه ذكره منها يعد
في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة
التي ذكرناها فليعتمد عليها وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه
التي لا تنقضي وبالله تعالى التوفيق **فصل** في انشقاق القمر
وحبس الشمس قال الله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر
وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر أخبرنا تعالى بوقوع انشقاقه
بلفظ الماضي وإعراض الكفرة عن آياته وأجمع المفسرون

٧ القرون

وأصل السنة على وقوعه أخبرنا الحسين بن محمد الحافظ بكتابه
ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الأصيلي ثنا المروزي ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة وسفين عن الأعمش عن
إبراهيم عن ابن مسعود قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه فقال
رسول الله صلى الله عليه اشهدوا وفي رواية مجاهد ونحن مع النبي
صلى الله عليه وسلم وفي بعض طرق الأعمش بمنى ورواه أيضا عن ابن
مسعود الأسود وقال حتى رأيت الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه
مسروق أنه كان بمكة وزاد فقال كفار قريش سحركم ابن أبي كبشة
فقال رجل منهم إن محمدا إن كان سحر القمر فإنه لا يبلغ من سحره
أن يسحر الأرض كلها فسئلوا من يأتيكم من بلاد أخر هل رأوا
هذا فأتوا فسئلوا فأخبروهم أنهم رأوا مثل ذلك وحكى السمرقندي
عن الضحاك نحوه وقال فقال أبو جهل هذا سحر فابعثوا إلى أهل
الآفاق حتى ينظروا أرأوا ذلك أم لا فأخبر أهل الآفاق أنهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه أيضا
عن ابن مسعود علقمة فهؤلاء أربعة عن عبد الله وقد رواه غير
ابن مسعود منهم أنس وابن عباس وابن عمر وحذيفة وعلي وجبير
ابن مطعم فقال علي من رواية أبي حذيفة الأرحبي انشق القمر
ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس سأل أهل مكة
النبي صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر
مرتين حتى رأوا حراء بينهما رواه عن أنس قتادة وفي رواية
معمر وغيره عن قتادة عنه أراهم القمر مرتين انشقاقه فانزلت
اقتربت الساعة وانشق القمر ورواه عن جبير بن مطعم ابنه
محمد وابن ابنه جبير بن محمد رواه عن ابن عباس عبيد الله ابن عبد الله
ابن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة أبو عبد الرحمن
السلمي ومسلم ابن أبي عمران الأزدي وأكثر طرق هذه الأحاديث
صحيحة والآية مقترحة ولا يلتفت إلى اعتراض مخذول بأنه
لو كان هذا لم يخف على أهل الأرض إذ هو شيء ظاهر لجميعهم إذ لم
ينقل إلينا عمن لا يجوز تماديهم لكثرتهم على الكذب لما كانت

ولم

ابن مسعود

عليها

لنا عن أهل الأرض إنهم رصدوه ليلة
فيه انشق وذلك صح

عيانا به حجة إذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الأرض فقد يطلع على
قوم قبل أن يطلع على آخرين وقد يكون من قوم ببعضه ما هو من مقابليهم
من أقطار الأرض أو يحول بين قوم وبينه سحاب أو جبال ولهذا يجد
الكسوفات في بعض البلاد دون بعض وفي بعضها بجميعه وفي بعضها
جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها إلا المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز
العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من الناس بالليل الهدو
والتسكون وإيجاف الأبواب وقطع التصرف ولا يكاد يعرف من أمور
السماء شيئا إلا من رصد ذلك وتعهده ولذلك ما يكون الكسوف القمري
كثيرا في البلاد وأكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث النقاد
بعجائب يشاهدونها من أنوار ونجوم طوالع عظام تظهر في الأحيان
بالليل في السماء ولا علم عند أحد منها وخرج الطحاوي في مشكل الحديث
عن أسماء بنت عميس من طريقين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان
يوحى إليه ورأسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أصليت يا علي قال لا فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اللهم إنه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فارد عليه الشمس قالت أسماء فرأيتها غربت ثم رأيتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والأرض وذلك بالصهباء
في خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي
أن أحمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن لم يكن سبيله العلم التخلف
عن حفظ حديث أسماء لأنه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير
في زيادة المغازي روايته عن ابن إسحاق لما أسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم وأخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى
يجيء قال يوم الأربعاء فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينظرون
وقد دنى النهار ولم يجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزيد
له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس فصل في نبع الماء
من بين أصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم
قال المؤلف رحمه الله أما الأحاديث في هذا فكثيرة جدا روى
حديث نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم جماعة من
الصحابة منهم أنس وجابر وابن مسعود حدثنا أبو إسحاق إبراهيم

ابن جعفر الفقيه رحمه الله بقرأتي عليه ثنا القاضي عيسى بن سهل ثنا
ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا يحيى
ثنا مالك عن اسحاق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك قال رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء
فلم يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول
الله صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضوا
منه قال فرأيت الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى
توضأوا من عند آخرهم ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه
ماء يغمر اصابعه اولا يكاد يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وفي
رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق ورواه ايضا حميد وثابت
والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت كم كانوا قال ثمانين ونحوه
عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين رجلا واما ابن
مسعود ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما نحن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم
وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر عطش الناس
يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا
ما في ركوتك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل
الماء يفور من بين اصابعه كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم
قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى مثله عن
انس عن جابر وفيه انه كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة
ابن الصامت عنه في حديث مسلم الطويل في ذكره عن وفد بواط
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر نادِ الوضوء وذكر
الحديث بطوله وانه لم يجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به
النبي صلى الله عليه وسلم فتمضمض وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال
نادِ بجفنة الركب فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي
صلى الله عليه وسلم بسط يده في الجفنة وفرق اصابعه وصب

جابر عليه وقال بسم الله قال فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت
الجفنة واستدارت حتى امتلأت وامر الناس بالاستقاء فاستقوا
حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي في النبي صلى الله عليه وسلم
في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول الله ماء غيرها
فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في الماء وجعل
الناس يجيئون ويتوضأون ثم يقومون قال الترمذي وفي الباب
عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع الكثيرة
لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه
لما جبلت عليه النفوس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على
باطل فهؤلاء قد رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الماء الغفير
له ولم ينكر احد من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه
وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم **فصل** ومما يشبه
هذا من معجزاته تبخير الماء ببركته واتباعه بمسه ودعوته ما روى
مالك في الموطأ عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وردوا
العين وهي تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا بايديهم
حتى اجتمع في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه
وجهه ويديه واعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس
قال في حديث ابن اسحاق فانخرق من الماء ما له حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هاهنا
قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع وحديثه انهم
في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا تروي خمسين
شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله صلى الله
عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق ودعا وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سلمة فلما دعا واما بصق
فيها فجاشت فاروونا انفسهم وركابهم وفي غير هاتين الروايتين
في هذه القصة من طريق ابن شهاب في الحديبية فاخرج سهما من
كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء فروى الناس حتى صدروا
بعطن وعن ابي قتادة وذكر ان الناس شكوا الى رسول الله

صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره فدعا بالميضاة فجعلها
في ضبنه ثم التقم فمها فالله اعلم نفث فيها ام لا فشرب الناس
حتى رووا وملؤا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذتها مني وكانوا
اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر الطبري
حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج بهم مددا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء
وذكر حديثا طويلا وفيه معجزات وايات للنبي صلى الله عليه وسلم
وفيه اعلامهم انهم يفقدون الماء في غد وذكر حديث الميضاة
قال والقوم رهاء لا غاية في كتاب مسلم انه قال لابي قتادة
احفظ علي ميضاءتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه ومن ذلك
حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه عطش في بعض اسفارهم فوجد رجلين من اصحابه واعلمهما
انهما يجدان امراة بمكان كذا معها بعير عليه مزادتان
الحديث فوجداها واتيا بها النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء
في المزادتين ثم فتحت فرأيتهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم
حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه قال عمران وخيل الي انهما
لم يزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمراة من الاوراد حتى ملؤا ثوبها
وقال اذهبي فان ما اخذ من ماءك شيء ولكن الله سقانا الحديث
بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من وضوء فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها
في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه دغفقة اربع عشرة مائة
وفي حديث عمر في جيش العسرة وذكر ما اصابهم من العطش
حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر
الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما
حتى قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من انية ولم يجاوز العسكر
وعن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم
وهو رديفه بذي المجاز عطشت وليس عندي ماء فنزل النبي
صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض فخرج الماء فقال

اشرب

اشرب والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء الاستسقا
وما جانسه **فصل ومن معجزاته** صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته
ودعائه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا العذري ثنا
الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا سلمة
بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر ان
رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق
شعير فما زال ياكل منه وامراته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله
عليه وسلم فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك
حديث ابي طلحة المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين
او سبعين رجلا من اقراص من شعير جاء بها انس تحت يده
الى ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما شاء الله ان يقول وحديث
جابر في اطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق الف رجل من
صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله لاكلوا حتى تركوه
وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا لينخبز وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يصق في العجين والبرمة ويبارك رواه
عن جابر سعيد بن مينا وايمن وعن ثابت مثله عن رجل من الانصار
وامراته ولم يسمها قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل من في البيت
والحجرة والدار وكان ذلك قد امتلاء ممن قدم معه صلى الله عليه
وسلم لذلك وبقي بعد ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي
ايوب انه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام قدر
ما يكفيهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ادع ثلاثين من اشراف
الانصار فدعاهم فاكلوا حتى تركوه ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم
قال ادعو سبعين فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال
ابو ايوب فاكل من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتى
النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم
قوم ويقعد اخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن ابن ابي بكر رضي الله
عنهما كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثين ومائة وذكر في الحديث
انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة فشوي سواد بطنها قال وايم الله

ما من الثلاثين والماية الا وقد حز له حزة من سواد بطنها ثم جعل
منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في القصعتين فحملته
على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة الانصاري
عن ابيه ومثله لسلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب
رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله
عليه وسلم في بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية
من الطعام وفوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه
على نطع قال سلمة فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم
فما بقي في الجيش وعاء الا ملوه وبقي منه وعن
ابي هريرة قال امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل الصفة
فتتبعتهم حتى جمعتهم فوضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا ما
شئنا وفرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع
وعن علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه جمع النبي صلى الله عليه
وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين منهم قوم ياكلون الجذعة
ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من طعام فاكلوا حتى شبعوا وبقي
كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه لم يشرب وقال انس
ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب امره ان يدعو له قوما سماهم
وكل من لقيت حتى امتلاء البيت والحجرة وقدم اليهم نزرا فيه قدر مد
من تمر جعل حيسا فوضعه فتامه وغمس ثلاث اصابعه وجعل القوم
يتغدون ويخرجون وبقي النور نحوا مما كان وكان القوم احدا واثنين
وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او مثلها ان القوم كانوا
زهاء ثلاثمائة وانهم اكلوا حتى شبعوا وقال لي ارفع فلا ادري حين
وضعت كان اكثر ام حين رفعت وفي حديث جعفر ابن محمد عن
ابيه عن علي ان فاطمة رضي الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت
عليا في طلب النبي صلى الله عليه وسلم ليتغدى معهما فامرها
ففرقت منها بجميع نسائه صحفة صحفة ثم له صلى الله عليه وسلم
ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض قالت فاكلنا منها
ما شاء الله وامر صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ان يزود اربع ماية راكب
من خيبر فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب فذهب

فزودهم

فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله من
رواية ذكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
ابن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربع ماية راكب من مزينة ومن
ذلك حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء
ابيه رأس ماله فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف
دينهم فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها
بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا فاوفى منه جابر غرماء ابيه
وفضل مثل ما كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك وقال ابو هريرة رضي الله
عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني به فادخل
يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك ثم اطعم الجيش كلهم وشبعوا
قال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه شيئا ولا تكبه
فقبضت على اكثر مما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان فانتهب متى
فذهب وفي رواية فقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق
في سبيل الله عز وجل وذكرت مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك
وان التمر كان يضع عشرة تمرة ومنه ايضا حديث ابي هريرة حين
اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى الله عليه وسلم فوجدنا في
قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل الصفة قال فقلت ما
هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها فدعوتهم
وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي
الرجل فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الآخر حتى روي جميعهم
قال فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت
اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب وما زال يقولها واشرب
حتى قلت لا والذي بعثك بالحق لا اجد له مسلكا فاخذ القدح
فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث خالد بن عبد العزى
انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة وكان عيال خالد كثيرا

يذبح الشاة فلم تبد عيالها عظماً عظماً وأن النبي صلى الله عليه وسلم
أكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد ودعا له بالبركة
فنشر ذلك لعياله فأكلوا وأفضلوا ذكر خبره الدولابي ومن حديث
الأجري في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة أن النبي
صلى الله عليه وسلم أمر بلالاً بقصعة من أربعة أمداد وخمسة
ويذبح جزوراً ولم يسمها قال فأتيته بذلك فطعن في رأسها ثم أدخل
الناس رفقة رفقة يأكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة
فبرك فيها وأمر بحملها إلى أزواجه وقال كلن وأطعمن من غشيكن
وفي حديث أنس تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصنعت
أمي أم سليم حيساً فجعلته في تور فذهبت به إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ضعه وادع لي فلاناً وفلاناً ومن لقيت
فدعوتهم ولم أدع أحداً لقيته إلا دعوته وذكر أنهم كانوا
زهاء ثلاثمائة حتى ملؤوا الصفة والحجرة فقال لهم النبي
صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى
الله عليه وسلم يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله أن يقول
فأكلوا حتى شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما أدري حين وضعت
كان أكثر أم حين رفعت وأكثر أحاديث هذه الفصول الثلاثة
في الصحيح وقد اجتمع على معنى حديث هذا الفصل بضعة
عشر من الصحابة رواه عنهم أضعافهم من التابعين ثم من لا يتعد
بعضهم وأكثرها في قصص مشهورة ومجامع مشهودة لا يمكن
التحدث عنها إلا بالحق ولا يسكت الحاضر لها على ما أنكر **فصل**
في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته حدثنا
أحمد بن محمد بن غلبون الشيخ الصالح فيما أجاز لي عن أبي عمر الطلمنكي
عن أبي بكر بن المقدس عن أبي القسم البغوي ثنا أحمد بن عمران
الأخنسي ثنا أبو حيان التيمي وكان صدوقاً عن مجاهد عن ابن عمر قال
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فدنا منه أعرابي
فقال يا أعرابي أين تريد قال إلى أهلي قال هل لك إلى خير قال وما هو
قال تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده
ورسوله قال من يشهد لك على ما تقول قال هذه الشجرة السمرة

وهي

السمرة وهي بشاطئ الوادي فأدعها فإنها تجيبك قال فادعوها فأقبلت
تخد الأرض حتى قامت بين يديه فاستشهدها ثلاثاً فشهدت أنه
كما قال ثم رجعت إلى مكانها وعن بريدة قال سأل أعرابي النبي صلى الله
عليه وسلم آية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك قال
فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت
عروقها ثم جاءت تخد الأرض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت
بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك
يا رسول الله قال الأعرابي مرها فلترجع إلى منبتها فرجعت فردت
عروقها في ذلك فاستوت فقال الأعرابي ائذن لي أن أسجد لك
قال لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها
قال فائذن لي أن أقبل يديك ورجليك فأذن له وفي الصحيح
في حديث جابر بن عبد الله الطويل ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقضي حاجته فلم ير شيئاً يستتر به فإذا بشجرتين بشاطئ الوادي
فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما فأخذ بغصن من أغصانها
فقال انقادي علي بإذن الله فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي
يصانع قائده وذكر أنه فعل بالأخرى مثل ذلك حتى إذا
كان بالمنصف بينهما قال التئما علي بإذن الله فالتأمتا وفي رواية
أخرى قال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى أجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت
بصاحبتها فجلس خلفهما فخرجت أحضر وجلست أحدث نفسي
فالتفت فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً والشجرتان
قد افترقتا فقامت كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً
وروى أسامة بن زيد نحوه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
في بعض مغازيه هل يعني مكاناً لحاجة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت إن الوادي ما فيه موضع بالناس فقال هل ترى من نخل
أو حمارة قلت أرى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن أن تأتين لمخرج رسول الله
وقل للحمارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فو الذي بعثه بالحق

لقد رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتحاقدن
حتى صرن ركاما خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن
فوالذي نفسي بيده لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن
وقال يعلى بن سيابة كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر
نحوا من هذين الحديثين وذكر فاء مر وادين فانضمتا
وفي رواية اشابتين وعن غيلان بن سلمة الثقفي مثله في شجرتين
وعن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله في غزاة
حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر اشياء رآها
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر ان طلحة او سمرة جاءت
فاء طافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود
اذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة
وعن مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من
يشهد لك قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها
لها قعاقع وذكر مثل الحديث الاول او نحوه قال القاضي ابو الفضل
المصنف رحمه الله فهذا ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة
واسامة بن زيد وانس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس
وغيرهم قد اتفقوا على هذه القصة نفسها او معناها ورواها
عنهم من التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة
حيث هي وذكر ابن فورك انه صلى الله عليه وسلم سار في غزوة
الطائف ليلا وهو وسن فاعترضته سدرة فانفرجت له فرقتين
حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين الى وقتنا هذا وهي هناك
معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس لتعبير قال النبي صلى الله عليه وسلم
وراءه حرينا انجت ان ارتك اية قال نعم فنظر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال ادع تلك الشجرة
فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع فعادت
الى مكانها وعن علي نحو هذا ولم يذكر فيها جبريل قال اللهم اري
اية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله وخرنه
صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الاية لهم لا له

وذكر

وذكر ابن اسحاق ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ركانة مثل هذه
الاية في شجرة دعاها فاتت حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي
فرجعت وعن الحسن انه صلى الله عليه وسلم شكا الى ربه من قومه
وانهم يخوفونه فسأله اية يعلم بها ان لا مخافة عليه فاوحى
الله اليه ان ايت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها ياتك
ففعل فجاء يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله
ثم قال له ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت الا مخافة علي
وحرمته عن عمر وقال فيه ارني اية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر
نحوه وعن ابن عباس انه صلى الله عليه وسلم قال لاعرابي
ارايت ان دعوت هذا العذق من هذه النخلة اتشهد اني رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال نعم فدعاه فجعل ينقز حتى اتاه فقال ارجع
فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي فقال هذا حديث صحيح

فصل

في قصة حنين الجذع ويعضد هذه الاخبار حديث انين الجذع
وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر خرجه اهل الصحيح
ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب وجابر بن عبد الله
وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس وسهل بن سعد
وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي وداعة
كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس
صحيح قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل
فكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها
فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي
رواية انس حتى ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس
لما رأوا به وفي رواية المطلب وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء
النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا بكاء لما فقد من الذكر
وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم الزمه لم يزل هكذا الى يوم
القيمة تحنانا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتى به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحاق عن انس وفي بعض الروايات عن سهل

فدفنت تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان
اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد
اخذه ابي فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر
الاستغرابي ان النبي صلى الله عليه وسلم دعاه الى نفسه فجاء
يخرق الارض فالتزمه ثم امره فعاد الى مكانه وفي حديث بريدة
فقال يعني النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت اردك الى الحائط الذي
كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك وتجدد لك خوص
وثمره وان شئت اغرسك في الجنة فيأكل اولياء الله من ثمرك
ثم اصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يستمع ما يقول فقال
بل تغرسني في الجنة فيأكل مني اولياء الله واكون في مكان لا ابلى
فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد فعلت
ثم اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه
رواه عن جابر حفص بن عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص
وايمن وابو نضرة وابن المسيب وسعيد بن ابي كرب وكريب
وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن وثابت واسحاق
ابن ابي طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو نضرة
وابو الودك عن ابي سعيد وعمار بن ابي عمار عن عباس وابو حازم
وعباس بن سهل بن سعد عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن
المطلب وعبد الله بن بريدة عن ابيه والطفيل بن ابي عن ابيه
قال القاضي ابو الفضل المصنف رحمه الله فهذا حديث كما تراه
خرجه اهل الصحة ورواه من الصحابة من ذكرنا وغيرهم
من التابعين ضعفهم الى من لم نذكر وممن دون هذا العدد
يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
فصل ومثل هذا في سائر الجمادات حدثنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عيسى التيمي نا القاضي ابو عبد الله محمد بن المرابط نا الهيثم
ابو القسم نا ابو الحسن القابسي نا المروزي نا الفربري نا البخاري
نا محمد بن المثنى نا ابو احمد الزبيري نا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم

عن علقمة

عن علقمة عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفي
غير هذه الرواية عن ابن مسعود كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
الطعام ونحن نسمع تسبيحه وقال انس اخذ النبي صلى
الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى سمعنا التسبيح ثم صبهن في يد ابي بكر فسبحن في يدنا كما سبحن
وروى مثله ابو ذر وذكر انهن سبحن في كف عمر وعثمان وقال علي كنا
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج الى بعض نواحيها
فما استقبله شجر ولا جبل الا قال له السلام عليك يا رسول الله وعن
جابر بن سمرة عنه عليه السلام اني لاعرف حجرا بمكة كان يسلم علي قبل
انه الحجر الاسود وعن عايشة لما استقبلني جبريل بالرسالة جعلت لا امر
بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله وعن جابر بن عبد الله
لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر بحجر ولا شجر الا سجد له وفي
حديث العباس اذ اشتمل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعلى بنيه بملاءة
ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته فاستت اكفه
الباب وحوائط البيت آمين آمين وعن جعفر بن محمد عن ابيه
مرض النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل بطبق فيه رمان وعنب
فاكل منه صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس صعد النبي صلى الله عليه وسلم
وابو بكر وعمر وعثمان احدا فرجف بهم فقال اثبت احد فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه
علي وطلحة والزبير وقال فانما عليك نبي او صديق او شهيد
والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه عشرة من اصحابهم انا فيهم
وزاد عبد الرحمن وسعدا قال وسميت الاثنين وفي حديث سعيد
ابن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه وقد روي
انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله فاني اخاف
ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال حراء الي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروي ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على المنبر وما قدروا الله حق
قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال
فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه وعن ابن عباس كان حول البيت
ستون وثلاثمائة صنم منتبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد عام الفتح جعل يشير
بقضيب في يده اليمنى ولا يمسها ويقول جاء الحق وزهق الباطل الآية
فما اشار الى وجه صنم الا وقع لقفاه ولا يقفاه الا وقع لوجهه
حتى ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود وقال فجعل يطعنها
ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك حديثه
صلى الله عليه وسلم مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه
وكان الراهب لا يخرج الى احد فخرج فجعل يخللهم حتى اخذ بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة
للعالمين فقال له اشياخ من قريش ما علمك قال انه لم يبق شجر ولا
حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد الا لنبي وذكر القصة ثم قال
واقبل صلى الله عليه وسلم وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم
وجدهم قد سبقوه الى في الشجرة فلما جلس مال الفيء اليه **فصل**
في الآيات في ضروب الحيوانات حدثنا اسرائيل بن عبد الملك ثنا ابو الحسن
الحافظ انا ابي ثنا القاضي يونس ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت
ابن قاسم عن ابيه وجده قالا ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد
ابن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد عن عائشة قالت كان عندنا
فاجن فاذا كان عندنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه
فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
وذهب وروى عن عمران رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل
من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال من هذا فقالوا نبي الله
صلى الله عليه وسلم فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن
هذا الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا
لبيك وسعديك يا زين من وافى القيمة قال من تعبد قال الذي
في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة
رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين
وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وخاب من كذبك فاسلم
الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة عن ابي سعيد
الخدري قال بينما راع يرعى غنما له اذ عرض الذئب لشاة منها

فاخذها

فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله حلت بيني وبين
رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس فقال الذئب الا اخبرك
بما اعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحرتين يحدث
الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق والحديث فيه
قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة وفي بعض
الطرق عن ابي هريرة فقال الذئب انت اعجب واقعا على غنمك وتركت
نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا قد فتحت له ابواب
الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك وبينه
الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال الذئب
انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته
واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم فقاتل فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم عد الى غنمك بحذها ابو فرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب هذه
القصة والمحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن الاكوع وانه كان
صاحب هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد
وقد روى ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان
ابن امية مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف
الذئب فعجبا من ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله
بالمدينة يدعوكم الى الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات
والعزى لئن ذكرت هذا بمكة لنتركنها حلوفا وقد روي مثل هذا
مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جعفل واصحابه وعن عباس بن مرداس
لما تعجب من كلام ضماد صنمه وانشاده الشعر الذي ذكره النبي
صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا عباس اتعجب
من كلام ضماد ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن جابر
ابن عبد الله عن رجل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على
بعض حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف
بالغنم قال اخصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك

عمرو بن

ويردها الى اهلها ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها
وعن انس دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائط انصاري وابو بكر وعمر
ورجل من الانصار وفي الحائط غنم فسجدت له الغنم فقال
ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث وعن ابي هريرة دخل
النبي صلى الله عليه وسلم حائطا لجاء بعير فسجد له وذكر
مثله في الجمل عن ثعلبة بن مالك وجابر بن عبد الله ويعلى بن مرة
وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط الا شد عليه
الجمل فلما دخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه فوضع مشفره
في الارض وبرك بين يديه فخطمه وقال صلى الله عليه وسلم ما بين
السماء والارض شيء لا يعلم اني رسول الله الا عاصي الجن والانس
ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي حديث اخر في جنس الجمل ان النبي
صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه وفي
رواية قال لهم انه شكا كثرة العمل وقلة العلف وفي رواية انه شكا
الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق العمل من صغره
فعاتبوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها النبي صلى الله عليه وسلم
وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب الوحوش
عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته
حتى ماتت ذكره الاسفرايني وقد روى ابن وهب ان حمام مكة
اظلت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها ودعا له بالبركة
وروي عن انس وزيد بن ارقم والمغيرة بن شعبة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لما امر الله ليلة الغار شجرة فنبتت تجاه النبي صلى
الله عليه وسلم فستترت وامر حمامتين فوقفتا بفم الغار وفي
حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتاه الطالبون
له ورأوا ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه
والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله
ابن قرط قال قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنات
خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايهن
يبدا وعن ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فاذا
ظبية يا رسول الله قال ما حاجتك قالت صاد لي هذا الاعرابي

سالهم

قال امر الله ليلة الغار شجرة

ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني حتى اذهب فارضعهما وارجع
قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت ورجعت فاوثقها
فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله لك حاجة قال تطلق هذه الظبية
فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان لا اله الا الله
وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد لسفينة
مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى مغازيه باليمن فلقي
الاسد فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه
فهمهم وتنحى عن الطريق وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية
اخرى عنه ان سفينته تكسرت به فخرج الى جزيرة فاذا الاسد
فقلت انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني بمنكبه
حتى اقامني على الطريق واخذ صلى الله عليه وسلم باذن شاة لقوم
من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي
ذلك الاثر فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابراهيم بن حماد بسنده
من كلام الحمار الذي صار به بجيد وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه
النبي صلى الله عليه وسلم يعفورا وانه كان يوجهه الى دور اصحابه فيضرب
عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى الله عليه وسلم
لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت
عند النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي
العنز التي اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم
عطش ونزلوا على غير ماء وهم ذهاب ثلاثة فحلبها رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاروى الجند فقال لرافع املكها
وما اراك قربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن فايع وغيره
وفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الذي جاء بها هو الذي
ذهب بها وقال صلى الله عليه وسلم لفرسه وقد قام الى الصلوة
في بعض اسفاره لا تبرح بارك الله فيك حتى تفرغ من صلاتنا
وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله عليه وسلم وليحتج
بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه رسله
للملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل رجل منهم
يتكلم بلسان القوم الذي بعثه اليهم والحديث في هذا الباب

كثير وقد جئنا منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة

فصل في احياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له بالنبوة

حدثنا ابو الوليد هشام ابن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا ثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا احمد بن سعيد ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت ملكا اريحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس وفيه قالت اردت قتلك قال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا الا نقتلها قال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فاعرض لها ورواه ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية الحسن ان فخذها يكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحاق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاخر عن انس انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعادني فالان اوان قطعت ابهري وحكى ابن اسحاق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهم انه دفعها لاولياء بشر بن البراء

فقتلوها

فقتلوها وكذلك قد اختلف في قتله صلى الله عليه وسلم للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه اثبت عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد فذكر مثله الا انه قال في اخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا وذكرنا اسم الله فلم يضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل المصنف وقد خرج حديث الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف ائمة اهل النظر في هذا الكلام فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة والحجر والشجرة وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن والقاضي ابي بكر رحمهما الله واخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا ثم الكلام بعده وحكى هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل والله اعلم اذا لم يجعل الحياة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي حاو فالنجاة من بين سائر متكلمي الفرق في احالة وجود الكلام اللفظي والحروف والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله خلق فيها حياة وخرق لها افواها والسنة والة امكنها بها من الكلام اللفظي والحروف والاصوات وهذا لو كان لكان نقله والتهمم به اكد من التهمم بنقل تسبيحه او حنينه ولم ينقل احد من اهل السير والرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن قهد بن عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب قال رايت من النبي صلى الله عليه وسلم عجبا جي بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان

الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب فكان يسمى مبارك اليمامة
وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع وعن الحسن ان رجل
النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في وادي
كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله فخرجت وهي تقول لبيك وسعديك فقال لها
ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما قالت
لا حاجة لي فيهما وجدت الله خيرا لي منهما وعن انس ان شابا
من الانصار توفي وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها
فقالت مات ابني قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم اني هاجرت
اليك والى نبيك صلى الله عليه وسلم رجاء ان تعينني على كل
شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب
عن وجهه فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله بن عبيد الله الانصاري
قال كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعنا
حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر
الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر عن
النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة
فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله
يقول انصتوا انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي
الامي وخاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق
صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان ثم قال السلام عليك يا رسول الله
ورحمة الله وبركاته ثم عاد ميتا كما كان **فصل** في ابراء المرضى
وذوي العاهات اخبرنا ابو الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه
وقرأته عليه غيره قال نا ابو اسحاق الحبال نا ابو محمد بن نحاس
نا ابن اللؤلؤ عن البرقي عن ابن هشام عن زياد البكائي عن محمد
ابن اسحاق نا ابن شهاب وعاصم بن عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم
بقضية احد بطولها قال وقالوا وقال سعد بن ابي وقاص
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يناولني السهم لا نصل له
فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ
عن قوسه حتى اندقت واصيبت عين قتادة يعني ابن النعمان

حتى

حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم ابن عمر بن قتادة ويزيد
ابن عياض عن ابن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن
قتادة وبصق صلى الله عليه وسلم على اثر سهم في وجه ابي قتادة
في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا قاح وروى النسائي عن عثمان
ابن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله ان يكشف لي عن بصري
قال فانطلق فتوضأ ثم صلى ركعتين ثم قل اللهم اني اسألك
واتوجه اليك بنبيي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربك
ورجاء ان يكشف لي عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروي ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل
عليها ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى انه قد هزئ به فاتاه
بها وهو على شفا هلكة فشربها فشفاه الله وذكر العقيلي
عن ابن حبيب بن فديك ويقال فويك ان اباه ابيضت عيناه
فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم
في عينيه فابصر فرأيته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين
ورمى كلثوم بن الحصين يوم احد [illegible] رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه فبرأ وتفل صلى الله عليه وسلم على شجة عبد الله
ابن انيس فلم تمد وتفل صلى الله عليه وسلم في عيني علي يوم خيبر
وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث صلى الله عليه وسلم على ضربة
بساق سلمة بن الاكوع يوم خيبر فبرئت وفي رجل زيد بن معاذ
حين اصابها السيف الى الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت
وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق اذ انكسرت فبرئ
مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب فجعل يدعو
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه ثم ضربه
برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر يد
معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن رواية ايضا ان حبيب
ابن يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم م

يقصر به على عاتقه حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فأتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم أعطاها إياه وأمرها بسقيه ومسيد به فبرأ
الغلام وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس جاءت
امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فتفل نفثة فخرج من جوفه
مثل الجرو الأسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب
وهو طفل فصب عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ الحينه وكانت في كف
شرحبيل الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة
فشكاها للنبي صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها
ولم يبق لها أثر وسألته صلى الله عليه وسلم جارية لها ماء وهو
ماء كل فناء ولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء فقالت إنما أريد
من الذي في فيك فناء ولها ما في فيه ولم يكن يسأل شيئا فمنعه
فلما استقر في جوفها ألقى عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة
أشد حياء منها **فصل** في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم وهذا
باب واسع جدا وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم الجماعة
بما دعا لهم وعليهم متواتر على الجملة معلوم ضرورة وقد جاء في حديث
حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعا لرجل أدركت
الدعوة ولده وولد ولده حدثنا أبو محمد العتابي قرأ علي
نا القسم حاتم بن محمد نا أبو الحسن القابسي نا أبو زيد المروزي
نا محمد بن يوسف نا محمد بن إسماعيل نا عبد الله بن أبي الأسود
نا حرمي قال نا شعبة عن قتادة عن أنس قال قالت أمي يا رسول الله
خادمك أنس ادع الله له قال اللهم أكثر ماله وولده وبارك
له فيما أتيته ومن رواية عكرمة قال أنس فوالله إن مالي لكثير
وإن ولدي وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية
وما أعلم أحدا أصاب من رخاء العيش ما أصبت ولقد دفنت
بيدي هاتين مائة من ولدي لا أقول سقطا ولا ولد ولد ومنه
دعاؤه لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو
رفعت حجرا لرجوت أن أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات
فحفر الذهب من تركته بالفؤوس حتى مجلت فيه الأيدي وأخذت

وقفت عليه حتى فرغ

كل زوجة

كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل مائة ألف وقيل بل صولحت
أحداهن لأنه طلقها في مرضه على نيف وثمانين ألفا وأوصى بخمسين
ألفا بعد صدقة ماله الفاشية في حياته وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين
عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبع مائة بعير وردت عليه تحمل من كل
شيء فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها ودعا لمعوية بالتمكين
في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن أبي وقاص أن يجيب الله دعوته فما
دعا على أحد إلا استجيب له ودعا بعز الإسلام بعمر وبأبي جهل
فاستجيب له في عمر قال ابن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر
وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله عمر الدعاء فدعا فجاءت
سحابة فسقتهم حاجتهم ثم أقلعت ودعا صلى الله عليه وسلم في
الاستسقاء فسقوا ثم شكوا إليه المطر فدعا فصحوا وقال صلى الله
عليه وسلم لأبي قتادة رضي الله عنه أفلح وجهك اللهم بارك له في
شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكأنه ابن خمس عشرة وقال
صلى الله عليه وسلم للنابغة لا يفضضن الله فاك فما سقطت له
سن وفي رواية فكان أحسن الناس ثغرا إذا سقطت له سن نبتت
له أخرى وعاش عشرين ومائة وقيل أكثر من هذا ودعا صلى الله
عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل
فسمي بعد ذلك الحبر وترجمان القرآن ودعا صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن جعفر بالبركة فكانت في صفقة يمينه فما اشترى
شيئا إلا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده غرائر
من المال ودعا صلى الله عليه وسلم بمثله لعروة بن أبي الجعد
فقال فلقد كنت أقوم بالكناسة فما أرجع حتى أربح أربعين
ألفا وقال البخاري وفي حديثه فكان لو اشترى التراب ربح فيه
وروي مثل هذا لعروة أيضا وندت له ناقة فدعا فجاءه بها أعصاد
ربح حتى ردها عليه ودعا صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة
فاسلمت ودعا لعلي أن يكفي الحر والقر فكان يلبس في الشتاء ثياب
الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر ولا برد ودعا
صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته ألا يجيعها الله قالت فما
جعت بعد دعائه له صلى الله عليه وسلم الطفيل بن عمرو إلى قومه

فقال اللهم نور له فسطع له نور بين عينيه فقال يا رب اخاف
ان يقولوا مثلة فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء في الليلة
المظلمة فسمي ذا النورين ودعا صلى الله عليه وسلم على مضر فا
قحطوا حتى استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى
حين مزق كتابه ان يمزق الله ملكه فلم يبق له باقية ولا
بقيت لفارس دياسة في اقطار الدنيا ودعا صلى الله عليه
وسلم على صبي قطع عليه الصلوة ان يقطع الله اثره فاقعد
قال لرجل ياكل بشماله كل بيمينك فقال لا استطيع فقال لا
استطعت فلم يرفعها الى فيه وقال صلى الله عليه وسلم لعتبة
بن ابي لهب اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد
وقال لامراة اكلك الاسد فاكلها وحديثه المشهور من رواية
عبد الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا
على رقبته وهو ساجد مع الفرث والدم وبشماهم قال فلقد
رايتهم قتلوا يوم بدر ودعا صلى الله عليه وسلم على الحكم
بن ابي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله
عليه اي لا قراءه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج الى ان مات
ودعا صلى الله عليه وسلم على محلم ابن جثامة فمات لسبع فلفظته
الارض ثم دعا فلفظته مرات فالقوه بين صدين ورضموا عليه
بالحجارة الصدد جانب الوادي وجحده رجل بيع فرس وهي التي
شهد فيها خزيمة للنبي صلى الله عليه وسلم فرد الفرس بعد النبي
صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم ان كان كاذبا فلا تبارك
له فيها فاصبحت شاصية برجلها اي رافعة وهذا الباب اكثر
من ان يحاط به **فصل** في كراماته وبركاته وانقلاب
الاعيان له فيما لمسه او باشره صلى الله عليه وسلم اخبرنا احمد
بن محمد ثنا ابو ذر الهروي اجازة وثنا القاضي ابو علي سماعا
والقاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا ابو الوليد
القاضي ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحاق وابو الهيثم ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد عن قتادة عن انس بن مالك
ان اهل المدينة فزعوا فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فرسا

فرسا لابي طلحة كان يبطأ او به قطاف وقال ما رايت شيئا فلما رجع قال
وجدنا فرسك بحرا فكان بعد لا يجارى ونخس رسول الله صلى الله
عليه وسلم جمل جابر وكان قد اعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه
ووضع صلى الله عليه وسلم مثل ذلك بفرس لجعيل الاشجعي
خفقها بمخفقة معه وبرك عليها فلم يملك راسها نشاطا وباع
من بطنها باثني عشر الفا وركب صلى الله عليه وسلم حمارا قطوفا
لسعد بن عبادة رضي الله عنه فرده حملا حالا يسايره وكانت شعرات
من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا الا رزق
النصرة وفي الصحيح عن اسماء بنت ابي بكر انها اخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يلبسها فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي
ابو علي عن شيخه ابي القسم بن المامون قالت كانت عندنا
قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم فكنا نجعل فيها
الماء للمرضى فيستشفون بها واخذ جهجاه الغفاري القضيب
من يد عثمان ليكسره على ركبته فصاح الناس به فاخذته الاكلة
فقطعها ومات قبل الحول وشرب صلى الله عليه وسلم من فضل
وضوءه في بير قبا فما نزفت بعد وبزق صلى الله عليه وسلم
في بير كانت في دار انس فلم يكن في المدينة اعذب منها ومر صلى الله
عليه وسلم على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه
ملح فقال بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتى صلى الله عليه وسلم
بدلو من ماء زمزم فمج فيه صلى الله عليه وسلم اطيب من
المسك واعطى صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين لسانه
فمصاه وكانا يبكيان عطشا فسكتا وكان لام ملك عكة
تهدي فيها للنبي صلى الله عليه وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله
ان لا تعصرها ثم دفعها اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها
يسالونها الادم وليس عندهم شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا
فكانت تقيم ادمها حتى عصرتها وكان صلى الله عليه وسلم يتفل في
افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة
يده فيما لمسه صلى الله عليه وسلم وغرسه لسلمان حين كاتبه

مواليه على ثلاثمائة ودية يغرسها لهم كلها ~~صلى الله عليه وسلم~~ وتطعم
اربعين اوقية من ذهب فقام صلى الله عليه وسلم فغرسها
له بيده الا واحدة غرسها عمر فاخذت كلها الا تلك الواحدة
فقطعها النبي صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت وفي كتاب
البزار فاطعم النخل من عامه الا واحدة فقطعها فقطعها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعمت من عامها واعطاه
مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد ان ادارها على لسانه
فوزن للموالي اربعين اوقية وبقي عندهم مثل ما اعطاهم
وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله صلى الله عليه وسلم
شربة من سويق شرب اولها وشربت اخرها فما برحت
اجد شبعها اذا اجعت وريها اذا عطشت وبردها اذا اظمأت
واعطى ~~صلى الله عليه وسلم~~ قتادة بن النعمان وصلى معه العشاء
في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا وقال انطلق به فانه سيضيء
لك من بين يديك عشرا ومن خلفك عشرا فاذا دخلت
بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه الشيطان
فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه ~~صلى الله عليه وسلم~~ لعكاشة
جذل حطب وقال اضرب به حتى انكسر سيفه يوم بدر فعاد
في يده سيفا صارما طويل القامة ابيض شديد المتن فقاتل به
ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان استشهد في قتال اهل
الردة وكان هذا السيف يسمى العون ودفعه لعبد الله بن جحش
يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل فرجع في يده سيفا
ومنها بركته صلى الله عليه وسلم في درور الشياه الحوائل
باللبن الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة
انس وغنم حليمة مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
وكانت لم يدر عليها فحل وشاة المقداد ومن ذلك تزويده
صلى الله عليه وسلم اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فيه
فلما حضرتهم الصلاة نزلوا فحلوه فاذا هو لبن طيب وزبدة
في فمه من رواية حماد بن سلمة ومسح صلى الله عليه وسلم على راس

عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما شاب وروى مثل
هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومذلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لانه صلى الله
عليه وسلم مسح بيده على بطنه وظهره وسلت الدم صلى الله عليه وسلم
عن وجه عايذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له
غرة كغرة الفرس ومسح صلى الله عليه وسلم على راس قيس بن
زيد الجذامي ودعا له فهلك وهو ابن مائة سنة وراسه ابيض
وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت عليه يده
من شعره اسود فكان يدعى الاغر وروي مثل هذه الحكاية لعمرو
ابن ثعلبة الجهني ومسح صلى الله عليه وسلم وجه اخر فما زال
على وجهه نور ومسح وجه قتادة بن ملحان فكان لوجهه بريق
حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة ووضع يده صلى الله
عليه وسلم على راس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يوتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونفخ في وجه زينب
بنت ام سلمة نفخة من ماء فما كان يعرف في وجه امراة من الجمال
ما بها ومسح صلى الله عليه وسلم على راس صبي به عاهة فبرأ واستوى
شعره وعلى عين واحد من الصبيان المرمى والجانين فبرؤا واتاه صلى
الله عليه وسلم رجل به اذرة فامره ان ينضحها بماء من عين يخرج فيها
ففعل فبرأ وعن طاووس لم يموت النبي صلى الله عليه وسلم باحد
به مس فصك في صدره الا ذهب المس الجنون ومج في دلو من بئر
ثم صبت فيها فتفاح منها ريح المسك واخذ صلى الله عليه وسلم
قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في وجوه الكفار وقال
شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا عن اعينهم وشكا اليه
صلى الله عليه وسلم ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه
وغرف بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما
يروى عنه في هذا كثير وضرب صدر جرير بن عبد الله ودعا
له وكان ذكر له انه لا يثبت على الخيل فصار من افرس العرب
واثبتهم ومسح راس عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو صغير

وكان رميما ودعا له بالبركة فقرع الرجال طولا وتماما فصل
ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون والاحاديث في
هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه المعجزة من جملة
معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام
ابو بكر محمد بن الوليد الفهري الطرطوشي اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر
ثنا ابو علي التستري ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود
ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة
قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه
ونسيه من نسيه قد علمه اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء
قد عرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب
عنه ثم اذا راءه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي اصحابي ام تناسوه
والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة
الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه
في السماء الا ذكرنا منه علما وقد خرج اهل الصحيح والائمة
ما اعلم به اصحابه صلى الله عليه وسلم فيما وعدهم به من الظهور
على اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق
وظهور الامن حتى تظعن المراة من الحيرة الى مكة لا تخاف
الا الله وان المدينة ستغزى وبفتح خيبر على يدي علي في غد
يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويوتون من زهرتها
وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم
على ثلاث وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانهم سيكون
لهم انماط ويغدو احدهم في حلة ويروح في اخرى وتوضع بين
يديه صحفة وترفع اخرى ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة
ثم قال اخر الحديث وانتم اليوم خير منكم يومئذ وانهم

اذا

اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس والروم رد الله
باسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك والخزر
والروم وذهاب كسرى وقارس حتى لا كسرى ولا قارس بعده وذهاب
قيصر حتى لا قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى اخر الدهر
وبذهاب الامثل فالامثل من الناس وتقارب الزمان وقبض العلوم
وظهور الفتن والهرج وقال صلى الله عليه وسلم ويل للعرب من شر
قد اقترب وانه زويت له الارض فارى مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امته ما زوي له منها فكذلك كان استدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه
وذلك ما لم تملكه امة من الامم ولم تمتد في الجنوب ولا في الشمال
مثل ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين
على الحق حتى تقوم الساعة وذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم
المختصون بالسقي بالغرب وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم
اهل المغرب وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه وفي حديث
اخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على
الحق قاهرين لعدوهم حتى ياتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا
رسول الله واين هم قال ببيت المقدس واخبر بملك بني امية وولاية
معاوية ووصاه واتخاذ بني امية مال الله دولا وخروج ولد العباس
بالرايات السود وملكهم واضعاف ما ملكوا وخروج المهدي
وما ينال اهل بيته وتقتيلهم ونشر يدهم وقتل علي وان اشقاها
الذي يخضب هذه من هذه اي لحيته من راسه وانه قسيم النار
يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه النار فكان ممن عاداه الخوارج
والناصبة وطائفة ممن ينسب اليه من الروافض كفروه وقال
صلى الله عليه وسلم يقتل عثمان وهو يقراء المصحف وان الله
عسى ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه
على قوله فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وان الفتن لا تظهر
ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير لعلي وبنباح كلاب الحوب على بعض
ازواجه وانه يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت فنبحت
على عايشة عند خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية

فقتله اصحاب معاوية وقال صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن الزبير
ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال صلى الله عليه وسلم في قوم
وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال صلى الله عليه
وسلم في جماعة فيهم ابو هريرة وسمرة بن جندب وحذيفة اخبركم موتا
في النار فكان بعضهم يسئل عن بعض فكان سمرة اخرهم موتا هرم
وخرف فاصطلى بالنار فاحترق فيها وقال صلى الله عليه وسلم
في حنظلة الغسيل رضي الله تعالى عنه سلوا زوجته عنه فاني
رايت الملائكة تغسله فسالوها فقالت انه خرج جنبا
واعجله الحال عن الغسل قال ابو سعيد رضي الله عنه ووجدنا
راسه يقطر ماء وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة في قريش
ولن يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال صلى الله عليه
وسلم يكون في ثقيف كذاب ومبير فراوهما الحجاج والمختار وقال
ان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله لحوقا به وانذر بالردة
وبان الخلافة بعده تكون ثلاثون سنة ثم ملكا فكانت كذلك
بمدة الحسن بن علي وقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الامر بدا نبوة
ورحمة ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون
عتوا وجبروتا وفسادا في الامة واخبر صلى الله عليه وسلم
بشاء ذا وبنبي الفرتى وباء مراء يؤخرون الصلوة عن وقتها
وسيكون في امته ثلاثون كذابا فيهم اربع نسوة وفي حديث
اخر ثلاثون دجالا كذابا اخرهم الدجال الكذاب كلهم يكذب
على الله ورسوله وقال صلى الله عليه وسلم يوشك ان يكثر فيكم
العجم ياكلون فيكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى
يسوق الناس بعصاه رجل من قحطان وقال صلى الله عليه وسلم
خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم ياتي
بعد ذلك قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون
وينذرون ولا يوفون وقال صلى الله عليه وسلم لا ياتي زمان
الا والذي بعده شر منه وقال صلى الله عليه وسلم هلاك امتي
على يدي غيلمة من قريش قال ابو هريرة رواه لو شئت سميتهم لكم
بنو فلان وبنو فلان واخبر صلى الله عليه وسلم بظهور القدرية والرافضة وشي

هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم
يزل امرهم يتبدد حتى لم يبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة
واخبر بشان الخوارج وصفتهم والمخدع الذي فيهم وان
سيماهم التحليق ويرى رعاة الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة
يتبارون في البنيان وان تلد الامة ربتها وان قريشا والاحزاب
لا يغزونه ابدا وانه هو يغزوهم واخبر صلى الله عليه وسلم بالموتان
الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد صلى الله عليه وسلم من
سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان
الدين لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت
ريح في غزاته صلى الله عليه وسلم فقال هاجت لموت منافق
فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال صلى الله عليه وسلم
لقوم من جلسائه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابو هريرة
فذهب القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة
واعلم صلى الله عليه وسلم بالذي غل خرزا من خرز يهود فوجدت في
رحله وبالذي غل الشملة وحدث ناقته حين ضلت وكيف تعلقت
بالشجرة بخطامها وبشان كتاب حاطب الى اهل مكة وبقضية عمير
مع صفوان حين سارده وشرطه على قتل النبي صلى الله عليه وسلم
فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الامر واسر اسلم واخبر صلى الله عليه
وسلم بالمال الذي تركه عمه العباس عند ام الفضل بعد ان كتمته
فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم صلى الله عليه وسلم بانه
سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه ياكله كلب الله
وعن مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال صلى الله عليه وسلم
في الحسن ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين و
لسعد لعلك ان تخلف حتى ينتفع بك اقوام ويستضر بك اخرون
واخبر صلى الله عليه وسلم بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبنيهم مسيرة
شهر او ازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر صلى
الله عليه وسلم فيروز اذ ورد عليه رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك
اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم واخبر صلى الله عليه وسلم ابا ذر

بتطريه كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك اذا اخرجت
منه قال اسكن الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث وبعثه وحده و
موته وحده واخبر صلى الله عليه وسلم ان اسرع ازواجه به لحوقا اطولهن
يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر صلى الله عليه وسلم
بقتل الحسين بالطف واخرج بيده تربة وقال فيها مضجعه وقال
صلى الله عليه وسلم في زيد بن صوحان يسبقه عضو منه الى الجنة
فقطعت يده في الجهاد وقال صلى الله عليه وسلم في الذين كانوا معه على
حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان و
طلحة والزبير وطعن سعد وقال صلى الله عليه وسلم لسراقة كيف بك
اذا لبست سواري كسرى فلما اتي بهما لعمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي
سلبهما كسرى والبسهما سراقة وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل
وقطربل والصراة يجبى اليها خزائن الارض يخسف بها يعني بغداد
وقال صلى الله عليه وسلم سيكون في هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر على هذه الامة من فرعون لقومه وقال صلى الله عليه
وسلم لا تقوم الساعة حتى تقتل فئتان دعواهما واحدة وقال صلى الله
عليه وسلم لعمر في سهيل بن عمرو عسى ان يقوم مقاما يسرك يا عمر
فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي صلى الله
عليه وسلم وخطب بنحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال
لخالد حين وجهه لا يكدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه
الامور كلها في حياته وبعد موته كما قال صلى الله عليه وسلم الى ما اخبر
جلساؤه من اسرارهم وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين
وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه
اسكت فوالله لو لم تكن عنده من يخبره لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه
صلى الله عليه وسلم بصفة السحر الذي سحر به لبيد بن الاعصم وكونه في
مشط ومشاطة في جف طلع نخلة ذكر وانه التقى في بئر ذروان فكان
كما قال ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما في صحيفتهم
التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل
اسم لله فوجدوها كما قال ووصفه صلى الله عليه وسلم لكفار قريش
بيت المقدس حين كذبوه في خبر الاسراء ونعته اياه نعت

من عرفه

من عرفه واعلامهم بعيرهم التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت
وصولها فكان كله كما قال الا ما اخبر به من الحوادث التي تكون ولم يات
بعد منها ما ظهرت مقدماتها كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت
المقدس خراب يثرب وخراب يثرب خروج الملحمة وخروج الملحمة فتح
القسطنطينية ومن اشراط الساعة وآيات حلولها وذكر النشر
والحشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات القيمة
وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزاء وحده
وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها في
الصحيح وعند الائمة **فصل في عصمة الله تعالى له من الناس وكفايته**
من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس وقال تعالى واصبر لحكم
ربك فانك باعيننا وقال تعالى اليس الله بكاف عبده قيل يكافي
محمدا اعداءه المشركين وقيل عن هذا وقال تعالى انا كفيناك المستهزئين
الذين يجعلون مع الله الها آخر وقال تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا
الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي بقراءتي عليه والفقيه
الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المغافري قالا انا ابو الحسين الصيرفي
قال انا ابو يعلى البغدادي انا ابو علي التستري انا ابو العباس المروزي
انا ابو عيسى الحافظ انا عبد بن حميد انا مسلم بن ابراهيم انا الحرث بن
عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الاية والله يعصمك
من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم راسه من القبة
فقال لهم يا ايها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروي
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه
شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي فاخترط سيفه ثم قال من يعصمك
مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط سيفه وضربت
براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الاية وقد روي هذه
القصة في الصحيح وان غورث بن الحرث صاحب هذه القصة وان
النبي صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال جئتكم من عند
خير الناس وقد حكيت مثل هذه الحكاية لما هجرت له يوم بدر
وقد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين

ذلك

وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان
بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحرث وان الرجل اسلم فلما رجع الى
قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم فقالوا له اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري
فوقعت لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت قيل
وفيه نزلت يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم
ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث
المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم فلم يشعر به الا
وهو قائم على راسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت فانكب
من وجهه من زلخة زلخا بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة م
وصح الظهر وقيل في قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين امنوا
اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الاية
وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه
الاية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن حميد قال
كانت حمالة الحطب تضع القصاة وهي جمر على طريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فكانما يطؤها كتيبا اهيل وذكر ابن اسحاق م
عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع
زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في
المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما لم تر
الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر
اين صاحبك فقد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر
فاه وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى
اذا رايناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بشر مامة احد فوقفنا
مغشيا علينا فما افقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا
ليلة اخرى فجئناه حتى اذا رايناه جاوزت الصفا والمروة فالت
بيننا وبينه وعن عمر تواعدنا انا وابو جهم بن حذيفة ليلة قتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا مترله فسمعنا له فاصبح
وقراء الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم
على عضد عمر وقال اخ وقرا هاردين فكانت من مقدمات اسلام
عمر

عمر ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عند ما اخافته قريش
واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد
ضرب الله على ابصارهم وذر التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته
من رؤيتهم في الغار بما هيا الله له من الايات ومن العنكبوت الذي
نسج عليه حتى قال امية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما اريكم فيه وعليه
من نسج العنكبوت ما ارى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان
على فم الغار فقالت قريش لو كان فيه احد لما كانت هناك الحمام
وقصته صلى الله عليه وسلم مع سراقة بن مالك بن جعشم حين الهجرة
وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فاندفعه فركب فرسه واتبعه
حتى اذا اقرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم
فرسه الى ركبتها فخر عنها واستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب
ودنا حتى سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت
وقال للنبي صلى الله عليه وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت
ثانية الى ركبتيها وخر عنها وزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان
فناداهم بالامان فكتب له النبي صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة
وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار وامره النبي صلى الله عليه وسلم
ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ما ها هنا
وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فبحا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر احر ان داعيا عرف خبرهما
فخرج يشتد يعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري
ما يصنع وانسي ما خرج له حتى رجع الى موضعه وجاءه صلى الله عليه وسلم
فيما ذكره ابن اسحاق وعزه ابو جهل بصخرة وهو ساجد وقريش
ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل
يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت
يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن راه ليدمغنه
فسألوه عن شانه فذكر انه عرض له دونه فحل ما رايت مثله قط
هم بي ان ياكلني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا
لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا من بني المغيرة اتى النبي صلى الله
عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم

اليه

وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى فارقوه وذكر ان في هاتين
القصتين نزلت انا جعلنا في اعناقهم اغلالا الايتين ومن ذلك
ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بني قريظة واصحابه يجلس
الى جدار بعض اطامهم فابعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحى
فقام النبي صلى الله عليه وسلم وانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم
وقد قيل ان قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم
قوم في هذه القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين الذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب
اجلس يا ابا القسم حتى نطعمك ونعطيك ما سالتنا فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل
النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجته حتى
دخل المدينة وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة
ان ابا جهل وعد قريشا لئن راى محمدا يصلي ليطان رقبته
فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا
ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه اشرفت
على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه وابصرت هولا عظيما وخفق
اجنحة قد ملاءت الارض فقال صلى الله عليه وسلم تلك الملائكة
لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم
كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى الى اخر السورة وروي
ان رجلا يعرف بشيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان
حمزة قد قتل اباه وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط
الناس اتاه من خلفه ورفع سيفه ليصيبه عليه قال فلما دنوت
منه ارتفع الي شواظ من نار اسرع من البرق فولي هاربا
واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني فوضع يده على صدري
وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب الخلق الي وقال
ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي ولو لقيت الحين تلك
الساعة لاوقعت به دونه وعن فضالة بن عمرو قال اردت قتل
النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء

فضحك

فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي والله
ما رفعها حتى ما خلق الله شيا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر
عامر بن الطفيل واربد بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم
وكان عامر قال له انا اشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره
فعل شيا فلما كلمه في ذلك قال له والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك
بيني وبينه افاضربك ومن عصمته صلى الله عليه وسلم له تعالى ان
كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته
بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيهم امره ومن ذلك
نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم فصل
ومن معجزاته باهرة ما جمعه الله له من المعارف والعلوم وخصه من
من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين ومعرفته بامور شرايعه وقوانين
دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما كان في الامم قبله وقصص
الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من لدن ادم الى زمنه
وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبيائهم وايام الله
فيهم وصفات اعيانهم واختلاف ازمانهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم وتحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من
الكذابين بما في كتبهم واعلامهم باسرارها وتخباءات علومها و
اخبارهم بما كتموه من ذلك وغيروه الى الاخفاء على لغات العرب
وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب فصاحتها والحفظ
لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص بجوامع
كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتقريب
التفهيم للغامض والتبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي
لا تناقض فيه ولا تخاذل مع اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق
ومحامد الاداب وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل
سليم شيا الا من جهة الخذلان بل كل جاحد له وكافر به من الجاهلية
اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه دون طلب اقامة برهان
عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث وصان به
انفسهم واعراضهم وامرالهم من المعاقبات والحدود عاجلا و
التخويف بالنار اجلا الى الاخفاء على ضروب العلوم وفنون

المعارف كالطب والعبارة والفرايض والحساب والنسب وغير
ذلك من العلم فما اتخذنا هذه المعارف كلامه صلى الله عليه وسلم
فيها قدوة واصولا في علمهم كقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
لاول عابر وهي على رجل طاير وقوله صلى الله عليه وسلم الرؤيا
ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل نفسه ورؤيا تحزين من
الشيطان وقوله صلى الله عليه وسلم اذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا
المؤمن تكذب وقوله صلى الله عليه وسلم امهل كل داء البردة وما روي
عنه في حديث ابي هريرة من قوله صلى الله عليه وسلم المعدة حوض
البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا حديثا لا نصححه لضعفه
وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني وقوله صلى الله عليه وسلم
خير ما تداويتم به السعوط واللدود والحجامة والمشي وخير
الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين وفي العود
الهندي سبعة اشفية وقوله صلى الله عليه وسلم ما ملاء ابن ادم
وعاء شرا من بطنه الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث
للشراب وثلث للنفس وقوله صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن
من سباء ارجل هو او امراة او ارض فقال رجل ولد عشرة تيامن منهم
ستة وتشام اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه صلى الله عليه وسلم
في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطربت العرب على شغفها بالنسب
الى سؤاله عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله صلى الله عليه وسلم خير راس
العرب ونابها ومذحج هامتها وغلصمتها والازد كاهلها وحجمتها
وهمدان غاربها وذروتها وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله صلى الله
عليه وسلم في الحوض زواياه سواء وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث
الذكر وان الحسنة بعشر فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة
في الميزان وقوله صلى الله عليه وسلم وقد مر بموضع نعم موضع الحمام هذا
وقوله صلى الله عليه وسلم ما بين المشرق والمغرب قبلة وقوله صلى الله عليه
وسلم لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله صلى الله عليه وسلم لكاتبه
ضع القلم على اذنك فانه اذكر للمملي هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان
لا يكتب ولكنه اوتي علم كل شيء حتى قد وردت اثار بمعرفته

حروف

حروف الخط وحسن تصويرها كقوله لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم
رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله صلى الله عليه وسلم
في الحديث الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه صلى الله
عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين
ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح
الرواية انه صلى الله عليه وسلم كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ومنع
الكتابة والقراءة واما علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه
معاني اشعارها فامر مشهور قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك
حفظه لكثير من لغات الامم كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث سنه
سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله صلى الله عليه وسلم ويكثر الهرج وهو
القتل بها وقوله صلى الله عليه وسلم في حديث ابي هريرة اشتكت درزم اي
وجع البطن بالفارسية الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا
ببعضه الا من مارس الدروس والعكوف على الكتب ومشافهة اهلها عمن
وهو رجل كما قال الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرا ولا عرف بصحبة من هذه
صفته ولا نشاء بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف
هو قبل بشيء منها قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا
تخطه بيمينك الاية انما كانت غاية معارف العرب النسب واخبار
اوايلها والشعر والبيان وانما حصل ذلك لهم بعد التضرع لعلم ذلك
والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه وهذا الفن نقطة من بحر علمه
صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد لشيء مما ذكرناه ولا وجد
الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه الا قولهم اساطير الاولين وانما يعلمه بشر
فرد الله قولهم بقوله تعالى لسان الذي يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان
عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة للعيان فان الذي نسبوا تعليمه اليه
اما سلمان الفارسي او العبد الرومي وسلمان انما عرفه بعد الهجرة ونزول
الكثير من القران وظهور ما لا يعد من الايات واما الرومي فكان اسلم
وكان يقرا على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه وقيل بل كان
النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عند عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان
وهم الفصحاء اللد والخطباء اللسن وقد عجزوا عن معارضة ما اتى به
والاتيان بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف

باعجمي الكنى نعم وقد كان سلمان او بلعام الرومي او يعيش او جبر او يسار
على اختلافهم في اسمه بين اظهرهم يكلمونه مدى اعمارهم فهل حكي عن
واحد منهم شيء من مثل ما كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد
منهم بمعرفة شيء من ذلك وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده
ودوب طلبه وقوة حده ان يجلس الى هذا فيأخذ عنه ايضا ما
يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شغبه كفعل النضر بن الحارث بما
كان يحرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله عليه وسلم عن قومه
ولا كثر اختلافه الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه استمد منهم بل
لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه على عادة ابناء هم ثم لم
يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيها مكثه مدة يحصل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعلم
واختلاف الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان هذا بعد كله لكان
مجيء ما اتى به في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا
لكل امر **فصل** ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم وكراماته وباهر آياته
انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة الجن
له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله
هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين الآية وقال تعالى اذ يوحي ربك
الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال تعالى اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم اني ممدكم بألف من الملائكة الآيتين وقال تعالى واذ
صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاص
الفقيه بسماعي عليه حدثنا ابو الليث السمرقندي قال ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبيد الله
ابن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش
عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال رأى جبريل في
صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع جبريل واسرافيل و
غيرهم من الملائكة وما شاهده من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة
الاسراء مشهور وقد رآهم بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة
فرأى اصحابه جبريل عليه السلام في صورة رجل يسأله عن الاسلام

والايمان

والايمان ورأى ابن عباس واسامة وغيرهما عنده جبريل في صورة دحية الكلبي
ورأى سعد على يمينه ويساره جبريل وميكائيل في صورة رجلين عليهما
ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر الملائكة خيلها
يوم بدر وبعضهم رأى نطائر الرؤس من الكفار ولا يرون الضارب
ورأى ابو سفيان بن الحارث يوم بدر رجالا بيضا على خيل بلق بين
السماء والارض ما يقوم لها شيء وقد كانت الملائكة تصافح عمران
ابن الحصين وارى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة
خر مغشيا عليه وارى عبد الله بن مسعود الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب
ابن عمير لما قتل يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله
عليه وسلم يقول له تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب
فعلم انه ملك وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه انه قال بينما نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم
اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم فرد
عليه وقال نعمة الجن من انت قال انا هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس
فذكر انه لقي نوحا ومن بعده في حديث طويل وان النبي
صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر الواقدي
قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
فقال تلك العزى وقال صلى الله عليه وسلم ان شيطانا تفلت
البارحة ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت
ان اربطه الى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم
فذكرت دعوة اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا
لا ينبغي لاحد الآية فرده الله خاسئا وهذا باب واسع **فصل**
ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته صلى الله عليه وسلم ما ازدادت
به الاحبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب
من صفته وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم
الذي بين كتفيه وما وجد من ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين
من شعر شبيب والاوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسقين بن نجاشع

وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن وغيرهم
وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثمان
الحويرث وعلماء يهود وشامول عالمهم صاحب شيخ من صفته
وخبره وما الى من ذلك في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء
وبينوه ونقله عنها ثقات من اسلم منهم مثل بن سلام وبني
سعية وابن يامين ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من
علماء يهود وبحيرا ونسطورا الحبشة وصاحب بصرى وضغاطر
واسقف الشام والجارود وسلمان والنجاشي ونصارى الحبشة
واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف
بذلك هرقل وصاحب رومية عالما النصارى ورئيساهما
ومقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود
ممن حمله الحسد والنفاسة على البقاء على الشقاوة والاخبار
في هذا كثيرة لا تحصر وقد قرع اسماع يهود والنصارى
صلى الله عليه وسلم بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة
اصحابه واحتج عليهم بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم
بتحريف ذلك وكتمانه وليهم السنتهم ببيان امره ودعوتهم
المباهلة على الكاذب فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدا
ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا اخافة في قوله
لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب
الديار ونبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها
ان كنتم صادقين الى ما انذر به الحمقان مثل شافع بن كليب
وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل
ابن جذل الكندي وابن خلصة الدوسي وسعد بن بنت كريز
وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على السنة
الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف
الجان ومن بايع النصب واجراف الصور وما وجد من اسم النبي
صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا في الحجارة
والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور واسلوم من اسلم

وتميم صح

اسلم من يهود والنصارى

بسبب

بسبب ذلك معلوم مذكور **فصل** ومن ذلك ما ظهر من
الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه ومن حضره
من العجائب وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره
الى السماء وما رأته من النور الذي خرج معه عند ولادته وما رأته
اذ ذاك ام عثمان بن العاص من تدلي النجوم وظهور النور عند
ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف
لما سقط رسول الله صلى الله عليه وسلم على يدي واستهل سمعت
قائلا يقول رحمك الله واضاء لي ما بين المشرق والمغرب حتى نظرت
الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظهر راحلته من بركته
ودر ورلبنها الدولبن شاربها وخصب غنمها وسرعة شبابه
وحسن نشاته وما جرى من العجائب ليلة مولده من ارتجاج ايوان
كسرى وسقوط شرفاته وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس
وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا اكل مع عمه ابي طالب واله
وهو صغير شبعوا وروووا فاذا غاب فاكلوا في غيبته لم يشبعوا
وكان سائر ولد ابي طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله عليه وسلم
صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى الله عليه وسلم
شكا جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة السماء
بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشأ
عليه من بغض الاصنام والعصمة عن امور الجاهلية وما خصه الله به
من ذلك وحماه حتى في ستره في الحجر المشهور عند بناء الكعبة اذ
اخذ ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك قال اني نهيت عن التعري
ومن ذلك اظلال الله له بالغمام في سفره وفي رواية ان خديجة
ونساءها رأينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة
فاخبرها انه رأى ذلك منذ خرج معه في سفره وقد روي
ان حليمة رضي الله عنها رأت غمامة تظله وهو عندها وروي
ذلك عن اخيه من الرضاعة ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم
نزل في بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة فاعشوشبت
ما حولها وابتعث هي فاشرقت وتدلت عليه اغصانها بالخضر

حضرهن المولد رسول الله صلى الله عليه وسلم

اي النساء

حديث ابن عساكر

من رآه ومثل في الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى اظلته وما
ذكر من انه كان لا ظل لشخصه صلى الله عليه وسلم في شمس
ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على جسده
ولا ثيابه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك تحنين الخشبة اليه
حتى اوحى اليه ثم اعلامه بموته ودنو اجله وان قبره في المدينة
وفي بيته وان ما بين بيته وبين منبره روضة من رياض الجنة وتخيير
الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث الوفاة من كراماته
وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه في بعضها
واستيذان ملك الموت عليه ولم يستأذن على غيره قبله ولعلهم
الذي سمعوه ان لا تنزعوا القميص عنه عند غسله وما روي من
تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على
اصحابه من كرامته وبركته في حيوته وموته كاستسقاء
عمر بعمه وتبرك غير واحد بدرته الطاهرة فصل قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته واضحة
وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال
على عين الغرض وقصد المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها
على ما صح واشتهر الا يسيرا من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة
وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا للاختصار وبحسب هذا
الباب لو تقصى لكان ديوانا جامعا يشتمل على مجلدات
عدة ومعجزات نبينا صلى الله عليه وسلم اظهر من سائر معجزات
الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند
نبينا مثلها او ما هو ابلغ منها وقد بينه الناس على ذلك
فان اردته فتأمل وصول هذا الباب ومعجزات من تقدم
من الانبياء تقف على ذلك ان شاء الله تعالى واما كونها
كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز فيه عند
بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او اية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل اية منه كيف كانت معجزة وزاد
آخرون ان كل جملة منتظمة منه معجزة وان كانت مركبة وكلمتين

والحق

والحق ما ذكرناه اولا لقوله تعالى فأتوا بسورة من مثله فهو
اقل ما تحداهم به مع ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه
فاذا كان هذا في القرآن من الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف
كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر
كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد انا اعطيناك الكوثر ازيد
من سبعة الف جزء كل واحد منها معجز في نفسه ثم اعجازه كما تقدم
بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء من هذا العدد
معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من
هذه النبذة الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف
العدد كرة اخرى ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف
هذا في حق القرآن فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه
ثم الاحاديث الواردة والاخبار الصادرة عنه صلى الله عليه وسلم
في هذه الابواب وعن ما دل عن امره فيما اشرنا الى جمله يبلغ نحوا
من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان
معجزات الرسل كانت بقدرهم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما
فيه قومه فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث
اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما
خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى
عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم ما لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء ثم ان
الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف العرب
وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل الله
عليه القرآن الخارق لهذه الفصول الاربعة من الفصاحة والايجاز
والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم العربي والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الادب من نهجه ومن الاخبار والحوادث والكوائن والاسرار
والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة

بمعنى عالي

اخبأ او اخفا نخ

ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق
مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم
وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة
والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه
التي بسطناها وبينا العجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه
الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم
القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتامل
وجوه اعجازه الى ما اخبر من الغيوب على هذه السبيل فلا يمضي عصر ولا زمن
الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة
في اليقين والنفس اسكن طمانينة الى عين اليقين منها الى
علم اليقين وان كان كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل
انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد
ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه بقوله فيما حدثنا القاضي
الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد و
ابو اسحاق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز
ابن عبد الله ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من
الايات ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا
اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا يوم القيمة هذا
معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء
الله وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى اخر من ظهورها بكونها
وحيا وكلاما لا يمكن التخيل فيه ولا التخييل عليه ولا التشبيه
فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء
طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم
وعصيهم وشبه هذا مما يخيله فيه الساحر او يتخيل فيه و
القرآن كلام ليس فيه حيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من هذا

الوجه

الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
ان يكون شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول
اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الجفن عليه ويرضى
ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرفة وان المعارضة كانت
في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة
من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله لم يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين هذين
المذهبين فرق بين وعليهما جميعا فترك العرب الاتيان بما في
مقدورهم او ما هو من جنس مقدورهم ورضاهم بالباء والخلاء
والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين اية العجز عن الاتيان
بمثله والنكول عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس
مقدورهم والى هذا ذهب الامام ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا
عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال البديعة في انفسها كقلب العصى
حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك من
اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن وفضل علم
الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق من الانس
بهادم من جنس كلامهم لياتوا بمثله فلم ياتوا فلم يبق بعد توفر الدواعي
على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها بمثابة ما لو قال
نبي ايتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم عليه وارتفاع
الزمانة عنهم فلو كان ذلك وحجزهم الله عن القيام لكان
ذلك من ابهر آياته واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن
بعض العلماء وجه ظهور ايته على سائر الايات الانبياء عليهم السلام
حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها
ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من
ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم من القبط وبني اسرائيل وغيرهم
لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من القساوة وقلة الفطنة بحيث
جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك في العجل
بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه

وما صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الآيات الظاهرة
البينة للابصار بقدر غلظ افهامهم مما لا يشكون فيه ومع هذا
فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن
والسلوى واستبدلوا الذي هو خير بالذي هو ادنى والعرب
على جاهليتها اكثرها تعترف بالصانع وانما كانت تتقرب
بالاصنام الى الله تعالى زلفى ومنهم من امن بالله وحده من قبل
الرسول صلى الله عليه وسلم بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم
الرسول صلى الله عليه وسلم بكتاب الله تعالى فهموا حكمته وبينوا
بفضل ادراكهم الاول وهلة معجزته فآمنوا به وازدادوا كل يوم
ايمانا وزهدوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا اديارهم واموالهم
وقتلوا آباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق
ويعجب ذو برج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزة
نبينا صلى الله عليه وسلم وظهورها ما يغني عن ركوب بطون
هذه المسالك وظهورها وبالله مستعان القسم الثاني
فيما يجب على الانام من حقوقه عليه الصلوة والسلام قال
القاضي رحمه الله تعالى وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب
على ما ذكرناه في اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه
واتباعه وطاعته ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة
عليه والتسليم وزيارة قبره عليه الصلوة والسلام الباب الاول
في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته واذا تقرر
بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته وجب الايمان به وتصديقه
فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وقال تعالى انا
ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وقال فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
متعين لا يتم ايمان الا به ولا يصح اسلام الا معه قال الله ومن لم
يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا حدثنا ابو محمد
الخشني الفقيه بقراءتي عليه ثنا الامام ابو علي الطبري ثنا عبد
الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين
ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء بن عبد

الرحمن

الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان
لا اله الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني
دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال القاضي
ابو الفضل رضي الله عنه والايمان به التصديق بنبوته ورسالته الله له
وتصديقه في جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب
بذلك شهادة اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب
والنطق بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في
الحديث نفسه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما امرت ان
اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد
زاده وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا
رسول الله وذكر اركان الاسلام ثم سأله عن الايمان
فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الحديث فقد قرر
ان الايمان به يحتاج الى العقد بالجنان والاسلام به مضطر الى النطق
باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة فالشهادة
باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق قال الله تعالى اذا
جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله
والله يشهد ان المنافقين لكاذبون اي كاذبون في قولهم ذلك عن
اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه فلما لم تصدق ذلك
ضمائرهم لم ينفعهم ان يقولوا بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فخرجوا
عن اسم الايمان ولم يكن لهم في الاخرة حكمه اذ لم يكن معهم ولحقوا
بالكافرين في الدرك الاسفل من النار وبقي عليهم حكم الاسلام
باظهار شهادة اللسان في احكام الدنيا المتعلقة بالايمان وحكام المسلمين
الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه من علامة الاسلام اذ لم
يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث عنها بل نهى النبي
صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك وقال هلا شققت
عن قلبه والفرق بين القول والعقد حمل ما جعل في الحديث
جبريل الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان وبقيت حالتان

اخريان بين هذين احداهما ان يصدق بقلبه ثم يخترم قبل اتساع
وقت للشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من تمام
الايمان القول والشهادة به وراده بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في
قلبه مثقال ذرة من ايمان فلم يذكر سوى ما في القلب
وهذا مؤمن بقلبه غير عاص ولا مفرط بترك غيره وهذا هو
الصحيح في هذا الوجه الثانية ان يصدق بقلبه ويطول مهلة
وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق بها جملة ولا استشهد في
عمره ولا مرة فهذا اختلف فيه ايضا فقيل هو مؤمن لانه
مصدق والشهادة من جملة الاعمال فهو عاص بتركها غير مخلد وقيل
ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء عقد
والتزام ايمان وهي مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع
المهلة الا بها وهذا هو الصحيح وهذا ينفعي الى متسع من
الكلام في الاسلام والايمان وابوابهما وفي الزيادة فيهما والنقصان
وهل التجزي متسع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما
يرجع الى ما زاد عليه من عمل او بدون قد يعرض فيه لاختلاف
صفاته وتباين حالاته من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح
معرفة ودوام حالة وحضور قلب وفي بسط هذا خروج عن غرض
التاليف وفيما ذكرناه غنية مما قصدنا ان شاء الله وطوبان حقوه وتعالى

فصل واما وجوب طاعته

فاذا وجب الايمان وتصديقه فيما
وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى يا ايها الذين
امنوا اطيعوا الله ورسوله وقال تعالى قل اطيعوا الله والرسول
الاية واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وقال تعالى وان
تطيعوه تهتدوا وقال تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله
وقال تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال
تعالى ومن يطع الله والرسول فاولئك الاية وقال تعالى وما ارسلنا من
رسول الا ليطاع باذن الله فجعل طاعة رسوله طاعته وقرن طاعته بطاعته
على ذلك بجزيل الثواب واوعد على مخالفته بسوء العقاب
واوجب امتثال امره واجتناب نهيه قال المفسرون

والايمة

والايمة طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في التزام سنته والتسليم
لما جاء به وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من
ارسله اليه وقالوا من يطع الرسول في سنته يطع الله في فرايضه وسئل
سهل بن عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما اتاكم الرسول فخذوه
وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرايضه والرسول في سنته
وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا
الله بالشهادة له بالربوبية والرسول بالشهادة له بالنبوة حدثنا
ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو
الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد ابن يوسف
ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري اخبرني
ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة رضي الله عنه يقول
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله
ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع امري فقد اطاعني ومن
عصى امري فقد عصاني فطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من
طاعة الله اذ الله تعالى امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به
وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول
فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال صلى الله عليه وسلم اذا
نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بامر فاتوا منه ما استطعتم
وفي حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم كل امتي يدخلون الجنة
الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني
فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه الصلوة والسلام مثلي
ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رايت
الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجا فاطاعه طايفة من
قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طايفة
منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم
فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني و
كذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى
دارا وجعل فيها مادبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار

واكل من المائدة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المائدة
فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه السلام فمن اطاع محمدا فقد
اطاع الله ومن عصى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله ومحمد
فرق بين الناس **فصل** واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء
بهديه فقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم وقال تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي
الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك الى قوله تسليما اي ينقادون بحكمك
يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال تعالى لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية قال محمد
ابن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك
مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو
عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم
قال بمتابعة السنة فامرهم تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه
لان الله تعالى ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم
ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم
ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى ومغفرته اذا اتبعوه
واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان صحة
ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض
عليه وروي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله
فانزل الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله الاية وروي ان الاية نزلت في
كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ونحن اشد حبا لله فانزل الله الاية وقال الزجاج معناه ان
كنتم تحبون الله اي تقصدون طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة
العبد لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله تعالى
لهم عفوه عنهم وانعامه عليهم برحمته ويقال المحب من الله
عصمة وتوفيق ومن العبد طاعة كما قال القائل تعصي الاله
وانت تظهر حبه هذا لعمري في القياس بديع لو كان حبك صادقا
لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع ويقال محبة العبد لله

تعظيمه

تعظيمه له وهيبته منه ومحبته الله رحمته له وارادته الجميل له
وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه قال القشيري فاذا كان بمعنى
الرحمة والارادة والمدح كان من صفات الذات وسيأتي بعد في
ذكر محبة العبد غير هذا بحول الله تعالى حدثنا ابو اسحاق ابراهيم
ابن جعفر الفقيه قال ثنا الاصبغ عيسى بن سهل وثنا ابو الحسن
يونس بن مغيث الفقيه قراءة عليه قالا ثنا حاتم بن محمد ثنا
ابو حفص الجمحي ثنا ابو بكر الاجري ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي
ثنا داود بن رشيد ثنا ابو الوليد بن مسلم عن ثور بن يزيد عن خالد
ابن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو الاسلمي وحجر الكلاعي عن العرباض
ابن سارية في حديث في موعظة النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها
بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة
وكل بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار
وفي حديث ابي رافع عنه صلى الله عليه وسلم لا الفين احدكم
متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت عنه
فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وفي حديث
عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا وترخص
فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله
ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني لاعلمهم
بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك
بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن
وحديثي خسر الدنيا والاخرة امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا
امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن قال الله
تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الاية وقال
عليه الصلوة والسلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب عن
سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدى
هدى محمد وشر الامور محدثاتها وعن عبد الله بن عمرو بن العاص

فقد

قال قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة فما سوى ذلك فهو فضل
اية محكمة او سنة قائمة او فريضة عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن
قال عليه السلام عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة
وقال عليه السلام ان الله يدخل العبد الجنة بالسنة تمسك بها
وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم المتمسك بسنتي
عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال صلى الله عليه وسلم
ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على
ثلاث وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله
قال الذي انا عليه اليوم واصحابي وعن انس قال عليه السلام من احيى
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لبلال بن الحرث من احيا سنة من سنتي
قد اميتت بعدي فان له من الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص
من اجورهم شيا ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله
كان عليه مثل اثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزارهم شيا

في الجنة

فصل واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع سنته
والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن عبد الرحمن
بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ قال ثنا
سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد
ابن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من
آل خالد بن اسيد انه سال عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن
انا نجد صلاة الخوف وصلاة الحضر في القران ولا نجد صلاة
السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي ان الله بعث الينا محمدا ولا نعلم شيا
فانما نفعل كما رايناه يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن
رسول الله وولاة الامر بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب
الله واستعمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها
ولا تبديلها ولا النظر في راي من خالفها من اقتدى بها
فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور ومن خالفها واتبع
غير سبيل المؤمنين ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت
مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن عمل قليل في سنة خير من عمل
كثير

كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل العلم قالوا الاعتصام
بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة والفرايض واللحن
اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقران فخذوهم بالسنن
فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبره حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع
وعن علي حين قرن فقال له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله
قال له لم اكن ادع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول احد
من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى الي ولكني اعمل بكتاب الله
وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت وكان ابن مسعود يقول
القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال ابن عمر صلاة
السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب عليكم بالسبيل
والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله ففاضت
عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على الارض من عبد على السبيل
والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده من خشية الله الا
كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها فهي كذلك اذا اصابتها ريح
شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات
عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد
في سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا
ان يكون على منهاج الانبياء وسننهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد
العزيز الى عمر يحال بلده وكثرة نصوصه هل ياخذهم بالظنة
او يحملهم على البينة وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر
خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة فان لم يصلحهم الحق
فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله فان تنازعتم في شيء فردوه
الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله وقال
الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اتباعها
وقال عمر ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك
ثم قبله وروى عبد الله يدير ما قدر في مكان ضيق فقال
لا ادري الا اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته

خلوة

وقال ابو عثمان الجنيدي من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة
ومن امر الهوى على نفسه نطق بالبدعة وقال سهل التستري اصول
مذهبنا ثلاثة الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق
والافعال والاكل من الحلال والاخلاص النية في جميع الاعمال وجاء
في تفسير قوله والعمل الصالح يرفعه انه الاقتداء برسول الله صلى
الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت يوما مع جماعة تجردوا
ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله واليوم الآخر
فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرأيت تلك الليلة قائلا
لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك المئزر وجعلك اماما
يقتدى بك قلت من انت قال جبريل **فصل** ومخالفة امره
وتبديل سننه ضلال وبدعة متوعد عليه بالخذلان والعذاب
قال الله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره ان يصيبهم فتنة
او يصيبهم عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما
تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الآية
حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي
عليهما قالا نا ابو القاسم حاتم بن محمد نا ابو الحسن القابسي
نا ابو الحسن بن مسرور الدباغ نا احمد بن ابي سليمان نا سحنون
ابن سعيد نا ابن القاسم نا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة
وذكر الحديث في صفة امته وفيه فليذادن رجال عن حوضي
كما يزاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم فيقال
انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا وروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي
فليس مني وقال من ادخل في امرنا ما ليس منه فهو رد وروى
ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا الفين
احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت
به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله تعالى
زاد في حديث المقدام الا وان ما حرم رسول الله صلى الله
عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال عليه السلام وجب

بكتاب

بكتاب الكتيف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم
الى غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا
عليك الكتاب يتلى عليهم الآية وقال عليه السلام هلك المتنطعون
وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعمل به الا عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره
ان ازيغ **الباب الثاني** في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان
آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها
الآية فكفى بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على التزام محبته ووجوب
فرضها وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه السلام اذ فرع تعالى
من كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم
بقوله فتربصوا حتى ياتي الله بامره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم
انهم ممن ضل ولم يهد الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ
فيما اجازنيه وهو مما قرأته على غير واحد قال نا سراج بن عبد الله
القاضي نا ابو محمد الاصيلي نا المروزي نا ابو عبد الله محمد بن يوسف
نا محمد بن اسماعيل نا يعقوب ابن ابراهيم نا ابن علية عن عبد العزيز
ابن صهيب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس
اجمعين من ابي هريرة نحوه وعن انس عنه عليه السلام ثلاث
من كن فيه وجد حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه
مما سواهما وان يحب المرء لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر
كما يكره ان يقذف في النار وعن عمر بن الخطاب انه قال للنبي صلى
الله عليه وسلم لانت احب الي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم حتى اكون
احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت
احب الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
الآن يا عمر قال سهل من لم ير ولاية الرسول عليه في جميع الاحوال
ويرى نفسه في ملكه عليه السلام لا يذوق حلاوة سنته لان
النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب
اليه من نفسه الحديث **فصل** في ثواب محبته نا ابو محمد

ابن عتاب بقرائتي عليه ثنا ابو القسم حامد حدثنا ابو الحسن
علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل
ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله متى الساعة
قال ما اعددت لها قال ما اعددت لها من كثير صلوة ولا صوم ولا
صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال انت مع من احببت وعن
صفوان بن قدامة هاجرت الى النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته
فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك فناولني يده فقلت يا
رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا اللفظ
عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس
وعن ابي ذر بمعناه وعن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ
بيد حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين وابا هما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لانت احب الي من اهلي ومالي
واني لاذكرك فما اصبر حتى اجيء فانظر اليك واني ذكرت
موتي وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين
وانا دخلتها لا اراك فانزل الله ومن يطع الله والرسول فاولئك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه وفي
حديث اخر كان رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليه
لا يطرف فقال ما بالك قال بابي وامي اتمتع من النظر اليك فاذا
كان يوم القيمة رفعك الله بتفضيله فانزل الله الاية وفي حديث
انس من احبني كان معي في الجنة **فصل** فيما روي عن السلف والايمة
من محبتهم النبي صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضي
الشهيد ثنا العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل عن
ابيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اشد امتي لي حبا ناس يكونون بعدي يود احدهم لو راني باهله
ومالي ومثله عن ابي ذر تقدم حديث عمرو وقوله للنبي صلى الله

عليه

وقد صح

عليه وسلم لانت احب الي من نفسي وما تقدم عن الصحابة في
مثله وعن عمرو بن العاص ما كان احد احب الي من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن عبدة بنت خالد بن معدان قالت ما كان
خالد يأوي الى فراش الا وهو يذكر من شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
والى اصحابه من المهاجرين والانصار ويسميهم ويقول هم امهلي
وفصلي واليهم يحن قلبي طال شوقي اليهم فعجل ربي قبضي اليك حتى
يغلبه النوم وروي عن ابي بكر الصديق قال للنبي صلى الله عليه وسلم
والذي بعثك بالحق لاسلام ابي طالب كان اقر لعيني من اسلامه يعني
اباه قحافة وذلك ان اسلام ابي طالب كان اقر لعينك ونحوه عن
عمر بن الخطاب قاله للعباس ان اسلام احب الي من ان يسلم الخطاب
لان ذلك احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن اسحاق
ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها وزوجها يوم احد
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارنيه حتى
انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل علي بن ابي طالب
كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا وابائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على
الظماء وعن زيد بن اسلم خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا
في بيت واذا عجوز تغزل صوفا وتقول على محمد صلاة الابرار
صلى عليه الطيبون الاخيار • قد كنت قواما بكاء بالاسحار •
يا ليت شعري والمنايا اطوار • هل تجمعني وحبيبي الدار •
تعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وفي الحكاية طول روي
ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر احب الناس اليك
منك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر بلال نادت
امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا وحزبه
وروي ان امرأة قالت لعائشة اكشفي لي قبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج
اهل مكة زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه فقال له ابو سفيان
ابن حرب انشدك بالله يا زيد اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك

اوصول دين ٣

هو بخ بخ

انا

تضرب عنقه وانك في اهلك صح

فقال زيد والله ما احب ان محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه
شوكة وفي جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا
يحب احدا كحب اصحاب محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس
كانت المراة اذا اتت النبي صلى الله عليه وسلم حلفها بالله ما
خرجت من بغض زوج ولا رغبة بها رض عن ارض وما خرجت
الا حبا لله ولرسوله ووقف بن عمر على ابن الزبير بعد قتله فاستغفر
له وقال كنت والله فيما علمت صواما قواما ما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب
شيئا اثره واثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا
فالصادق في حب النبي عليه السلام ان تظهر علامات ذلك
عليه واولها الاقتداء به واستعمال سننه واتباع اقواله وافعاله
وامتثال اوامره واجتناب نواهيه والتادب بادابه في عسره
ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد ذلك قوله تعالى قل ان كنتم
تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وايثار ما شرعه وحض عليه
على هوى نفسه وموافقته شهوته قال الله تعالى والذين
تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا
يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو
كان بهم خصاصة واتحاظ العباد في رضى الله حدثنا القاضي
ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل بن حيرون
قالا انا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السبحي ثنا محمد بن محبوب
ابو عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن
ابيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن انس بن مالك قال قال
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تمسي وتصبح
ليس في قلبك غش لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من
سنتي ومن احيا سنتي فقد احبني ومن احبني كان معي في الجنة
فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة ولا يخرج عن اسمها
ودليله قوله عليه السلام للذي جلده في الخمر فلعنه بعضهم
وقال ما اكثر ما يؤتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تلعنه
فانه يحب الله ورسوله ومن علامات محبته النبي صلى الله عليه
وسلم

احتياج

لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور فهو ناقص المحبة صح

وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر من ذكره ومنها كثرة شوقه
الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الاشعريين عند
قدومهم المدينة انهم كانوا يدخلون غدا يلتقي الاحبة محمدا وصحبه
وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من
قصة خالد بن معدان ومن علامته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره
عند ذكره واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحاق
التجيبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا
واقشعرت جلودهم وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من
يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه ومنهم من يفعل ذلك محبة له
وتوقيرا ومنها محبته لمن احب النبي صلى الله عليه وسلم ومن هو
بسببه من اهل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب
من يحبه وقد قال عليه السلام في الحسن والحسين اللهم اني احبهما
فاحبهما وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد
احبني ومن احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن
ابغضني فقد ابغض الله وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
ومن اذاهم فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله
يوشك ان ياخذه وقال لفاطمة يغضبها انما بضعة مني
يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن زيد احبيه فاني
احبه وقال ايه الايمان حب الانصار رواية التفاني بغضهم وفي
حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي
ابغضهم فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شيء يحبه وهذه
سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات النفس وقد قال
انس حين راى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي
وعبد الله بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسالوها ان تصنع
لهم طعاما مما كان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر
يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة اذ راى النبي صلى الله

اي لا تقولوا في حقهم ما لا يوجب حقارتنا

عليه وسلم يفعل ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله ومعاداة
من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله
كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه عليه السلام
قد قتلوا احباءهم وقتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله بن عبد الله
ابن ابي لو شئت لاتيتك براسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن
الذي اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة
رضي الله عنها كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به
وتفهمه ويحب سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله
علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي
صلى الله عليه وسلم وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب
السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة
بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا زادا او بلغة
الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسئل احد عن نفسه الا القرآن
فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله ومن علامة حبه للنبي
صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في مصالحهم
ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤفا رحيما ومن
علامة تمام محبته زهده مدعيها في الدنيا وايثار الفقر وايثاره
به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى من يحبني
منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي او الجبل الى اسفله وفي حديث
عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول الله اني
احبك فقال انظر ما تقول قال والله اني احبك ثلاث مرات
قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا ثم ذكر نحو حديث ابي سعيد
بمعناه **فصل** في معنى المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحقيقتها
اختلف الناس في تفسير محبة الله ومحبة النبي صلى الله عليه وسلم
وكثرت عباراتهم في ذلك ولكنها ترجع في الحقيقة الى اختلاف مقال
ولكنها اختلاف احوال **فقال** سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام
كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني الآية وقال
بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد
لها

لها وهيبة مخالفته **وقال** بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب
وقال اخر ايثار المحبوب وقال بعضهم المحبة الشوق الى المحبوب وقال
بعضهم المحبة مواطاة القلب لمرادات الرب فيحب ما احب ويكره ما
كره **وقال** اخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة
اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما
يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور
الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها
مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه
بحاسة عقله وقلبه معاني باطنة شريفة كمحبة الصالحين
والعلماء واهل المعروف والمأثور عنهم السير الجميلة والافعال
الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى
يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع مراتب في اخرين ما يؤدي الى
الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه
لموافقته له من جهة احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على
حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها في
حقه عليه السلام فعلمت انه عليه السلام جامع لهذه المعاني الثلاثة الموجبة
للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا
منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة واما احسانه وانعامه
على امته فكذلك وقد مر منه في اوصاف الله تعالى من كلامه رافته
بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم واستنقاذه
به من النار واتيانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ويتلوا عليهم آياته
ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط
مستقيم فانما احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى
جميع المؤمنين واي افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة
المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من الغواية وداعيهم الى
الفلاح والكرامة ووسيلتهم الى ربهم وشفيعهم والمتكلم عنهم
والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم المؤبد فقد
استبان لك انه عليه السلام مستوجب للمحبة الحقيقية

شرعاً بما قدمناه من صحيح الاثار وعادة وجبلة بما ذكرناه
انفاً لافاضة الاحسان وعموم الابتهال فاذا كان الانسان يحب
من منحه في دنياه مرة او مرتين معروفاً او استنقذه من هلكة
او مضرة مدة التأذي بها قليل منقطع فكيف فمن منحه ما لا يبيد
من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان
يحب بالطبع ملك لحسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام امر طريفه
او قاض بعيد الدار لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه
الخصال على غاية مراتب الكمال احق بالحب واولى بالميل وقد
قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام من راه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكرنا عن بعض الصحابة انه
كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه عليه السلام **فصل**
في وجوب مناصحته عليه السلام قال الله تعالى ولا على الذين
لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين
من سبيل والله غفور رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله
اذا كانوا مخلصين مسلمين في السر والعلانية ثنا القاضي
الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا حسين بن محمد ثنا يوسف
بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو بكر النمار ثنا ابو داود
ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل بن ابي صالح عن عطاء بن
يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا لمن
يا رسول الله قال لله ولكتابه ولرسوله وائمة المسلمين وعامتهم
قال ابو محمد رحمهما الله النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم
واجبة قال الامام ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة
ارادة الخير للمنصوح له وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة
تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص من قولهم نصحت العسل اذا
خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحاق الخفاف النصح
فعل الشيء الذي به الفلاح والسلامة ماخوذ من النصاح وهو الخيط
الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحاق الزجاج نحوه فنصيحة
الله تعالى صحة الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله

وتنزيهه

وتنزيهه عما لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه
والاخلاص في عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه
وتحسين تلاوته والتخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه
فيه والذب عنه من تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة
لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه
قاله ابو سليمان وقال ابو بكر موازرته ونصرته حياً وميتاً واحياء
سنته بالطلب والذب عنها ونشرها والتخلق باخلاقه الكريمة
وآدابه الجميلة وقال ابو ابراهيم اسحاق التجيبي نصيحة رسول الله
صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به والاعتصام بسنته ونشرها
والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه والى رسوله واليها
والى العمل بها وقال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الآجري وغرم
النصح له يقتضي نصحين نصحاً في حياته ونصحاً بعد مماته ففي حياته
نصح الصحابة له بالنصر والحماية عنه ومعاداة من عاداه والسمع
والطاعة له وبذل النفوس والاموال دونه كما قال تعالى من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية وقال وينصرون الله ورسوله الآية
واما نصيحة المسلمين له بعد وفاته فالتزام التوقير والاجلال
وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة آل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانصرف
عنها وبغضه والتحذر منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف
اخلاقه وسيره وآدابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكر وتكون النصيحة
احدى ثمرات المحبة وعلامة من علامتها كما قدمناه **وحكى** الامام
ابو القاسم القشيري ان عمرو بن الليث احد ملوك خراسان
ومشاهيرهم لما زار المعروف بالصفار رؤي في النوم فقيل له ما
فعل الله بك فقال غفر لي فقيل بماذا قال صعدت زروة جبل
يوماً فاشرفت على جنودي فاعجبني كثرتهم فتمنيت اني حضرت
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لي
ذلك وغفر لي واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق
ومعونتهم فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم

وحمايته

من الله

على ما غفلوا عنه وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم
وتضريب الناس وافساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين
ارشادهم الى مصالحهم ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول
والفعل وتنبيه غافلهم وتبصير جاهلهم ورد مختاجهم وستر
عوراتهم ودفع المضار عنهم وجلب المنافع اليهم **الباب**
الثالث في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره قال الله تعالى يا ايها
النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله الاية
وتعزروه وتوقروه وقال يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين
يدي الله ورسوله وقال يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم
فوق صوت النبي الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره
والزم اكرامه وتعظيمه **قال** ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد
تعزروه تبالغوا في تعظيمه وقال الاخفش تنصروه وقال الطبري
تعينونه وقرئ تعزروه بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه
بالقول وسوء الادب بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره
وهو اختيار ثعلب **قال** سهل بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول
واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا عن التقدم والتعجل بقضاء
امر قبل قضائه فيه او ان يفتاتوا بشيء في ذلك من قتال او غيره
من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به الى هذا يرجع قول الحسن
ومجاهد والضحاك والسدي والثوري ثم وعظهم وحذرهم
مخالفة ذلك فقال واتقوا الله ان الله سميع عليم **قال الماوردي**
اتقوه يعني في التقدم وقال السلمي اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع
حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت
فوق صوته والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع
صوته وقيل كما ينادي بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكي
اي لا تسابقوه بالكلام وتعظموا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه
نداء بعضكم لبعض ولكن عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب
ان ينادى به يا رسول الله يا نبي الله وهذا كقوله في الاية الاخرى
لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين

قال

قال غيره لا تخاطبوه الا مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط
اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم منه قيل نزلت الاية في وفد بني تميم
وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه يا محمد يا محمد
اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم لا يعقلون
وقيل نزلت الاية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت اصواتهما
وقيل نزلت الاية الاولى في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي
صلى الله عليه وسلم في مفاخرة بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان
يرفع صوته فلما نزلت هذه الاية اقام في منزله وخشي ان يكون حبط
عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان
اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة وروي ان ابا بكر
لما نزلت هذه الاية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها الا
كاخي السرار وان عمر كان اذا حدثه حدثه كاخي السرار ما كان
يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى يستفهمه
فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت
ان الذين ينادونك من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروي
صفوان بن عسال بينا النبي صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي
بصوت له جهوري يا محمد يا محمد يا محمد فقلنا له اغضض من صوتك
فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار نهوا عن
قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا سمعك
فنهوا عن قولها اذ معناها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه ان يرعى
على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهى المسلمون عن قوله قطعا للذريعة ومنعا للتشبيه بهم في قولها
لمشاركة اللفظة وقيل غير هذا **فصل** في عادة الصحابة في تعظيمه عليه
السلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي وابو بكر الاسدي

سماعي عليهما في آخرين قالوا ثنا احمد بن عمر ثنا احمد بن الحسن ثنا محمد
بن عيسى ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم ثنا محمد بن مثنى وابو معن الرقاشي
واسحاق بن منصور ثنا الضحاك بن مخلد انا حيوة بن شريح
حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن
العاص فذكر حديثا طويلا فيه عن عمر وقال وما كان احد احب الي
من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق
ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان اصفه ما اطقت
لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي عن انس ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من
المهاجرين والانصار وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع
احد منهم اليه بصره الا ابو بكر وعمر فانهما كانا ينظران اليه
وينظر اليهما ويتبسمان اليه ويتبسم اليهما وروى اسامة بن
شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما على
رؤسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام
القضية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه
له ما رأى وايم الله لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون
عليه ولا يبصق بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا
وجوههم واجسادهم ولا تسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا
امرهم بامر ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت
كسرى في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رأيت
ملكا في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رأيت ملكا قط
يعظمه اصحابه كما يعظم محمدا اصحابه وقد رأيت قوما لا يسلمونه
ابدا وعن انس لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق
يحلقه واطاف به اصحابه فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل
ومن هذا لما اذنت قريش لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه
النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في القضية ابى وقال ما كنت
لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي

حديث

وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا
لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله
فاعرض عنه اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذا ممن قضى نحبه وفي حديث قيلة فلما رأيت رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء ارعدت من الفرق وذلك هيبة
له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر
فاؤخر سنين من هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله
عليه وسلم بعد موته وتوقيره وتعظيمه لازم كما كان حال
حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر حديثه وسنته
وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم اهل بيته وصحابته
قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او ذكر عنده ان
يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته واجلاله
بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا
الماضين رضي الله عنهم اجمعين حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد
ابن عبد الرحمن الاشعري وابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد
فيما اجازونيه قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر بن دلهاث قال ثنا ابو
الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن
المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق ابن ابي اسرائيل ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر
امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك
يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا المسجد فان الله تعالى عز وجل ادب
قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الآية ومدح قوما
فقال ان الذين يغضون اصواتهم الآية وذم قوما فقال ان
الذين ينادونك الآية وان حرمته ميتا كحرمته حيا فاستكان
لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو ام استقبل
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه وهو
وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة

بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله فيك قال الله تعالى ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم الآية وقال مالك وقد سئل عن ايوب
السختياني ما حدثتكم عن احد الا وايوب افضل منه قال وحج حجتين
فكنت ارمقه فلا اسمع منه غير انه كان اذا ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم بكا حتى ارحمه فلما رايت منه ما رايت واجلاله النبي
صلى الله عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك اذا
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على
جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال لو رايتم ما رايت لما انكرتم على
ما ترون لقد كنت ارى محمد بن المنكدر وكان سيد القراء لا تكاد تسأله
عن حديث ابدا الا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت ارى جعفر بن محمد
وكان كثير الدعابة والتبسم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر لونه وما رايته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على
طهارة ولقد اختلفت اليه زمانا فما كنت اراه الا على ثلاث خصال
اما مصليا واما صامتا واما يقرا القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه
وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله عز وجل ولقد كان عبد
الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فتنظر الى لونه كانه
ترف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد كنت اتي عامر بن عبد الله بن الزبير فاذا ذكر
عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رايت
الزهري وكان من اهنا الناس واقربهم فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم
فكانه ما عرفك وما عرفته ولقد كنت اتي صفوان بن سليم وكان من
المتعبدين المجتهدين فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا
يزال يبكي حتى تقوم الناس عنه ويتركوه وروي عن قتادة انه كان
اذا سمع الحديث اخذه العويل والرنين ولما اكثر على مالك الناس قيل له
لو جعلت مستملي يسمعهم فقال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا
ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان ابن
سيرين ربما يضحك فاذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم خشع
وكان عبد الرحمن بن مهدي اذا قرا حديث النبي صلى الله عليه وسلم امرهم
بالسكوت وقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ويقول انه يجب له

من

من الانصات عند قراءة حديثه ما يجب له عند سماع قوله وسنته
فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وسنته حدثنا الحسن بن محمد الحافظ ثنا ابو الفضل بن خيرون
ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا
احمد بن سنان القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين
عن عمرو بن ميمون قال اختلفت الى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انه حدث يوما فجرى على لسانه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رايت العرق ويتحدر
عن جبهته ثم قال هكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شاء الله او
فوق ذا او دون ذا او قريب من ذا وفي رواية فتربد وجهه وفي رواية
وقد تغرغرت عيناه وانتفخت اوداجه وقال ثنا ابراهيم بن عبد الله بن
قريم الانصاري قاضي المدينة من مالك ابن انس على ابي حازم وهو يحدث
فجازه وقال اني لم اجد موضعا اجلس فيه فكرهت ان اخذ حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا قائم وقال مالك جاء رجل الى ابن
المسيب فسأله عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له
الرجل وددت انك لم تتعن فقال اني كرهت ان احدثك عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وانا مضطجع وروي عن محمد بن سيرين انه قد يكون
يضحك فاذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وسلم خشع وقال
ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا له وحكى مالك ذلك عن
جعفر بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم توضا وتهيا ولبس ثيابه ثم يحدث
قال مصعب فسئل عن ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول
لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او المسائل فان قالوا المسائل خرج
اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل وتطيب ولبس ثيابا
جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على راسه رداءه وتلقى له ممصبة
فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال غيره ولم يكن يجلس على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس فقيل لمالك في ذلك فقال احب
ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احدث به الا على
طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او هو قائم
او هو مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ضرار ابن مرة كانوا يكرهون ان يحدثوا على غير
وضوء ونحوه عن قتادة وكان الاعمش اذا احب ان يحدث وهو
على غير وضوء يتيمم وكان قتادة لا يحدث الا على طهارة ولا يقرا
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا على وضوء قال عبد الله بن
المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة
وهو يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله فلما فرغ من المجلس
وتفرق عنه الناس قلت له يا ابا عبد الله لقد رايت منك اليوم عجبا قال
نعم انما صبرت اجلالا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي
مشيت يوما مع مالك الى العقيق فسالته عن حديث فانتهرني وقال
لي كنت في عيني اجل من ان تسال عن حديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم ونحن نمشي وساله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث وهو قائم
فامر بحبسه فقيل له انه قاض قال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام
ابن الغازي سال مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم
اشفق عليه فحدثه عشرين حديثا فقال هشام وددت لو زادني سياطا
ويزيدني حديثا وقال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان
الحديث الا وهما طاهران وكان قتادة يستحب ان لا يقرا احاديث النبي
صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا يحدث الا على طهارة وكان الاعمش
اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم **فصل ومن توقير**
صلى الله عليه وسلم وبر بر آله وذريته وامهات المؤمنين ازواجه كما
حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم قال الله
تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الاية وقال تعالى
وازواجه امهاتهم انا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل من كتابه وكتبت
من اصله حدثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام القاسم بنت
الشيخ ابي بكر الخفاف قالت حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل

ثنا يحيى

ثنا يحيى هو ابن اسماعيل ثنا يحيى هو الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن
سعيد ابن مسروق عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم انشدكم الله واهل بيتي ثلاثا قلنا ليزيد من اهل
بيته قال آل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل العباس وقال عليه الصلوة
والسلام اني تارك فيكم ما ان اخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي
اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال عليه السلام معرفة
آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد امان
من العذاب وقال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم من النبي صلى الله
عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه وعن
عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت
الاية وذلك في بيت ام سلمة دعا فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء
وعلي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت اية المباهلة
دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال
اللهم هؤلاء اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من
كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه
وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وقال للعباس
والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان حتى يحبكم لله
ولرسوله ومن آذى عمي فقد آذاني وانما عم الرجل صنو ابيه وقال للعباس
اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءة وقال اللهم عمي وصنو
ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت اسكفة
الباب وحوائط البيت يا امين وكان يا خذ اسامة بن زيد والحسن
ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي
الله عنه ارقبوا محمدا في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي
بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الي ان اصل من
قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا وحسينا
وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين وابا هما وامهما
كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان
قريشا اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال

عليه السلام من اهانك فقد اهانني الله وقال عليه السلام لام سلمة
لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث رأيت ابا بكر رضي الله عنه
وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي
يضحك وروي عن عبد الله بن حسن بن حسين قال اتيت عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي واكتب الي فابي استحي من الله
ان يراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه ثم قربت اليه
له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا امرنا ان نفعل بالعلماء فقبل زيد
يد ابن عباس وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا صلى الله عليه وسلم
ورأى ابن عمر محمد بن اسامة بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد
بن اسامة فطأطأ ابن عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو رآه رسول الله
صلى الله عليه وسلم لاحبه وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى
لها يمسك بيدها فقام لها عمر ومشى اليها حتى جعل يدها بين يديه
ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها على مجلسه وجلس بين
يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه
لابنه عبد الله في ثلاثة الاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة الاف
وخمس مائة قال عبد الله لابيه لم فضلته علي فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك
واسامة احب اليه منك فآثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حبي وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يسبه برسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل
بين عينيه واقطعه الرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه الله لما ضربه جعفر بن سليمان
ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل عليه الناس
فافاق فقال اشهدكم اني جعلت مناديا في حل فقيل بعد
ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم
فاستحي منه ان يدخل بعض اهل النار بسببي وقيل ان المنصور
افاده من جعفر فقال له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط

ابن زيد

عن

سوط عن جسمي الا وقد جعلته في حل لقرابته من رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس لو اتاني ابو بكر وعمر لبدأت بحاجة
علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولان اخر
من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما وقيل لابن عباس
ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل
له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رأيتم اية فاسجدوا واي اية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى
الله عليه وسلم وكان ابو بكر وعمر يزوران ام ايمن مولاة النبي
صلى الله عليه وسلم ويقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يزورها ولما وردت حليمة السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم
بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما توفي وفدت على ابي بكر فصنعا
بها مثل ذلك **فصل** ومن توقيره وبره عليه السلام توقير
اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء بهم وحسن الثناء
عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المؤرخين وجهلة الرواة
ومضلل الشيعة والمبتدعين القادحين في احد منهم وان يلتمس
لهم فيما نقل من مثل ذلك فيما كان بينهم من الفتن احسن التأويلات
ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم اهل ذلك ولا يذكر احد منهم
بسوء ولا يغمص عليه امر بل تذكر حسناتهم وفضائلهم
وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال عليه السلام
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله
والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم الى اخر السورة وقال
والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار الاية وقال
لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة الاية
وقال رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية حدثنا القاضي
ابو علي ثنا ابو الحسين وابو الفضل قالا ثنا ابو يعلى ثنا ابو علي
التميمي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسن بن الصباح
ثنا سفين بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي
بن حراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

او عمر

اقتدوا بالذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم
اقتديتم اهتديتم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام لا يصلح الطعام الا به وقال الله
الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم فقد اذاني
ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه
وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا
ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا
ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث
جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين
والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا
فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر
فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني قال مالك بن انس
وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في فيء المسلمين
حق وتزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الاية وقال من
غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار
وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا
الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال ايوب
السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر
فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله
ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء
على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن
انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح
واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون
قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ايها الناس اني راض عن ابي بكر فاعرفوا له ذلك ايها الناس
اني راض عن عمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد
وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك ايها الناس

ان الله

ان الله قد غفر لاهل بدر والحديبية ايها الناس احفظوني في
اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها
مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للعفا في ابن عمر ان ابن عمر
ابن عبد العزيز من معاوية فغضب وقال لا يقاس باصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه و
امينه على وحي الله واتى النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم
يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فانا ابغضه فابغضه الله وقال عليه
السلام في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني
في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والاخرة
ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه
وعنه عليه السلام من حفظني في اصحابي كنت حافظا له يوم
القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد علي الحوض ومن لم
يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد وقال
مالك رحمه الله هذا النبي عليه السلام مؤدب الخلق الذي
هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع
فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي
بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس
احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة
وطلب من المغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل
بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه
ولم يعز اوامره فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع
اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة و
معاهده وما لمسه عليه السلام او عرف به وروي عن صفية
بنت نجدة قالت كان لابي محذورة قصة في مقدم راسه اذا
قعد وارسلها اصابت الارض فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن
بالذي احلقها وقد مسها رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده و
كانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره عليه السلام
فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة انكر عليه
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب

القلنسوة بل لما تضمنته من شعره عليه السلام لئلا تسلب
بركتها وتقع في أيدي المشركين ودفن ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي
صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك
رحمه الله لا يركب بالمدينة دابة وكان يقول استحي من الله أن أطأ
تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة وروي أنه
وهب للشافعي كراعا كثيرا كان عنده فقال له الشافعي امسك
منها دابة فأجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى أبو عبد الرحمن
السلمي عن أحمد بن فضلوية الزاهد وكان من الغزاة الرماة
أنه قال ما مسست القوس بيدي إلا على طهارة منذ بلغني أن
النبي صلى الله عليه وسلم أخذ القوس بيده وقد أفتى مالك فيمن
قال تربة المدينة ردية بضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه
وكان له قدر وقال ما أحوجه إلى ضرب عنقه تربة دفن فيها
النبي صلى الله عليه وسلم يزعم أنها غير طيبة وفي الصحيح أنه
قال عليه السلام في المدينة من أحدث فيها حدثا أو آوى
محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله
منه صرفا ولا عدلا وحكى أن جهجاها الغفاري
أخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه
وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فأخذته الأكلة في
ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال عليه السلام من حلف
على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت أن أبا الفضل الجوهري
لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا منشدا

ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤاد العرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكى عن بعض المريدين أن عالما أشرف على مدينة الرسول عليه السلام أنشأ يقول

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري ... قمر تقطع دونه الأوهام
وإذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرحال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام

وحكى عن بعض المشايخ أنه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال

العبد

العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكبا لو قدرت أن أمشي على رأسي
ما مشيت على قدمي قال القاضي رضي الله عنه وجدير لموطن
عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت
منها الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح
واشتملت تربتها على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين
الله وسنة رسول الله ما انتشر مدارس آيات ومساجد
وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات ومعاهد البراهين
والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد
المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة وأين
فاض عبابها ومواطن مهبط الرسالة وأول أرض مس جلد
المصطفى ترابها أن تعظم عرصاتها وتشم نفحاتها وتقبل ربوعها
وجدرانها يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخص بالآيات
عندي لأجلك لوعة ومتابة ... وتشوق متوقد الجمرات
وعلى عهدي إن ملأت محاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات
لأعفرن مصون شيبي بينها ... من كثرة التقبيل والرشفات
لولا العوادي والأعادي زرتها ... أبدا ولو سحبا على الوجنات
لكن سأهدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والجدرات
أذكى من المسك المفتق نفحة ... تغشاه بالأصال والبكرات
وتخصه بزواكي الصلوات ... وتوالي التسليم والبركات

الباب الرابع في حكم الصلاة عليه والتسليم

وفرض
ذلك وفضيلته قال الله تعالى إن الله وملائكته يصلون على
النبي قال ابن عباس معناه إن الله وملائكته يباركون على النبي
وقيل إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له قال المبرد
وأصل الصلاة الترحم فهي من الله رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء
للرحمة من الله وقد ورد في الحديث صلاة الملائكة على من جلس
ينتظر الصلاة اللهم اغفر له اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال
بكر القشيري الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي رحمة وللنبي
صلى الله تعالى عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة وقال أبو العالية
صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء

قال القاضي ابو الفضل وقد فرق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلاة ولفظ البركة فدل انهما
بمعنيين واما التسليم الذي امر الله تعالى به عباده فقال القاضي
ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي صلى الله عليه وسلم فامر الله
اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا
على النبي عند حضورهم قبره وعند ذكره وفي معنى السلام
عليه ثلاثة اوجه احدها السلامة لك ومعك وتكون السلامة
مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثاني اي السلام على حفظك ورعايتك
متوكل له وكفيل به ويكون هنا السلام اسم الله الثالث
ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال فلا وربك لا يؤمنون
حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت
ويسلموا تسليما **فصل** اعلم ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فرض على الجملة غير محدود بوقت لامر الله تعالى بالصلوة
عليه وحمل الايمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبري ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله
فيما زاد على مرة والواجب منه الذي يسقط به الحرج وما اثم
ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما عدا ذلك فمندوب
مرغوب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضي
ابو الحسن بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب في الجملة
على الانسان وفرض عليه ان ياتي بها مرة من دهره مع القدرة
على ذلك وقال القاضي ابو بكر بن بكير افترض الله على خلقه
ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم يجعل ذلك لوقت معلوم
فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها قال القاضي ابو محمد
ابن نصر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه
وغيرهم من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم
فرض بالجملة بعقد الايمان لا تتعين في الصلوة وان من صلى عليه
مرة واحدة في عمره سقط الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي
الفرض منها الذي امر الله به رسوله عليه السلام هو في الصلوة

مرة

وقالوا

وقالوا واما في غيرها فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة
فحكى الاماناف ابو جعفر الطبري والطحاوي وغيرهما اجماع جميع
المتقدمين والمتاخرين من علماء الامة على ان الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي في ذلك فقال
من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخير وقبل
السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم يجزه ولا سلف له
في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه المسئلة عليه
المخالفة فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب
ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه
وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب
الراي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي عن مالك
وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في
التشهد مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة
الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى
ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن المواز ان الصلوة على النبي صلى الله
عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست من فرائض الصلاة
وقاله محمد بن عبد الحكم وغيره وحكى ابن القصار وعبد الوهاب
ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة لقول الشافعي وحكى ابو
يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة
الوجوب والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي
وغير الشافعي في هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة
وهو قول جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل
على انها ليست من فروض الصلوة عمل السلف الصالح قبل الشافعي و
اجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه المسئلة جدا وهذا
تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي
صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي عليه السلام و
كذلك كل من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة م

وابن عباس وجابر وبن عمر وابى سعيد الخدرى وابى
موسى الاشعرى وعبد الله بن الزبير لم يذكر فيه صلاة على النبى
صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر كان النبى صلى الله عليه وسلم
يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه عن ابى سعيد و
قال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون الصبيان
فى الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفى الحديث لا
صلاة لمن لم يصل على قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل
على مرة فى عمره وضعف اهل الحديث كلهم رواية هذه الحديث
وفى حديث ابى جعفر عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه
وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها على وعلى اهل بيتى لم تقبل
منه قال الدارقطنى الصواب انه من قول ابى جعفر محمد بن على بن
الحسين لو صليت صلاة لم اصل فيها على النبى صلى الله عليه
وسلم ولا على اهل بيته لرأيت انها لا تتم **فصل** فى المواطن
التى يستحب فيها الصلوة والسلام على النبى صلى الله عليه
وسلم ويرغب فى ذلك فى تشهد الصلوة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء **حدثنا** القاضى ابو على
رحمه الله بقراءتى عليه قال ثنا الامام ابو القاسم البلخى ثنا
الفارسى عن ابى القاسم الخزاعى عن الهيثم عن ابى عيسى الحافظ قال
ثنا محمود ابن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرى ثنا حيوة بن
شريح حدثنى ابو هانى الخولانى ان عمرو بن مالك الجنبى اخبره انه
سمع فضالة بن عبيد يقول سمع النبى صلى الله عليه وسلم
رجلا يدعو فى صلاته فلم يصل على النبى عليه وسلم فقال
النبى صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له
ولغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه
ثم ليصل على النبى صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بما شاء
ويروى من غير هذا السند بتحميد الله وهو اصح وعن عمر
ابن الخطاب قال الدعاء والصلوة معلق بين السماء والارض
لا يصعد الى الله منه شئ حتى يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم
وعن على عن النبى صلى الله عليه وسلم بمعناه وقال وعلى

بعد

عن ابن مسعود عن النبى

آل محمد وروى ان الدعاء محجوب حتى يصلى الداعى على النبى صلى
الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسئل الله شيئا
فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلى على النبى صلى
الله عليه وسلم ثم ليسأل فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلونى كقدح الراكب فان الراكب
يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه فان احتاج الى شراب شربه
او الوضوء توضأ والا هراقه ولكن اجعلونى اول الدعاء واخره
وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة واسباب واوقات فان
وافق اركانه قوى وان وافق اجنحته طار فى السماء وان وافق
مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب
والرقة والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب
واجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وفى الحديث الدعاء بين الصلوتين على لا يرد
وفى حديث آخر كل دعاء محجوب بين السماء فاذا جاءت الصلاة
على صعد الدعاء وفى دعاء ابن عباس الذى رواه عنه حنش فقال
فى آخره واستجب دعائى ثم تبدأ بالصلوة على النبى صلى الله عليه وسلم
ان تصلى على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل ما صليت
على احد من خلقك اجمعين آمين **ومن مواطن الصلوة** عليه عند ذكره
وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال عليه السلام
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على وكره ابن حبيب
ذكر النبى صلى الله عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة
عليه عند التعجب وقال لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب
وطلب الثواب وقال اصبغ عن ابن القاسم موطنان لا يذكر
فيهما الا الله الذبيحة والعطاس فلا تقل فيهما بعد ذكر الله
محمد رسول الله ولو قال فيهما بعد ذكر الله صلى الله على محمد
لم تكن تسمية له مع الله وقاله اشهب قال ولا ينبغى ان تجعل
الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم استنانا وروى النسائى
عن اوس بن اوس عن النبى صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار
من الصلوة عليه يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام عليه

* واوسطه

دخول المسجد قال ابو اسحاق بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى اله ويترحم عليه وعلى اله
ويبارك عليه وعلى اله ويسلم تسليما ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي
وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل ذلك وجعل موضع
رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا دخلتم بيوتا فسلموا
على انفسكم قال فان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد
بالبيوت هنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد
فقل السلام على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد
اقول السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته صلى الله
وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل واذا خرج ولم
يذكر الصلاة واخرج بن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يفعله اذا دخل المسجد ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر
السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث اخر القسم والاختلاف
في الفاظه ومن مواطن الصلاة عليه ايضا الصلاة على
الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلاة
التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلاة على النبي واله
في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر
واحدث عند ولاية البني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار
الارض ومنهم من يختم به ايضا الكتب وقال عليه السلام من صلى
علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك
الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد
الصلاة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقري الخطيب
رحمه الله وغيره قال حدثتنا كريمة بنت احمد قالت نا ابو الهيثم
نا محمد بن يوسف نا محمد بن اسماعيل نا ابو نعيم نا
الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله
عليه وسلم

عليه وسلم قال ان صلى احدكم فليقل التحيات لله والصلوات
والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها اصابت كل عبد
صالح في السماء والارض هذا احد مواطن التسليم عليه وسنته
اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك اذا فرغ
من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم بمثل
ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عايشة وابن
عمر انهما كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم واستحب اهل العلم ان ينوي الانسان عند سلامه
كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة وبني ادم والجن
وقال مالك في المجموعة واحب للمأموم اذا سلم امامه ان يقول السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام عليكم فصل في كيفية الصلاة عليه والتسليم حدثنا
ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراءتي عليه نا القاضي
ابو الاصبغ نا ابو عبد الله بن عتاب نا ابو بكر بن واقد وغيره
نا ابو عيسى نا عبد الله نا يحيى نا مالك عن عبد الله بن ابي بكر
بن حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد
وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وازواجه و
ذريته كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية مالك عن ابي
مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى اله كما
صليت على ال ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين
انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن عجرة اللهم صل على
محمد وال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وال محمد كما باركت على
ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن عمرو في حديثه اللهم صل على
محمد النبي الامي وعلى ال محمد وفي رواية ابي سعيد الخدري اللهم صل
على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه وحدثنا القاضي ابو عبد الله
التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن ظريف النحوي بقراءتي عليه

قال ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال ثنا ابو بكر المطوعي
قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر ابن ابي حازم الحافظ
عن علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسين عن يحيى بن المساور عن
عمرو بن خالد عن زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه
الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب قال عدهن في يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبرئيل وقال هكذا نزلت
من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت
على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد
وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل
محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من
سره ان يكتال بالمكيال الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل
اللهم صل على محمد النبي وازواجه امهات المؤمنين وذريته
واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية زيد
بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف نصلي
عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا اللهم
بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد و
عن سلمة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على النبي صلى الله عليه
وسلم اللهم داحي المدحوات وبارئ المسموكات اجعل شريف
صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك
الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق والدامغ
لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا لوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ
امرك حتى اورى قبسا لقابس الاء الله نصل باهله اسبابه
به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والاثم وانهج موضحات
الاعلام ونائرات الاحكام ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون

وخازن

وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين وبعيثك
نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم افسح له في عدنك واجزه
مضاعفات الخير من فضلك مهنآت له غير مكدرات من فوز
ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم اعل على بناء
الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره واجزه
من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي
يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما لبيك اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك
من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد
المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعي
اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن عبد الله بن مسعود
اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك على سيد المرسلين
وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير ورسول
الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون
اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل
ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن البصري يقول من اراد
ان يشرب بالكاس الاوفى ومن حوض المصطفى فليقل اللهم صل
على محمد وعلى آله واصحابه واولاده وازواجه وذريته واهل
بيته وانصاره وانصاره واشياعه ومحبيه وامته وعلينا
معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن طاوس عن ابن عباس انه كان
يقول اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى وارفع درجته العليا واتيه
سؤله في الآخرة والاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن
الورد انه كان يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سألك
لنفسه واعط محمدا افضل ما سألك له احد من خلقك واعط محمدا افضل
ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان يقول اذا
صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا

تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك
وبركاتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير وقايد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما
محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل
محمد كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وما يؤثر في مطويل
الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت وغيرهم كثير وقوله والسلام
كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قوله السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وفي تشهد
علي السلام على نجا الله السلام على انبياء الله ورسله السلام على
رسول الله السلام على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين
والمؤمنات من غاب منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته
واغفر لاهل بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمهما السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة
الله وبركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران
وفي حديث الصلاة عنه ايضا قبل الدعاء بالرحمة ولم يات في غير
من الاحاديث المرفوعة المعروفة وقد ذهب ابو هريرة وابن عبد البر
وغيرهما الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى له بالصلوة والبركة
التي تختص له ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد ذكر ابو محمد بن
ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم محمدا وآل
محمد كما ترحمت على ابراهيم وآل ابراهيم ولم يات هذا في حديث صحيح
وحجته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة على النبي والتسليم عليه والدعاء له

حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من كتابه
ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي
ثنا سويد بن نصير ثنا عبد الله بن حيوة بن شريح قال اخبرني
كعب بن علقمة انه سمع عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه
سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول وصلوا

على

وصلوا علي فانه من صلى علي مرة صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الله لي
الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو
ان اكون انا هو فمن سال لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى
ابن نائل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلاة صلى الله
عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات
وفي رواية وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه عليه السلام اتى
جبريل فناداني فقال من صلى عليك صلاة صلى الله عليه عشرا ورفعه
عشر درجات ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه السلام
لقيت جبريل فقال اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت
عليه ومن صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك
ابن اوس بن الحدثان وعبد الله بن ابي طلحة وعن زيد بن الحباب سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل
المقرب عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود
اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلاة وعن ابي هريرة عنه عليه
السلام من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما بقي
اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى
علي فليقل من ذلك عبد او ليكثر وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس
اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه
فقال ابي بن كعب يا رسول الله اني اكثر الصلاة عليك فكم اجعل لك
من صلاتي قال ما شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال الثلث قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال ما شئت
وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت فهو خير
قال يا رسول الله اجعل صلاتي كلها لك قال اذا تكفى همك ويغفر ذنبك
وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت من بشره
وطلاقته ما لم اره قط فسالته فقال وما يمنعني وقد خرج جبريل
انفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله تعالى بعثني اليك يبشرك انه ليس احد
من امتك يصلي عليك الا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا وعن جابر

ابن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع النداء
اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة
والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة
يوم القيمة وعن سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
رضيت بالله ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى
ابن وهب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما
اعتق رقبة وفي بعض الآثار ليردن على اقوام ما اعرفهم الا
بكثرة صلواتهم علي وفي اخر ان انجاكم يوم القيمة من اهوالها ومواطنها
اكثركم علي صلوة وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار والسلام
عليه افضل من عتق الرقاب **فصل** في ذم من لم يصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وآثمه **حدثنا** القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل
بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا محمد
بن محبوب ثنا ابو عيسى ثنا احمد بن ابراهيم الدورقي ثنا يحيى بن
ابراهيم عن عبد الرحمن بن اسحاق عن سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت عنده
فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان
يغفر له ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة
قال عبد الرحمن واظنه قال احدهما وفي حديث اخر ان النبي صلى الله
عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال
آمين فسأله معاذ عن ذلك فقال ان جبريل صلى الله عليه وسلم اتاني
فقال يا محمد من سميت بين يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فا
بعده الله قل آمين فقلت آمين وقال فيمن ادرك رمضان فلم يغفر له فمات
مثل ذلك ومن ادرك ابويه او احدهما عنده الكبر فلم يبرهما فمات
مثله وعن علي بن ابي طالب عنه عليه السلام انه قال البخيل
الذي اذا ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم
يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطأ به طريق الجنة وعن
علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل كل
البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل
ان يذكروا الله ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم
من الله ترة ان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة
من نسي الصلاة علي نسي طريق الجنة وعن قتادة عنه عليه
السلام من الجفاء ان اذكر عند الرجل فلا يصلي علي وعن جابر
عنه عليه السلام ما جلس قوم مجلسا ثم تفرقوا عن على
غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من
ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا
يجلس قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم
الا كان عليهم حسرة وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى
ابو عيسى الترمذي عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي
صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس اجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس
فصل في تخصيصه عليه السلام بتبليغ صلاة من صلى عليه
او سلم من الانام **حدثنا** القاضي ابو عبد الله التميمي ثنا الحسين
ابن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة
ثنا ابن ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة بن شريح عن
ابي صخر حميد بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي
هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم
علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام وذكر ابو بكر
بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته
وعن ابي مسعود ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن
امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا
يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه عليه
السلام حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن ابن عباس

ليس احد من امة محمد صلى الله عليه وسلم يسلم عليه او يصلي عليه الا بلغه وذكر بعضهم
ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه وعن
الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي عليه السلام فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تتخذوا بيتي عيدا ولا تتخذوا
بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم
وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فان صلاتكم معروضة
علي وعن سليمان بن سحيم رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم
فقلت يا رسول الله هاؤلاء الذين يأتونك فيسلمون عليك اتفقه
سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اكثروا من الصلاة علي في الليلة الزهراء
واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تأكل اجساد الانبياء
وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى
اتم ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا **فصل** في الاختلاف في الصلاة
على غير النبي وسائر الانبياء عليهم السلام قال القاضي وفقه الله
عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلاة على غير النبي صلى الله
عليه وسلم وروي عن ابن عباس انه لا يجوز الصلاة على غير النبي
صلى الله عليه وسلم وروي عنه لا ينبغي الصلاة على احد الا النبيين
وقال سفيان يكره ان يصلي الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي
مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلي على احد من الانبياء سوى محمد عليه السلام وهذا
غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحاق اكره الصلاة
على غير الانبياء وما ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ
بقوله ولا بأس بالصلاة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن
عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله
وقد وجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي رحمه الله روي عن ابن عباس
رضي الله عنهما كراهة الصلاة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه نقول
ولم نكن نستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا
والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك
على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته

الاية

الاية وقال خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل
عليهم الاية وقال اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم
بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلاة اللهم صل
على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل
امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل قومه
وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي
صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب الحسين ان
المراد بآل محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي اللهم اجعل صلواتك
وبركاتك على آل محمد يريد نفسه لانه كان لا يحل بالفرض ويأتي بالنفل
لان الفرض الذي امر الله به هو الصلاة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه
السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد مزمارا من مزامير داود وفي حديث
ابي حميد الساعدي في الصلاة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته
وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى الاندلسي وروى
ابن وهب عن انس بن مالك كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم
اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل ويصومون
بالنهار **قال القاضي** رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون واميل
اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله تعالى وروي عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء
عند ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما
يخص الله تعالى عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم ولا يشاركه
فيه غيره كذلك يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر
الانبياء بالصلاة والتسليم ولا يشاركهم فيه سواهم كما امر الله به
بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ويذكر من سواهم من الائمة
وغيرهم بالغفران والرضا كما قال تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال تعالى والذين اتبعوهم باحسان
رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول كما قال
ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمشيعة في بعض الائمة فشاركوهم

والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر

عند الذكر لهم بالصلاة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم في
ذلك وايضا فان التشبه باهل البدع منهي عنه فيجب مخالفتهم فيما التزموه
من ذلك وذكر الصلاة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم
التبع والاضافة اليه لا على التخصيص قالوا وصلاة النبي صلى الله عليه وسلم
على من صلى عليه تجري مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير
قالوا وقد قال تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
فكذلك يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض
وهذا اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا **فصل** في حكم
زيارة قبره صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم
ويدعو وزيارة قبره عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة
مرغب فيها روي عن ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري
وجبت له شفاعتي وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له
شفيعا يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني
في حياتي وكره مالك ان يقال زرنا قبر النبي وقد اختلف في معنى
ذلك فقيل كراهته للاسم لما ورد من قوله عليه السلام لعن الله
زوارات القبور وهذا يرده قوله نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
وقوله من زار قبري فقد اطلق اسم الزيارة وقيل ذلك لما قيل
ان للزائر فضلا على المزور وهذا ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه
الصفة وليس عموما وقد ورد في حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم
ولم يمنع هذا اللفظ في حقه والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك
له لاضافته الى خبر النبي صلى الله عليه وسلم فانه لو قال زرنا النبي
لم يكرهه لقوله عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة
هذا اللفظ الى القبر والتشبه بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما
للباب والله اعلم قال اسحاق بن ابراهيم الفقيه ولما لم يزل من شاء من
من حج المرور بالمدينة والقصد الى الصلوة في مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته ومنبره وقبره
ومجلسه وملامس يديه ومواطئ قدميه والعمود الذي كان يستند

من المسلمين

سنن

ولا تقولوا هجرا

اليه

اليه ويتنزل جبريل بالوحي فيه عليه وبمن عمره وقصده من الصحابة
وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله وقال ابن ابي زيد سمعت بعض من
ادركت يقول بلغنا انه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فتلا
هذه الاية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم قال صلى الله عليك
يا محمد من يقولها سبعين مرة فاداه ملك صلى الله عليك يا فلان
ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري قدمت على عمر بن
عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة سترى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرأه مني السلام وقال غيره وكان يبرد
اليه البريد من الشام وقال بعضهم رأيت انس بن مالك اتى قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح
الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال
مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ودعا
يقف ووجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم ولا يمس القبر
بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله
عليه وسلم يدعو ولكن يسلم ويمضي وقال ابن ابي مليكة من
احب ان يقوم فجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل
الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع كان ابن عمر يسلم
على القبر رأيته مائة مرة او اكثر يجيء الى القبر فيقول السلام
على النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وفي الموطأ
من رواية يحيى بن يحيى الليثي انه كان يقف على قبر النبي صلى الله
عليه وسلم فيصلي على النبي وعلى ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي
ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك في رواية ابن وهب يقول المسلم
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته قال في المبسوط ويسلم
على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي انه يدعو للنبي
صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلاة ولابي بكر وعمر كما في
حديث ابن عمر من الخلاف قال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد
الرسول بسم الله وسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام
علينا من ربنا وصلى الله وملائكته على محمد اللهم اغفر لي
ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك واعصمني من الشيطان الرجيم

واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما
بين القبر والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله
فيها وتسأله تمام ما خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك
في غير الروضة اجزأتا عنك وفي الروضة افضل وقد قال عليه السلام
ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومنبري على
ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا فتصلي
عليه وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو
لهما واكثر من الصلاة في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع
ان تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال مالك في كتاب محمد ويسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم اذا دخل واذا خرج يعني في المدينة وفيما بين ذلك
قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من خرج
مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله
عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت
فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح
لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى فليسلم مكان فليصل فيه ويقول
اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفاخرى اللهم احفظني
من الشيطان وعن محمد بن سيرين كان الناس يقولون اذا دخلوا
المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله توكلنا وكانوا يقولون
اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة ايضا كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث
فاطمة قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر مثله وفي رواية بسم الله والسلام على
رسول الله وعن غيرها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
المسجد قال اللهم افتح لي ابواب رحمتك ويسر لي ابواب رزقك
وعن ابي هريرة اذا دخل احدكم المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم
وليقل اللهم افتح لي وقال مالك في المبسوط وليس بلازم من دخل المسجد
وخرج منه من اهل المدينة الوقوف بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال

فيه

فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج الى سفر ان يقف على قبر النبي
صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر فقيل له فان
ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدونه يفعلون ذلك
في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة والمرتين
او اكثر عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن
احد من اهل الفقه ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة
الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا
يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر او اراده قال ابن القاسم
ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر فسلموا
قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان
الغرباء قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوها
من اجل القبر والتسليم وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا
يعبد اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد
وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن سعيد الهندي فيمن
وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا وفي
العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
واحب مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم
حيث العمود المخلق واما في الفريضة فالتقدم الى الصفوف
والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت **فصل**
فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى
ما قدمناه وفضله وفضل الصلاة فيه وفي مسجد مكة وذكر
قبره ومنبره وفضل سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد
اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه وروي ان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال مسجدي هذا وهو قول
ابن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن انس وغيرهم
وعن ابن عباس انه مسجد قباء ثنا هشام بن احمد الفقيه
بقراءتي عليه قال ثنا الحسن بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري
ثنا ابو محمد بن عبد المومن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود
ثنا مسدد ثنا سفيان عن الزهري عن سعيد بن المسيب

عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تشد الرحال
الا الى ثلاثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد
الاقصى وقد تقدمت الاثار في الصلاة والتسليم على النبي صلى الله
عليه وسلم عند دخول المسجد وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم
وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم وقال
مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد
فدعا بصاحبه فقال ممن انت قال رجل من ثقيف قال لو كنت من
هاتين القريتين ان مسجدنا لا يرفع فيه الصوت قال محمد
ابن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت ولا بشيء
من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسماعيل في مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر المساجد هذا الحكم قال
القاضي اسماعيل وقال محمد يعني بن مسلمة ويكره في مسجد
الرسول صلى الله عليه وسلم الجهر على المصلين فيما يخلط
عليهم صلاتهم وليس مما تخص به المساجد رفع الصوت قد
كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجدنا وقال ابو هريرة عنه عليه السلام صلاة في مسجدي
هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي
اختلف الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة
بين مكة والمدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه
وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان معنى الحديث
ان الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة
في سائر المساجد بالف صلاة الا المسجد الحرام فان الصلاة
في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم افضل من الصلاة فيه بدون
الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب صلاة في المسجد الحرام
خير من مائة صلاة فيما سواه فتساوي فضيلة مسجد الرسول
عليه السلام بتسعمائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على تفضيل
المدينة على مكة والكوفة وهو قول عمر بن الخطاب ومالك

ابو الفضل

على ما قدمناه

والكثر

واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو
قول عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الشافعي
عن الشافعي وحملوا الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان
الصلاة في المسجد الحرام افضل واحتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن
النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة وفيه وصلاة في المسجد
الحرام افضل من الصلاة في مسجدي هذا بمائة صلاة وروى قتادة
مثله فيأتي فضل الصلاة في المسجد الحرام على هذا على الصلاة في
سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع
الارض قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة
حكم مكة لسائر المساجد ولانه لا يعلم حكمها مع المدينة و
ذهب الطحاوي الى ان هذا التفضيل انما هو في صلاة الفرض
وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك في النافلة ايضا قاله و
جمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر عبد
الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيره احاديث نحوه وقال
عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله
عن ابي هريرة وابي سعيد وزاد ومنبري على حوضي وفي
حديث اخر منبري على ترعة من ترع الجنة قال الطبري فيه
معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه على الظاهر مع انه
روي ما بيته بين حجرتي ومنبري والثاني ان البيت هنا القبر
وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري
قال الطبري واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم
يكن بينهما خلاف لان قبره في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري
على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان في الدنيا وهو
اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره و
الحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب
منه قاله الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما
انه موجب لذلك لان الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب
كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف والثاني ان تلك البقعة قد
ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي وروى

ابن عمر وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة
لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم
القيمة وقال فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال
انما المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد عن
المدينة رغبة عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام
من مات في احد الحرمين حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب
عليه ولا عذاب وفي طريق اخر بعث من الامنين يوم القيمة وعن ابن
عمر من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت
بها وقال تعالى ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا الى قوله امنا
قال بعض المفسرين امنا من النار وقيل كان يأمن من الطلب من احدث حدثا
ويلجأ اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى واذ جعلنا البيت مثابة
للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا سعدون الخولاني
بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول
الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض البدن فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا
نعم قال حدثنا ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية تباين ربه
فينادي غدا هلك من عند الله من كان له على الله دين فليقم ومن حج ثلاث
حجج حرم الله شعره وبشره على النار ولما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم حرمتك وفي
الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود الا
استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى
خلف المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم
القيمة من الامنين قرأت على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثك
ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي
ثنا الحسن بن رشيق سمعت ابا الحسين محمد بن الحسن بن راشد سمعت
ابا بكر محمد بن ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفيان بن عيينة
قال سمعت عمرو بن دينار وقال سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد بشيء في هذا الملتزم الا استجيب
له قال ابن عباس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا استجيب لي وقال عمرو بن دينار

وانا

وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من ابن عباس
الا استجيب لي وقال سفيان وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي قال الحميدي وانا فما دعوت الله بشيء في
هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفيان الا استجيب لي وقال محمد بن ادريس وانا
فما دعوت الله عز وجل بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من الحميدي الا استجيب لي
وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما ذكر الحسن بن رشيق
قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب لي من
امر الاخرة قال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله
فيه باشياء كثيرة استجيب لي بعضها وارجو من سعة فضله ان يستجيب لي
بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا بهذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم تكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام
الفائدة والله الموفق للصواب برحمته **القسم الثالث** فيما يجب
للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما
يمتنع او يصح من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى
وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل افائن مات او قتل
الاية وقال تعالى ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله
الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال وما ارسلنا
قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وقال
قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم وسائر
الانبياء من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس
مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه
ملكا لجعلناه رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذين يمكنكم مخاطبتهم
اذ لا تطيقون مقاومة الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته
وقال قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله ارسال الملك
الا لمن هو من جنسه او من خصه الله تعالى واصطفاه وقواه

على مقاومته كالانبياء والرسل صلوات الله عليهم اجمعين
فالانبياء والرسل وسايط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه
وجلاله وسلطانه وجبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم و
بنيتهم متصفة باوصاف البشر طارى عليها ما يطرا على البشر
من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية وارواحهم
وبواطنهم متصفة باعلا من اوصاف البشر متعلقة بالملاء الاعلى
متشبهة بصفات الملايكة سليمة من التغيير والافات لا يلحقها
غالبا عجز البشرية ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم
خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا الاخذ عن الملايكة ورؤيتهم
ومخاطبتهم ومخالطتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر ولو كانت اجسامهم
وظواهرهم متسمة بنعوت الملايكة وبخلاف صفات البشر لما
اطاق البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى
فجعلوا من جهة الاجسام والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح
والبواطن مع الملايكة كما قال عليه السلام لو كنت متخذا من امتي
خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال عليه السلام تنام عيني ولا ينام قلبي
وقال اني لست كهيئتكم اني اظل يطعمني ربي ويسقيني فبواطنهم
منزهة عن الافات مطهرة من النقايص والاعتلالات وهذه
جملة لن نكتفي بمضمونها كل هذه بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل
على ما ناتي به بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة
نبينا وسائر الانبياء صلوات الله عليهم قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه اعلم ان الطوارى من التغييرات والافات على احاد
البشر لا يخلوان تطرا على جسمه او على حواسه بغير قصد واختيار
كالامراض والاسقام او تطرا بقصد واختيار وكله في الحقيقة
عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة انواع
عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرا عليهم
الافات والتغييرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه

كلها

كلها والنبي صلى الله عليه وسلم وان كان من البشر ويجوز على جبلته
ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين القاطعة وتمت كلمة
الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الافات التي تقع على الاختيار
وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما ياتي من التفاصيل

فصل

في حكم عقد قلب النبي عليه السلام من وقت نبوته اعلم منحنا الله واياك
توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم بالله وصفاته والايمان
به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين والانتفاء عن
الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب فيه والعصمة من كل ما
يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع المسلمين عليه ولا يصح
بالبراهين الواضحة ان يكون في عقول الانبياء سواه ولا يعترض على هذا
بقول ابراهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن قلبي اذ لم يشك
ابراهيم عليه السلام في اخبار الله تعالى له باحياء الموتى ولكن
اراد طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له
العلم الاول بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني
ان ابراهيم عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابة
دعوته بسؤال ذلك من ربه ويكون قوله اولم تؤمن اي تصدق
بمنزلتك مني وخلتك واصطفائك الوجه الثالث انه سال زيادة يقين
وقوة طمانينة وان لم يكن في الاول شك اذ العلوم الضرورية
والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان الشكوك على الضروريات
ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر والخبر الى المشاهدة
والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سال كشف غطا العيان ليزداد نور اليقين
تمكنا في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي
ويميت طلب ذلك من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول من
قال سؤال على طريق الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله
ليطمئن قلبي عن هذه الامنية الوجه السادس انه ارى من نفسه الشك
وما شك لكن ليجاوب فيزداد قربة وقول نبينا عليه السلام نحن
احق بالشك من ابراهيم نفي ولا دل يكون ابراهيم شك وابعاد للخواطر
الضعيفة ان يظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث واحياء الله

الموتى فلو شك ابراهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع
والاشفاق ان حملت القصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه
فان قلت فما معنى قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك
فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الاية فاحذر ثبت الله قلبك
ان يخطر بالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس او غيره
من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من
البشر فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك
النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن
وحكى قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسئل
وعامة المفسرين على هذا واختلفوا في معنى الاية فقيل المراد
قل يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا وفي السورة نفسها
ما دل على هذا التاويل قوله يا ايها الناس ان كنتم في شك
من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله
عليه وسلم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له
والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء ونظيره
كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب
فيما يدعو اليه فكيف يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان
المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية قوله الرحمن فسئل
به خبيرا المامور بها هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل
النبي والنبي عليه السلام هو الخبير المسئول لا المستخبر السائل
وقال كذا هذا الشك الذي امر غير النبي بسؤال الذين يقرؤن
الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعا اليه
من التوحيد والشريعة ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا الاية المراد به المشركون والخطاب مواجهة
للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سل
عمن ارسلنا من قبلك فحذف الحافض وتم الكلام ثم ابتداء
جعلنا من دون الرحمن الى اخر الاية على طريق الانكار اذ ما

جعلناه

ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يسئل
الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان يحتاج الى
السؤال روي انه قال لا اسئل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل سل
امم من ارسلنا هل جاء وهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي
والضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعث به
الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي
العرب وغيرهم في قولهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكذلك
قوله والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق
فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم يقر وبذلك
وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل
ما تقدم اي قل لمن تمترى يا محمد في ذلك لا تكونن من الممترين
بدليل قوله اول الاية افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله
عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير كقوله تعالى
وانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين وقد علم انه لم يقل وقيل
معناه ما كنت في شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك
وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فسلهم عن صفتك
في الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت
في شك من غيرك فيما انزلنا اليك فان قيل فما معنى قوله حتى
اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا على قراءة التخفيف
قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي الله عنها معاذ الله ان
تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما استيأسوا ظنوا
ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر المفسرين
وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء
والرسل وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء
وبهذا المعنى قرا مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ
التفسير بسواه مما لا يليق بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك
ما ورد في حديث السيرة ومبتدا الوحي من قوله لخديجة لقد
خشيت على نفسي ليس معناه الشك فيما اتاه الله بعد رؤية الملك
ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مفاومة الملك واعباء الوحي

ليتخلص قلبه او ترهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد
لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له
بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجايب وسلم عليه الحجر والشجر
وبداءة المنامات والتباشير كما روي في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك
كان اولا في المنام ثم او رؤيا يقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام
لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول حالة بنية
البشرية وفي الصحيح عن عايشة اول ما بدي به رسول الله صلى الله
عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء
وقالت الى ان جاءه الحق وهو في غار حراء الحديث وعن ابن عباس
مكث النبي صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة يسمع الصوت
ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان سنين يوحى اليه
وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نايم فقال اقرأ فقلت
ما اقرأ وذكر نحو حديث عايشة في غطه له واقرائه اقرأ باسم
ربك السورة قال فانصرف عني وهببت من نومي كانما صورت
في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت لا يتحدث عني
قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها
فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا يناديني من السماء يا محمد
انت رسول الله وانا جبريل فرفعت راسي فاذا جبريل على صورة
رجل وذكر الحديث فقد بين في هذا ان قوله لما قال وقصده
لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليهما السلام وقبل اعلام الله
له بالنبوة واظهاره اصطفاءه له بالرسالة ومثله حديث عمرو
بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي
سمعت نداء وقد خشيت والله ان يكون هذا لامر ومن رواية
حماد بن سلمة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال لخديجة
اني لاسمع صوتا واري ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا
يتاول لو صح قوله في بعض هذا الحديث ان الابعد شاعر او مجنون
والفاظ يفهم منها معاني الشك في تصحيح ما راه وانه كان في ابتداء
امره وقبل لقاء الملك له واعلام الله له انه رسوله فكيف وبعض

هذه

هذه الالفاظ لا يصح طرقها وانما بعد اعلام الله تعالى له وكلقايه
الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه وقد روى
ابن اسحاق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة
من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان
يصيبه فقالت له خديجة اوجه اليك من يرقيك قال انا الان فلا
وحديث خديجة واختبارها امر جبريل يكشف راسها الحديث انما ذلك
في حق خديجة لتتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي
ياتيه ملك ويزول الشك عنها لا انها فعلت ذلك للنبي صلى الله
عليه وسلم ولتختبره هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد
ابن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عايشة ان ورقة امر خديجة
ان تختبر النبي الامر بذلك وفي حديث اسماعيل بن ابي حكيم انها قالت
لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك
اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر
الحديث الى قوله وفيه فقالت ما هذا بشيطان هذا الملك يا ابن عم
فاثبت وابشر وانت به يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها
ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر في
فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه
مرارا كي يتردى من رؤس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول
معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواية ولا من حدث به
ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من
جهة النبي صلى الله عليه وسلم مع انه قد يحتمل على انه كان اول الامر
كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما اخرجه من تكذيب من بلغه
كما قال تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا
الحديث اسفا ويصح معنى هذا التاويل حديث رواه شريك عن
عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين
لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شان النبي صلى الله عليه وسلم
واتفق رايهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل
في ثيابه وقد تدثر فيها فاتاه جبريل فقال يا ايها المدثر يا ايها
المتزمل او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة

من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن
ذلك فيعتبر من به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية
تكذيب قومه له لما وعدهم به من العذاب وقول الله في يونس فظن
ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طبع قد رحمه الله
وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه
لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر
عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد مغاضبا
افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن نبي
ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا
الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك
وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر
لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وقيل مستحييا
من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا
لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي اخر
فقال له يونس غيرها قوي عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا
وقد روي عن ابن عباس ان ارسال يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه
الحوت واستدل من الاية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا
عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف ويستدل ايضا بقوله ولا تكن
كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين
فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه
ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة وفي طريق في اليوم اكثر
من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا الغين وسوسة
او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يغشى
القلب ويغطيه قال ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق
الغيم عليها وقال غيره والغين شيء يتغشى القلب ولا يغطيه
كل التغطية كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهوا
فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه
يغان على قلبه مائة مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه
لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات وانما هذا عدد الاستغفار

لا للغين

لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه وفترات
نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى
الله عليه وسلم رفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة
ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وكلفه
من اعباء الرسالة وحمل الامانة وهو كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانة
واعلاهم درجة واتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه
وخلو همته وتفرده بربه واقباله بكليته عليه ومقامه هنالك
ارفع حاليه راى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه واستغفر الله من ذلك
هذا اولى وجوه الحديث واشهرها والى معنى ما اشرنا به مال كثير
من الناس وحام حوله فقاربه ولم يرده وقد قررنا غامض معناه
وكشفنا للمستفيد خباياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات
والسهو في غير طريق البلاغ على ما سياتي وذهبت طائفة من ارباب
القلوب ومشيخة الصوفية ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم
عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهو او فترة الى ان معنى
الحديث ما يهم خاطره ويعم فكره من امر امته عليه السلام
لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد
يكون الغين هنا على قلبه السكينة التي تغشاه لقوله تعالى
فانزل الله سكينته عليه ويكون استغفاره عليه السلام
عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال ابن عطاء استغفاره
وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على هذا الاستغفار قال
غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل
ان تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيسه فيفر
حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة
افلا اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي
في بعض طرق هذا الحديث عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي
في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم

على الهدى فلا تكونن من الجاهلين وقوله لنوح عليه السلام فلا
تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين فاعلم
انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في اية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى وفي اية نوح
عليه السلام لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعد
الحق اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى وذلك
لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا في امورهم
بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك وليس في اية منها دليل
على كونهم على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف
واية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها
على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى اذن وقد يجوز
اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى
عنه علمه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك
ابنه ثم اكمل الله نعمته عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك
انه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك امر نبينا في الاية الاخرى
بالتزام الصبر على اعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب
حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب
لامة محمد اي فلا تكونوا من الجاهلين حكاه ابو محمد مكي وقال رسله
في القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة الانبياء
منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى اذا وعند الله لنبينا
عليه السلام على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك
ولا يضرك الاية وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
الاية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من في الارض
يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك
وقوله فان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبي
اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك
انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه ان لا يبلغ ولا يخالف

امر ربه

امر ربه وان لا يشرك به ولا يتقول على الله ما لا يجب او يفتري
عليه او يضل او يختم على قلبه او يطبع الكافرين لكن يتبرأ منه
بالكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن
بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله
والله يعصمك من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا انني معكما اسمع
وارد التشديد بصائر هم في الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف
العدو المضعف للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين وقوله اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات
فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو
لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن
سبيل الله فالمراد غيره كما قال ان تطيعوا الذين كفروا الاية وقوله فان
يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت ليحبطن عملك وما اشبهه
والمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم
لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين فليس
فيه انه اطاعهم والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد
الذين يدعون ربهم الاية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين

فصل واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف و
الصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والشك
في شيء من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبياء عليهم
السلام بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأوا فهم
على التوحيد والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات
الطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الاول
من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفى
ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل
وقد استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله
وانا اقول ان قريشا قد رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته
وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلقته مما قص الله عليه
او نقلته الينا الرواة ولم يجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد
منهم برفضه الهته وتقربه بذمه بترك ما كان قد جاء معهم

عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين ويتأولونه في معبوده
محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عن تركهم الهتهم وما كان يعبد
قبل انقطع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الهتهم
وما كان يعبد اباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه
دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقل وعاسكتوا عنه
كما لم يسكتوا عنه في تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري
على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم
ومنك الاية وبقوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين الى قوله
تعالى لتؤمنن به ولتنصرنه قال فطهره الله في الميثاق وبعيد
ان ياخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم ياخذه ميثاق النبيين
بالايمان به ونصره قبل مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او
غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد هذا معنى كلامه
وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه
صغيرا واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم
غسله وملاه حكمة وايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدا ولا
يشبه عليك بقول ابراهيم والكوكب والقمر والشمس هذا ربي
فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين
الى انه انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه
الاستفهام الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج
قوله هذا ربي اي على قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل
على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا اشرك قط بالله طرفة عين
قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون ثم قال افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا رب
العالمين وقال تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله
واجنبني وبني ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم
يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين قيل انه ان لم يؤيدني
بمعونته اكن مثلكم في ضلالتكم وعبادتكم على معنى الاشفاق

والحذر

والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان قلت فما معنى قوله
وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا
ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم
انما يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تاتي هذه اللفظة في
كلام العرب لغير ما ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث
الجهنميين عادوا حمما ولم يكونوا قبل كذلك ومثله قول الشاعر
~~هذا الكلام لا وباء فيه~~ ~~سيلك~~ فعادا بعد ابوالا وما كانا
قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى
فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك
للايمان والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن
شرعك اي لا تعرفها فهداك اليها والضلال ها هنا التحير ولهذا كان عليه
السلام يخلو بغار حراء في طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه
الله الى الاسلام قال معناه القشيري وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا
مثل قوله وعلمك ما لم تكن تعلم قاله علي بن عيسى قال ابن عباس
لم تكن له ضلالة معصية وقيل هدى اي بين امرك بالبراهين
وقيل وجدك ضالا بين مكة والمدينة فهداك الى المدينة وقيل
المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك
ضالا عن محبتي لك في الازل اي لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتي
وقراء الحسن بن علي ووجدك ضال فهدى اي اهتدى بك وقال
ابن عطاء ووجدك ضالا اي محبا لمعرفتي والضال المحب كما قال
تعالى انك لفي ضلالك القديم اي محبتك القديمة ولم يريدوا ها هنا
في الدين اذ لو قالوا ذلك في نبي الله لكفروا ومثله عند هذا قوله
انا لنراها في ضلال مبين اي محبة بينة وقال الجنيد ووجدك
متحيرا في بيان ما انزل اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك
الذكر الاية وقيل وجدك لم يعرفك احد بالنبوة حتى
اظهرك الله فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا قاله من المفسرين
قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك في قصة موسى عليه السلام قوله

فعلتها انا وانا من الضالين اى المخطئين الفاعلين شيئاً بغير
قصد قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك
فى قوله ووجدك ضالاً فهدى اى ناسياً كما قال تعالى ان تضل احداهما
فان قلت فما معنى قوله تعالى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب
ان السمرقندى قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرأ القرآن
ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان وقال ابو بكر القاضى نحوه قال
ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام قال فكان قبل مؤمناً بتوحيد
ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايماناً وهو
احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله تعالى وان كنت من قبله لمن
الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله تعالى والذين هم عن آياتنا غافلون
حكى ابو عبيد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف عليه
السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان ابن
ابى شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد
مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهن باستلام الاصنام
فلم يشهدهم بعد فهذا حديث انكره احمد بن حنبل جداً وقال هذا موضوع
او شبيه بالموضوع وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث
فى الجملة منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى
صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الى الاصنام
من غير الرواية وقوله فى الحديث الآخر الذى رويته ام ايمن حين كلمه عمه
والده فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك فخرج
معهم ورجع مرعوباً فقال كلما دنوت من صنم تمثل لى شخص ابيض طويل يصيح
بى وراءك لا تمسه فما شهد بعدهم عيداً من غير الرواية وهو صحيح وقوله
فى قصة بحيرا حين استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى
اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه ابى طالب وهو صبى ورأى فيه
علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى الله عليه وسلم لا تسألنى
بهما فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما
اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من
سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين

فى وقوفهم

فى وقوفهم بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف
ابراهيم عليه السلام **فصل** قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد
بان بما قدمناه عقود الانبياء فى التوحيد والايمان والوحى وعصمتهم
فى ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب من عقود قلوبهم فجماعها
انها مملوءة علماً ويقيناً على الجملة وانها قد احتوت من المعرفة والعلم
بامور الدين والدنيا ما لا شئ فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى بالحديث
وتأمل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه فى حق نبينا عليه السلام
فى الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما دواه الا ان
احوالهم فى هذه المعارف تختلف فاما ما يتعلق منها بامر الدنيا فلا
يشترط فى حق الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او
اعتقادها على خلاف ما هى عليه ولا وصم عليهم فيه اذ همهم
متعلقة بالآخرة وانبائها وامر الشريعة وقوانينها وامور الدنيا تضاد
بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم
عن الآخرة هم غافلون كما سنبين هذا فى الباب الثانى ان شاء الله تعالى
ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئاً من امر الدنيا فان ذلك يؤدى الى الغفلة
والبله وهم المنزهون عنه بل قد رسلوا الى اهل الدنيا وقلدوا سياستهم
وهدايتهم والنظر فى مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم
بامور الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم فى هذا الباب معلومة
ومعرفتهم بذلك كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين
فلا يصح من النبى عليه السلام الا العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه
لا يخلو ان يكون حصل عن ذلك عن وحى من الله فهو ما لا يصح الشك منه
فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل له العلم اليقين او يكون فعل
ذلك باجتهاد فيما لم ينزل عليه فيه شئ على القول بتجويز وقوع الاجتهاد
منه فى ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ابن سلمة انى انما اقضى
بينكم برأى فيما لم ينزل على فيه شئ خرجه الثقات وكقصة اسرى بدر
وكقصة الاذن للمتخلفين على رأى بعضهم فلا يكون ايضاً ما يعتقده
مما يؤدى اجتهاده الا حقاً وصحيحاً هذا هو الحق الذى لا يلتفت الى خلافه
من خالف فيه ممن اجاز عليه الخطاء فى الاجتهاد لا على القول بتصويب
المجتهدين الذى هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الآخر بان الحق فى

طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطاء في الاجتهاد في
الشرعيات ولان القول في تخطية المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع
ونظر النبي عليه السلام واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له
قبل هذا فيما اعقد عليه صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر
النوازل الشرعية فقد كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا فشيئا حتى
استقر علم جملتها عنده اما بوحي من الله او اذن له ان يشرع في ذلك ويحكم
بما اراه الله وقد كان ينتظر الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استقر
علم جميعها عنده عليه السلام وتقررت معارفها لديه على التحقيق
ووقع الشك والريب وانتفاء الجهل وبالجملة فلا يصح منه الجهل بشيء
من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا يصح دعوته الى ما لا يعلمه
واما ما تعلق بعقده في ملكوت السموات والارض وخلق الله وتعيين اسمائه
الحسنى وآياته الكبرى وامور الآخرة واشراط الساعة واحوال السعداء
والاشقياء وعلم ما كان ويكون مما لا يعلمه الا بوحي فعلى ما تقدم من انه
معصوم فيه لا يأخذ فيما اعلم به منه شك ولا ريب بل هو فيه على غاية
اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده من علم
ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله اني لا اعلم الا ما علمني ربي ولقوله ولا
خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وقول موسى للخضر هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله
صلى الله عليه وسلم اسألك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم
وقوله اسألك بكل اسم سميت به نفسك او استأثرت به في علم الغيب
عندك وقد قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم
وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا مما لا خفاء به اذ معلوماته
تعالى لا يحاط بها ولا منتها لها هذا حكم عقد النبي عليه السلام في
التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية **فصل** واعلم ان الامة
مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته
منه لا في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا
القاضي الحافظ ابو علي رحمه الله قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل
ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا ابو الحسن الدارقطني ثنا اسماعيل
الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن منصور

عن

عن سالم ابن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن
الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يأمرني الا بخير
وعن عائشة بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم
هذه الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انسلخ عن حال
كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث
ورواه بعضهم فاستسلم قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان
هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على كل احد من بني آدم فكيف بمن بعد منه
ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت الآثار بتصدي
الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال
شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة عنه
عليه السلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة عفريت فشد
علي ليقطع علي الصلاة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى
سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب
ملكا الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام ان
عدو الله ابليس جاءني بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله
عليه وسلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه
وذكر نحوه وقال لاصبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك
في حديثه في الاسراء وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به
منه ذكره في الموطأ ولما لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى
عداوته كقصة مع قريش في الايذاء بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره
في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة
بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الآية مرة
يتذرع بشأنه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره وعصمه
ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه
فجاء ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه
السلام حين لدغ في مرضه وقيل له خشينا ان تكون بك ذات الجنب

فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه على فان قيل فما معنى قوله
تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض
المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال تعالى واما
ينزغنك اى يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ
بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال تعالى من بعد ان نزغ الشيطان بيني
وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغريك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة
فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او دام الشيطان
من اغرائه وخواطر اذاه وسواسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ
منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض
له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل فى هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان
يتصور له الشيطان فى صورة الملك ويلبس عليه لا فى اول الرسالة ولا بعدها
ولا اعتماد فى ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبى عليه السلام ان ما ياتيه
من الله الملك ورسوله حقيقة انما يعلم ضرورى يخلقه الله له او ببرهان
يظهره لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما
معنى قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى
الشيطان فى امنيته الاية فاعلم ان للناس فى معنى هذه الاية اقاويل منها
السهو والوعث والتمنى والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من
المفسرين ان التمنى هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها اشغاله بخواطر
واذكار من امور الدنيا للتالى حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل
غير ذلك على افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل لما يزيله الله وينسخه
ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتى الكلام على هذه الاية بعد باشبع من
هذا ان شاء الله وقد حكى السمرقندى انكار قول من قال بتسليط الشيطان على
ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان
مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذى ولده وقال ابو محمد مكى
فى قصة ايوب وقوله انى مسنى الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد
ان يتاول ان الشيطان هو الذى امرضه والقاء الضر فى بدنه ولا يكون ذلك
الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثبتهم قال مكى وقد قيل ان الذى اصابه
الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما
انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقوله عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه

وقول

وقول نبينا عليه الصلوة والسلام حين نام عن الصلوة يوم الوادى
ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام فى وكزته هذا من عمل
الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد فى جميع هذا على مورد مستمر كلام
العرب فى وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال
تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فاليقاتله فانما
هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له
فى ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروى
انه انما نبئ بعد موت موسى وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته
بدليل القران وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون
فى قوله فانساه الشيطان قولين احدهما ان الذى انساه الشيطان
ذكر ربه احد صاحبى السجن وربه الملك اى انساه ان يذكر للملك شان
يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من عمل الشيطان ليس فيه
تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو بشغل خواطرهما
بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا واما قوله صلى الله عليه
وسلم ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه ولا وسوسته له
بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبى حتى نام فاعلم ان تسلط
الشيطان فى ذلك الوادى انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان
جعلنا قوله ان هذا واد به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة
واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل عن الوادى وعلة لترك
الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض به فى
هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله **فصل** واما اقواله عليه الصلوة
والسلام فقامت الدلائل الواضحة بصحة معجزة على صدقه واجمعت
الامة فيما كان طريقه البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شئ منها
بخلاف ما هو به لا قصدا ولا سهوا او غلطا اما تعمد الخلف فى ذلك
فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول الله صدق فيما قال يقينا و
باطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط فى ذلك فبهذه
السبيل عند الاستاذ ابى اسحاق الاسفرايينى ~~رحمه الله~~ ومن قال
بقوله ومن جهة الاجماع فقط ووردد الشرع بانتفاء ذلك وعصمة

النبي لامر مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني
ومن وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة لا نطول
بذكره فنخرج عن غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع
المسلمين انه لا يجوز عليه خلف في القول في ابلاغ الشريعة و
الاعلام بما اخبر به عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه لا على وجه العمد
ولا على غير عمد ولا في حال الرضى والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع
منك قال نعم قلت في الرضا والغضب قال نعم فاني لا اقول في ذلك
كله الا حقا ولنزد ما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا
فنقول اذا قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا
يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة قائمة مقام قول الله له
صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم لابلغكم
ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن
الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق
من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا
فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على
اي وجه كان ولو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره
ولاختلط الحق بالباطل فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة
واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحاق **فصل**
وقد توجهت هاهنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما
روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم
وقال افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى قال تلك
الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان
شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة
العلى تلك الشفاعة ترتجى فلما ختم السورة سجد وسجد معه
المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على الهتهم وما وقع في بعض
الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي عليه السلام
كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية

اخرى

اخرى ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة
وان جبريل جاءه فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين
قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي
الاية وقوله وان كادوا ليفتنونك الاية فاعلم اكرمك الله ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين
اصله والثاني على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث
لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل
وانما اولع به ويمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب
المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضي بكر
ابن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب
رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في
الصلاة واخر يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة
واخر يقول قالها وقد اصابته سنة واخر يقول بل حدثته نفسه
فسها واخر يقول ان الشيطان قالها على لسانه وان النبي صلى الله
عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك واخر يقول
بل علمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي
صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت الى غير ذلك من
اختلاف الرواة ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين
لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب واكثر الطرق
عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن
ابي بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك
في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة
قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده عن شعبة
الا امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد بين لك ابو بكر رحمه الله
انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف

ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به
ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا يجوز الرواية عنه
ولا ذكره لفرط ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي
منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو
بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل فاما من جهة المعنى فقد قامت
الحجة واجتمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته
عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من
مدح الهة غير الله وهو كفر او ان يستولي عليه الشيطان ويشتبه
عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله
عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه عليه جبريل
عليهما السلام او يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل
نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من
جريان الكفر على قلبه او لسانه لا عمدا ولا سهوا وان يشتبه عليه
ما يلقيه الملك مما يلقيه الشيطان او يكون للشيطان عليه
سبيل او ان يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه وقد
قال الله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل الاية وقال تعالى
اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات الاية ووجه ثان
وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك ان هذا الكلام لو
كان كما روي لكان بعيدا الالتيام متناقض الاقسام ممتزج المدح
بالذم متخاذل التاليف والنظم ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم
ولا من بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك
وهذا على ادنى متامل فكيف بمن رجح عقله واتسع في باب
البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه ووجه ثالث انه قد علم
من عادة المنافقين ومعاندي المشركين وضعفة القلوب
والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو
على النبي صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين
والشماتة فيهم الفتنة بعد الفتنة وارتياد من في قلبه مرض

ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد في هذه
القصة شيئا مما سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل
ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة و
لاقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة
في قصة الاسرى حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة
وكذلك ما روي في قصة الغرانيق ولا فتنة اعظم من
هذه البلية لو وجدت ولا استغيب للمعادي حينئذ
اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روي عن معاند فيها
كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
اصلها ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا
الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس على ضعفاء
المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة لهذه القصة ان
فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الايتين وهاتان الايتان
يردان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا
يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكاد يركن اليهم
فمفهوم هذا ومفهومه ان الله عصمه من ان يفتري وثبته
حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في
اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافتراء على يمدح
الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث
لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله في الاية الاخرى
ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان
يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شيء
وقد روي عن ابن عباس كل ما في القرآن كاد فهو ما لا يكون
قال الله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ولم يذهب
وكادوا يخفيها ولم يفعل قال القشيري القاضي ولقد
طالبه قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يميل بوجهه اليها
ووعدوه الايمان به ان فعل فما فعل ولا كاد ليفعل قال
ابن الانباري ما قارب الرسول ولا دكن وقد ذكرت في

معنى الآية تفاسير أخر ما ذكرناه من نص الله على عصمة
رسوله ترد سفسافها فلم يبق في الآية إلا أن الله
امتن على رسوله بعصمته وتثبيته بما أراده به الكفار
وراموا من فتنته ومرادنا من ذلك تنزيهه وعصمته
صلى الله عليه وسلم وهو مفهوم الآية وأما المأخذ الثاني
فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من
صحته ولكن على ذلك من حال فقد أجاب على ذلك أئمة
المسلمين بأجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روي
قتادة ومقاتل أن النبي صلى الله عليه وسلم أصابته سنة
عند قراءته هذه السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم
النوم وهذا لا يصح إذ لا يجوز على النبي عليه السلام مثله
في حالة من أحواله ولا يخلقه الله على لسانه ولا يستولي
الشيطان عليه في نوم ولا يقظة لعصمته في هذا الباب
من جميع العمد والسهو وفي قول الكلبي أن النبي صلى الله
عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه
وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال وسها
فلما أخبر بذلك قال إن ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح
أن يقوله عليه السلام لا سهوا ولا قصدا ولا يتقوله الشيطان
على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن أبي بكر وقيل لعل النبي
صلى الله عليه وسلم قاله أثناء تلاوته على تقدير التقرير
والتوبيخ للكفار كقول إبراهيم عليه السلام هذا ربي
على أحد تأويلات وكقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت
وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع إلى تلاوته وهذا
ممكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وأنه ليس
من المتلو وهو أحد ما ذكره أبو بكر ولا يعترض على هذا
بما روي أنه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها
غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تأويله عنده وعند
غيره من المحققين على تسليمه أن النبي صلى الله عليه وسلم
كان كما أمره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا

في قراءته

في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان
لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات
محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم وأشاعوها ولم
يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما
أنزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذم الأوثان وعيبها ما عرف منه ويكون ما روي من
حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة
وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما أرسلنا من
قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلا قال الله تعالى
لا يعلمون الكتاب إلا أماني أي تلاوة وقوله فينسخ الله
ما يلقي الشيطان أي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم آياته
وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم في
السهو إذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا نحو قول
الكلبي في الآية أنه حدث نفسه وقال إذا تمنى أي حدث
نفسه وفي رواية أبي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو
في القراءة إنما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل
الألفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن إسقاط
آية منه أو كلمة ولكنه لا يقر على هذا السهو بل ينبه عليه
ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو
وما لا يجوز وقد يظهر في تأويله أيضا أن مجاهدا روى
هذه القصة والغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى
الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانيقة
أنها الملائكة وذلك أن الكفار كانوا يعتقدون الأوثان
والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم وردد عليهم في هذه
السورة بقوله ألكم الذكر وله الأنثى فأنكر الله كل هذا من
قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تأوله المشركون
على أن المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك
وزينه في قلوبهم وألقاه إليهم نسخ الله ما ألقى الشيطان
وأحكم آياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بها

سبيلاً للالباس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته
وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة
ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين
ويجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض
والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم
الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم
الاية وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة و
بلغ ذكر اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى خاف الكفار ان
ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا في
تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم وليشنعوا عليه على عادتهم
وقولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون و
نسب هذا الفعل الى الشيطان الرجيم لحمله لهم عليه واشاعوا
ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك
من كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله بقوله وما ارسلنا
قبلك الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
واحكم اياته ودفع ما ليس به العدو وكما ضمنه تعالى من قوله انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس
عليه السلام انه وعد قومه بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم
العذاب فقال لا ارجع اليهم كذبا ابدا فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك
الله ان ليس في خبر من الاخبار الواردة في هذا الباب ان يونس قال
لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك والدعا ليس
بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم وقت كذا
وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم قال
الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي
في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخايله قاله ابن مسعود وقال سعيد
جبير غشاهم العذاب كما يغشى السحاب القمر فان قلت فما معنى
ما روي ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم ارتد مشركا وصار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا
حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم فاقول او عليم حكيم فيقول

نعم

نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله عليه
وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول اكتب عليما
حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفي الصحيح عن انس ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه
وسلم بعدما اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما
كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك على الحق ولا جعل للشيطان
في تلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية من ارتد وكفر
بالله ونحن لا نقبل خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو
ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم من هذا والعجب لمسلم
العقل يشتغل بمثل هذه الحكاية سره وقد صدرت من عدو
كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ترد عن احد من
المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قاله وافتراه
على نبي الله وانما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون باياته الله
واولئك هم الكاذبون وما وقع من ذكرها في حديث انس
وظاهر حكايته لها فليس فيه ما يدل انه شاهدها ولعله
حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال رواه ثابت
عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا
انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل رحمه الله ولهذا والله
اعلم لم يخرج اهل الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح
حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي خرجه اهل الصحة و
ذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل نفسه
الا من حكايته عن المرتد النصراني ولو كانت صحيحة لما كان
فيها قدح ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه ولا
جواز للنسيان والغلط عليه والتحريف فيما بلغه ولا طعن في
نظم القرآن وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر من ان
الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم كذلك هو فسبقه لسانه او قلمه الى كلمة او كلمتين
مما نزل على الرسول قبل اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم

مما املاه الرسول يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه
وفطنته كما يتفق ذلك للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى
قافيته او مبتدأ الكلام الحسن الى ما يتم به ولا يتفق ذلك
في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في اية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام ان صح كل صواب فقد يكون هذا فيما
كان فيه من مقاطع الاي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا
على النبي صلى الله عليه وسلم فاملاه احداهما وتوصل
الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى
فذكرها للنبي كما تقدم فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم
احكم الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الاي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم وهذه قراءة الجمهور وقد قرأ جماعة فانك انت
الغفور الرحيم وليست من المصحف وكذلك كلمات
جاءت على وجهين في غير المقاطع قرأ بهما معا الجمهور و
ثبتا في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها
ويقضي الحق ويقضي الحق وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب
للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد قيل ان هذا
يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس
غير القرآن فيصف الله ويسميه في ذلك كيف شاء **فصل**
هذا القول فيما طريقه البلاغ واما ما ليس سبيله سبيل
البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام ولا اخبار
المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي
يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء
من ذلك بخلاف مخبره لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من
ذلك في حال رضاه وفي حال سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه
ودليل ذلك اتفاق السلف واجماعهم عليه وذلك انا نعلم من
دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق جميع اقواله والثقة
بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم يكن

لهم

لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك
هل وقع فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر
حين اجلاهم من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم واحتج
عليه عمر بقوله صلى الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر
فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم فقال عمر كذبت يا عدو الله
وايضا فان اخباره وآثاره وسيره وشمائله معتنى بها مستقصى
تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه عليه السلام لغلط
في قول قاله او اعتراف بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك لنقل
كما نقل من قصته عليه السلام رجوعه عما اشار به على الانصار في
تلقيح النخل وكان ذلك رأيا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست
من هذا الباب كقوله والله لا احلف على يمين فارى خيرا منها
الا فعلت الذي حلفت عليه وكفرت عن يميني وقوله انكم تختصمون
الي الحديث وقوله اسق يا زبير حتى يبلغ الماء الجدر كما سنبين كلما في
من مشكل في هذا الباب والذي بعده ان شاء الله مع اشباههما وايضا
فان الكذب متى عرف من احد في شيء من الاخبار بخلاف ما هو على
اي وجه كان استريب في مخبره واتهم في حديثه ولم يقع قوله في
النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف
بالوهم والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان
تعمد الكذب في امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع
مسقط للمروءة وكل هذا مما ينزه عنه منصب النبوة والمرء لواحده
فيما يتسبب به ويتشبع مما يحل بصاحبها ويزري بفاعلها لاحقة
بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع فان عددناها من الصغائر
فهل تجري على حكمها في الخلاف فيها مختلف فيه والصواب
تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة
البلاغ والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبي وتجويز
شيء من هذا قادح في ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع
عن يقين ما به لا يجوز على الانبياء خلف في القول في وجه من
الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا يتسامح فيما من تسامح
في تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ

نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاقدام به
في امورهم واحوال دنياهم لان ذلك كان يزري ويريب بهم وينفر
القلوب عن تصديقهم بعد وانظر الى احوال عصر النبي صلى الله
عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم عن حاله في صدق
لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترافهم بما عرف واتفق النقل
على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا
من الآثار فيه في الباب الثاني اول الكتاب ما يبين لك
صحة ما اشرنا اليه **فصل** فان قلت فما معنى قوله عليه السلام
في حديث السهو الذي ثنا به الفقيه ابو اسحاق ابراهيم بن جعفر
قال ثنا القاضي ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو عبد الله
ابن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود
ابن الحصين عن ابي سفيان مولى بن ابي احمد انه قال سمعت ابا هريرة
يقول صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر فسلم
في ركعتين فقام ذو اليدين فقال يا رسول الله اقصرت الصلاة
ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن
وفي الرواية الاخرى ما قصرت الصلاة ولا نسيت الحديث
بقصته فاخبر بنفي الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك
كما قال ذو اليدين قد كان بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا
الله واياك ان للعلماء في ذلك اجوبة بعضها يصدر الانصاف
ومنها ما هو بينة التعسف والاعتساف وهنا اقول اما على
القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ
وهو الذي ذكرناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه
واما على مذهب من يمنع السهو والنسيان في افعاله جملة
ويرى انه في مثل هذا عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق
في خبره لانه لم ينس ولا قصرت ولكنه على هذا القول تعمد
هذا الفعل في هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه مثله وهو قول
مرغوب عنه نذكره في موضعه واما على احالة السهو عليه في
الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره
ففيه اجوبة منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده

وضميره

وضميره اما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان
فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده وانه لم ينس في ظنه فكان
قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا صدق ايضا ووجه
ثان ان قوله ولم انس راجع الى السلام اي اني سلمت قصدا وسهوت
عن العدد اي لم انسه في نفس السلام وهذا محتمل وفيه بعد ووجه
ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ
من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما
ومفهوم اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما
قصرت الصلاة وما نسيت هذا ما رأيت فيه لائمتنا وكل من هذه
الوجوه محتمل للفظ على بعد بعضها وتعسف الآخر منها قال
القاضي ابو الفضل رضي الله عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب
من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس انكار للفظ الذي نفاه عن
نفسه وانكره على غيره بقوله يبس ما لاحدكم ان يقول نسيت
اية كذا او كذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الآخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلاة ام نسيت
انكر قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرا
شيء من ذلك فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجرى عليه ذلك
ليسن فقوله على هذا لم انس ولم تقصر او كل ذلك لم يكن صدق
وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه نسي ووجه آخر استدرته
من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يسهو في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلاة
ما في الصلاة يشغل بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا
المعنى لم يكن في قوله ما قصرت ولا نسيت خلف في قول واما قصة
كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة في الحديث انها كذباته
الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم وبل
فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك
الله ان هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي

داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله
اني سقيم فقال الحسن وغيره معناه اني ساسقم اي ان كل
مخلوق معرض لذلك فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم
بهذا وقيل بل سقيم بما قدر علي من الموت وقيل سقيم القلب
بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت الحمى
تاخذه عند طلوع نجم معلوم فلما راه اعتذر بعادته وكل هذا
ليس فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم
حجته عليهم وضعف ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا
يشتغلون بها وانه الناظر في ذلك وقيل استقامته حجته
عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك هو ولا ضعف
ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما يقال
حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكوكب والشمس والقمر ما نصه الله وقد مناه بيانه واما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فابنه على خبره بشرط نطقه
كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيت لقومه وهذا
صدق ايضا ولا خلف فيه واما قوله اختي فقد بين في الحديث وقال
فانك اختي في الاسلام وهو صدق والله تعالى يقول انما المومنون
اخوة فان قلت فهذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر
كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب وان
كان حقا في الباطن لاجل الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف
باطنها اشفق ابراهيم عليه السلام بموجدته بها واما الحديث كان الذي
النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها فليس فيه
خلف في القول انما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه حذره وكتم
وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع اخر والبحث عن اخباره
والتعريض بذكره لانه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهنا
الى موضع كذا خلاف مقصده فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر
يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام
وقد سئل اي الناس اعلم فقال انا اعلم فعتب الله عليه ذلك

اذ لم

اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال بل عبدنا بمجمع البحرين
اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم انه وقع
في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس هل تعلم
احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق
لا خلف فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه
ومعتقده كما لو صرح به لان حاله في النبوة والاصطفاء يقتضي
ذلك فيكون اخباره بذلك ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا
لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا اعلم بما تقتضيه وظايف النبوة من
علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة الامة ويكون الخضر اعلم
منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله من علوم غيبية كالقصة
المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم على الجملة بما تقدم وهذا اعلم على
الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا علما وعتب الله
ذلك عليه فيما قاله العلماء انكار هذا القول عليه لانه لم يرد العلم
اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او لانه لم يرض قوله شرعا
وذلك والله اعلم لئلا يقتدي به فيه من لم يبلغ كماله في تزكية نفسه
وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنته من مدح الانسان نفسه
ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاظم والدعوى وان نزه عن
هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بعد رجعة سبلها ودرك ليلها الا من
عصمه الله فالتحفظ منها اولى ليقتدي به ولهذا قال
عليه السلام تحفظا من مثل هذا انا سيد ولد ادم
ولا فخر وهذا الحديث احدى حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله
فيه انا اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي وانما الانبياء
فيتفاضلون في المعارف وبقول وما فعلته عن امري فدل انه
يوحى ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي اخر
وهذا يضعف لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي
غيره الا ما جاء هاروت وما نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا
يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك ليس على العموم وانما هو على الخصوص
وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة خضر وهذا قال بعض الشيوخ
كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذه عن الله والخضر اعلم فيما دفع اليه من

موسى وقال لها خرقتها الخ موسى الى الخضر للتأديب لا للتعليم **فصل**
وانما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها القول باللسان
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور
في ذلك الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها
غيره بدليل العقل مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ
ابو اسحاق وكذلك لا خلاف انهم معصومون من ذلك من قبل الله
معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسنا النجار فانه قال
لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة
من السلف وغيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري
وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما
احتجوا به وذهبت طائفة اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها
منهم ولم يأت في الشرع قاطع باحد الوجهين وذهبت طائفة
اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم من الصغائر
كعصمتهم من الكبائر وقالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله
به فهو كبيرة وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر
منه ومخالفة الباري في اي امر كان يجب كونه كبيرة قال القاضي
ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع
ذلك بخلاف الكبائر اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشية
في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي ابي بكر وجماعة ائمة
الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال بعض ائمتنا ولا يجب
على القولين ان يختلفا انهم معصومون عن تكرار الصغائر و
كثرتها اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة
الحشمة واسقطت المروءة واوجبت الازراء والخساسة
فهذا ايضا مما يعصم عنه الانبياء اجماعا لان مثل هذا يحط
منصبة المتسم به ويزري بصاحبه وينفر القلوب عنه والانبياء
منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل المباح فادى

الى

الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الخطر وقد ذهب
بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل
بعض الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال
افعالهم واتباع اثارهم وسيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء
على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي حنيفة من غير
التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا في حكم ذلك
وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا
وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل
العراق وابن سريج والاسطخري وابن خيران من الشافعية واكثر
الشافعية على ان ذلك ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد
بعضهم الاتباع فيما كان من الامور الدينية وعلم به مقصد
القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم يقيد قال فلو جوزنا
عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ ليس كل فعل
من افعاله يتبين مقصده به من القربة او الاباحة الا الحظر والمعصية
ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على مذهب
تقديم الفعل على القول اذا تعارضا من الاصوليين ويزيد هذا
حجة بان نقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام
مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى
شيئا فسكت عنه صلى الله عليه وسلم دل على جوازه فكيف
يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه على
هذا المأخذ يجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذا الحظر
او الندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه
وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي
صلى الله عليه وسلم كيف توجهت في كل فن كالاقتداء باقواله
فقد نبذ واخوانهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين
خلع واحتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته
مستقبلا بيت المقدس واخذ غير واحد منهم في غير شيء
مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يفعله وقال عليه السلام صلاة خير منها اني اقبل وانا صائم

وقالت عايشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم
وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل
الله لرسوله ما يشاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده
والاتيان في هذا اعظم من ان يحيط عليها لكنه يعلم من مجموعها
على القطع اتباعهم افعاله واقتداوهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة
في شيء منها لما اتسق هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك
ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكراه واما
المباحاة فجايز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون
فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلط عليها الا انهم بما خصوا به
من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا
به من تعلق الهم بالله والدار الاخرة لا ياخذون من المباحات
الا الضرورات فما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح
دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعة
وصار قربة كما بيننا منه اول الكتاب طرفا في خصال نبينا عليه السلام
فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام
بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة
ورسم المعصية **فصل** وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي
قبل النبوة فمنعها اقوام وجوزها اخرون والصحيح ان شاء الله
تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف
والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون
بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام
قبل ان يوحى اليه كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن
متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة
ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر
والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة
عليها فذهب سيف السنة ومعتمد فرق الامة القاضي
ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل ومواردة الخبر من طريق
السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره
في العادة اذ كان من اهم امره واولى ما اهتبل من سيرته

ولفخر

ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من
ذلك جملة وذهبت طايفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه
يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح
وهي طريقة غير سديدة واستناد ذلك الى النقل كما تقدم
للقاضي ابي بكر اولى واظهر وقالت فرقة اخرى بالوقوف في امره
عليه السلام وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك اذ لم يحل الوهين
منها العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق النقل وهو
مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع
من قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم
عن تعيينه واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت
هذه المعينة فيمن كان يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى
وقيل عيسى صلوات الله عليهم فهذه جملة المذاهب في هذه
المسئلة والاظهر منها ما ذهب اليه القاضي ابو بكر وابعدها
مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمناه
ولم يخف جملة ولا حجة لهم في ان عيسى اخر الانبياء فلزمت
شريعته من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى عليه السلام
بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة عامة الا لنبينا عليه السلام
ولا حجة ايضا للاخر في قوله تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وللاخرين
في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فتحمل هذه الاية على اتباعهم
في التوحيد كقوله اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وقد سمى الله
تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن يعقوب
على قول من يقول انه ليس برسول وقد سمى الله جماعة منهم في هذه
الاية شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجمعوا
عليه من التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال
بمنع الاتباع هذا القول في سائر الانبياء غير نبينا او يجيزون
بينهم اما من منع الاتباع عقلا فمجرد مسئلة في كل رسول بالامر فيه
واما من مال الى النقل فانما تصور له فيقرر لتبعه ومن قال بالوقف
فعلى اصله ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله يلتزم بمساق حجته
في كل نبي **فصل** وهذا حكم ما تكون المخالفة فيه من الاعمال

فيها ما

بينهم

٣ لا يمكن الجمع

٣ وسائر الانبياء

٣ او بالجواز

عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت التكليف واما ما يكون
بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان في الوظايف الشرعية مما
تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المواخذة عليه فاحوال
الانبياء عليهم السلام في ترك المواخذة به وكونه ليس بمعصية لهم
مع امهم سواء ثم ذلك على نوعين ما لم يقدح البلاغ وتقرير الشرع
وتعلق الاحكام وتعليم الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو
خارج عن هذا فيما يختص بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء
حكم السهو في القول في هذا الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع
ذلك في حق النبي صلى الله عليه وسلم وعصمته من جوازه عليه قصدا
او سهوا فكذلك قالوا الافعال في هذا الباب لا يجوز طرو المخالفة
فيها الا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك ويسبب المقاعن
واعتذروا عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا
والى هذا مال ابو اسحاق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان
المخالفة في الافعال البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير
قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث السهو في الصلوة وفرقوا
بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة على الصدق في
القول ومخالفة ذلك تناقضها واما السهو في الافعال فغير مناقض
لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من سمات
البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هاهنا في حقه
عليه السلام سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام
اني لانسى او انسى لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن
وهذه الحالة زيادة له في التبليغ وتمام عليه في النعمة بعيدة من
سمات النقص واغراض الطعن فان القايلين بتجويز ذلك يشترطون
ان الرسل لا تقر على السهو والغلط بل ينبهون عليه ويعرفون
حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقبل انقراضهم
على قول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام من
افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه

مما لم

مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز
السهو والغلط عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات بقلبه وذلك بما
كلفه من مقاساة الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاولاد
ولكن ليس على سبيل التكرار والاتصال بل على سبيل الندور كما قال عليه
السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من
رتبته ويناقض معجزته وذهبت طايفة الى منع السهو والنسيان و
الغفلات والفترات في حقه عليه السلام جملة وهو مذهب جماعة
المتصوفة واصحاب علم القلوب والمقامات ولهم في هذه الاحاديث
مذاهب نذكرها بعد هذا ان شاء الله تعالى **فصل في الكلام على الاحاديث**
المذكور فيها السهو منه عليه السلام وقد قدمناه في الفصول قبل هذا ما يجوز
فيه عليه السهو عليه السلام وما يمتنع واحلناه في اخبار جملة وفي
الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية على الوجه
الذي بينا واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة ثلاثة
احاديث اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث
ابن بحينة في القيام من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم صلى الظهر خمسا وهذه الاحاديث مبنية على
السهو في الفعل الذي قررناه وحكمه الله تعالى فيه ليستن به
اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال وشرطه انه
لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فايدة
الحكمة فيه كما قدمناه وان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه
السلام غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه
السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال
رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا وكذا اية كنت اسقطتهن ويروى
انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى او انسى لاسن قيل هذا لفظ
شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن وذهب
ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم
اي انسى انا او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قالا
ان يريد اني انسى في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة

البشر من الذهول عن الشيء والسهو او النسيان مع اقبال عليه وتفرغ
له فاضاف احد النسيانين الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى
الاخر عن نفسه اذ هو فيه كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب
المعاني والكلام على الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يسهو
في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة قال والنبي
صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام
يسهو في صلاته ويشغله عن حركات الصلاة ما في الصلاة شغلا بها
لا غفلة عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة
الى منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض المقاصد لا يخلى منه بطائل
لانه كيف يكون متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة
النسيان ليسن لقوله اني لا انسى او انسى وقد ثبت احدا لوصفين ونفى
مناقض التعمد والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد
مال الى هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرضه
غيره منهم ولا ارتضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن
انسى اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة
لقبيه كقوله عليه السلام بئس ما لاحدكم ان يقول نسيت اية كذا ولكنه
نسي او لينفي الغفلة وقلة الاهتمام بامر الصلاة عن قلبه لكن شغل بها
عنها وينسى بعضها ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل
بالتحرز من العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك
يوم الخندق اربع صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه
احتج من ذهب الى جواز تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من
اداءها الى وقت الامن وهو مذهب الشافعيين والصحيح
ان حكم صلاة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان قلت
فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد روي
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة
منها ان المراد قلبه عند نومه عليه السلام وعينيه في غالب
الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما ندر من غيره خلاف عادته
ويصحح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان

الله

الله قبض ارواحنا وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط
ولكن مثل هذا انما يكون منه لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس
سنة واظهار شرع وكما قال في الحديث الاخر لو شاء الله لايقظنا
ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني ان قلبه لا يستغرقه النوم
حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا وانه كان ينام
حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضا وحديث ابن عباس
المذكور فيه وضوءه عند قيامه من النوم فيه نومه مع اهله فلا
يمكن الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة
الاهل او لحديث اخر فكيف وفي الاخر الحديث نفسه ثم نام حتى
سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة فصلى ولم يتوضا وقيل لا ينام
قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة الوادي الا نوم
عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال عليه السلام
ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين غير هذا فان
قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلاه لنا الفجر
فقيل للجواب انه كان من شانه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعات اول الفجر لا تصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك
بالجوارح الظاهرة فوكل بلالا بمراعات اوله ليعلمه بذلك كما لو
شغل بشغل غير النوم عن مراعاته فان قيل فما معنى نهيه عليه السلام
عن القول نسيت وقد قال عليه السلام اني انسى كما تنسون
فاذا نسيت فذكروني وقال لقد اذكرني كذا او كذا اية كنت
انسيتها فاعلم اكرمك الله ان لا تعارض في هذه الالفاظ
اما نهيه عن ان يقال نسيت اية كذا محمول على ما نسخ فعله
من القران اي ان الغفلة في هذا لم تكن منه ولكن الله اضطره
اليها لنحو ما يشاء ويثبت وما كان من سهو او غفلة من قبله
تذكرها صح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا كان منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى
خالقه والاخر على طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه
عليه السلام لما اسقط من هذه الايات جائز عليه بعد بلاغ ما
امر بتبليغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها من امته

او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا
سبيله كرة ويجوز ان ينسيه منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما
ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا في الخبر ثم يذكره اياه ويتخيل
دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه وتكليفه بلاغه **فصل**
في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا به في
ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين
ومن تابعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة
من القرآن والحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز
الكبائر وخرق الاجماع وما لا يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا
به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت الاحتمالات في
مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك
فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما
وقامت الدلالة على خطاء قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير
الى ما صح وها نحن نأخذ في النظر فيها ان شاء الله من ذلك
قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم
من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك الذي انقض
ظهرك وقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم وقوله تعالى عبس
وتولى ان جاءه الاعمى الاية وما قص من قصص غيره من الانبياء كقوله
وعصى ادم ربه فغوى وقوله تعالى فلما اتاهما صالحا جعلا له
شركاء الاية وقوله تعالى عنه ربنا ظلمنا انفسنا الاية وقوله تعالى
عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكره تعالى من قصته
وقصة داود وقوله تعالى وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه
وخر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله تعالى ولقد همت به وهم
بها وما قص من قصته مع اخوته وقوله تعالى عن موسى فوكزه
موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان وقول النبي صلى الله عليه وسلم
في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اسررت وما اعلنت ونحوه

من

من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء عليهم السلام في الموقف ذنوبهم
في حديث الشفاعة وقوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر
الله وفي حديث ابي هريرة اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم
اكثر من سبعين مرة وقوله تعالى عن نوح والا تغفر لي وترحمني
الاية وقد كان قال الله تعالى ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون
وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقوله
عن موسى تبت اليك وقوله تعالى ولقد فتنا سليمان الى ما اشبه
هذه الظواهر قال القاضي رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلفت فيه
المفسرون فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما
وقع لك من ذنب وما لم يقع اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان
قبل النبوة وبالمتأخر عصمتك بعدها حكاه احمد ابن نصر وقيل
المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما كان عن سهو
وغفلة وتأويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل ما تقدم
لابيك ادم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي
والسلمي عن ابن عطاء وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر
لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم
ها هنا هي مخاطبة لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر
ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا بكم شرح بذلك الكفار فانزل
الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الاية
وبمآل المؤمنين في الآخرة بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية
انك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم
المغفرة ها هنا تبراة من العيوب واما قوله تعالى ووضعنا
عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما سلف من ذنبك
قبل النبوة وهو قول بن زيد والحسن ومعنى قول قتادة
وقيل معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك
لانقض ظهره حكاه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل
ظهره من اعباء الرسالة حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي
وقيل حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية حكاه مكي وقيل

ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك
لك حكاه معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت
بحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاده
ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي
صلى الله عليه وسلم بامور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها او يكون
الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت
ظهره او يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه
من امور الجاهلية واعلام الله تعالى له بحفظه ما استحفظه من ربه
واما قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم فامر لم يتقدم للنبي
صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده
الله تعالى عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من
ذهب الى ذلك قال نغلطوه وقد حاشاه الله من ذلك بل كان
مخيرا فاخبرين قالوا وقد كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه
فيه وحي فكيف وقد قال الله تعالى له فاذن لمن شئت منهم
فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن
لهم لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا هاهنا بمعنى
غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة
الخيل والرقيق ولم يجب عليهم قط اي لم يلزمكم ذلك
ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون الا عن ذنب من
لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا قال الداوودي روي انها كانت تكرمة قال مكي هو استفتاح
كلام مثل اصلحك الله واعزك الله وحكى السمرقندي ان معناه
عافاك الله واما قوله في اسارى بدر ما كان لنبي ان تكون له
اسرى الاية فليس فيه الزام ذنب
للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من
بين سائر الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال
عليه السلام احلت لي الغنائم ولم تحل لنبي قبلي فان قيل
فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل المعنى بالخطاب

لهم

لمن اراد

لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار
منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل
قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجمع الغنايم عن القتال حتى خشي عمر رضي الله عنه
ان يعطف عليهم العدو ثم قال تعالى لولا كتاب من الله سبق فاختلف
المفسرون في معنى الاية فقيل معناها لولا انه سبق منه ان لا اعذب
احدا الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية
وقيل المعنى لولا ايمانكم بالقران وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به
الصفح لعوقبتم على الغنايم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بان يقال
لولا ما كنتم مؤمنين بالقران وكنتم ممن احلت لهم الغنايم لعوقبتم
كما عوقب من تعدى وقيل لولا الله سبق في اللوح المحفوظ انها حلال
لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له
لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وقيل بل كان
عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء
جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير اصحابك
في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم في عام
المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه من انهم
لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه لكن بعضهم مال الى اضعف الوجهين فيما كان
غيره الاصلح من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف
اختيارهم وتصويب لاختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين
والى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو
نزل من السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب
رايه ورأى من اخذ بماء اخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة
عدوه وان هذه القضية لو استوجبت عذابا منه عمر ومثله وعين عمر
لانه اول من اشار بقتلهم ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذابا لاحلاله
لهم فيما سبق وقال الداوودي والخبر بهذا لا يثبت ولو ثبت لما جاز
ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا دليل من
نص ولا اجتهاد الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي
خرج هذا الخبر اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلا اخبر الله نبيه

عليه السلام في هذه الآية ان تأويله وافق ما كتبه له من احلال الغنايم
والفداء وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل
فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما عتب الله ذلك عليهم
وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل النبي صلى الله
عليه وسلم في شان الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما قد تقدم
قبل مثله فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة
اسراها والله يعلم اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في
اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم لا على وجه عتاب وانكار او تذنيب
هذا معنى كلامه واما قوله تعالى عبس وتولى الايات فليس فيها اثبات
ذنب له عليه السلام بل اعلام الله ان ذلك المتصدي له ممن لا
يتزكى وان الصواب والاولى كان لو كشف لك حال الرجلين الاقبال
على الاعمى وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر
كان طاعة لله وتبليغا عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا
ولا مخالفة له وما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين
امر الكافر عنده واشارة الى الاعراض عنه بقوله تعالى وما عليك الا
يزكى وقيل اراد عبس وتولى الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه
وسلم قاله ابو تمام واما قصة ادم عليه السلام وقوله تعالى فاكلا
منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله تعالى
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله
وعصى ادم ربه فغوى اي جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر
بعذره بقوله ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي ولم نجد له عزما
قال ابن زيد ينسى عداوة ابليس له وما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا
عدو لك ولزوجك الاية قيل نسي ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمي الانسان
انسانا لانه عهد اليه فنسي وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنها
اغتر بحلف ابليس لهما اني لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف
بالله حانثا وقد روي عن ادم بمثل هذا في بعض الاثار وقال ابن جبير
حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع وقد قيل نسي ولم ينو المخالفة
فلذلك قال ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة واكثر المفسرين على
ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عندنا كله سكران وهذا

فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم يكن معصية وكذلك اذا كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق
على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك
وغيره انه يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله تعالى
وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان
الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان وقيل بل كلها منا ولا وهو
لا يعلم انها الشجرة التي نهي عنها لانه ناه والنهي عن شجرة مخصوصة
لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من ترك التحفظ لامر المخالفة
وقيل تاول ان الله لم ينهه عنها نهي تحريم فان قيل فعلى كل حال فقد
قال الله تعالى وعصى ادم ربه وقال فتاب عليه وقوله في حديث الشفاعة
ويذكر ذنبه واني نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتي الجواب
عنه وعن اشباهه في جملة اخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس
فقد مضى الكلام على بعضها انفا وليس في قصة يونس نص على ذنب
وانما فيه ابق وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه
خروجه عن قومه فارا من نزول العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب
ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل
كانوا يقتلون من كذب مخالف ذلك وقيل ضعف عن حمل اعباء
الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكذ بهم وهذا كله ليس فيه نص
على معصيته الا على قول مرغوب عنه وقوله ابق الى الفلك المشحون
قال المفسرون تباعد واما قوله اني كنت من الظالمين فالظلم
وضع الشيء في غير محله فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما
ان يكون لخروجه عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله ولدعائه
بالعذاب على قومه وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يواخذ وقال
الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه
اعترافا واستحقاقا ومثل هذا قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا
اذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي انزلا فيه واخراجهما
من الجنة وانزالهما الى الارض واما قصة داود عليه السلام فلا
يجب ان يلتفت الى ما سطره فيها الاخباريون عن اهل الكتاب
الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله على شيء

از

موضعه

من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذي نص الله عليه قوله وظن
داود انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى
فتناه اي اختبرناه واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير
اولى قال ابن عباس وابن مسعود ما اراد داود على ان قال للرجل
انزل لي عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله على ذلك ونبهه عليه وانكر
عليه شغله بالدنيا وهذا الذي ينبغي ان يعول عليه من امره وقد قيل
خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد وحكى السمرقندي
ان ذنبه الذي استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد ظلمك فظلمه
بقول خصمه والى نفي ما اضيف في الاخبار الى داود من ذلك ذهب
احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودي ليس في
قصة داود واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم
وقيل ان الخصمين اللذين اختصما اليه رجلان في نعاج غنم على ظاهر
الاية واما قصة يوسف عليه السلام واخوته فليس على يوسف
فيها تعقب واما اخوته فلم تثبت نبوتهم فيلزم الكلام على
افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال
المفسرون يريد من جاء من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا
حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا
يوسف حين اجتمعوا به عليه ولهذا قالوا ارسله معنا غدا
نرتع ونلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم واما قول
الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه
فعلى مذهب كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ
به وليست سيئة لقوله صلى الله عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي
بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية في همه اذا واما
على مذهب المحققين من الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت
عليه النفس سيئة واما ما لم توطن عليه النفس من همومها
وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون ان شاء الله
هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسي الاية اي ما ابريها
من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف
بمخالفة النفس لما زكي قبل ورئي فكيف وقد حكى ابو حاتم

فاستغفر ربه صح

وقيل بل لما خشيه على نفسه وظن من الفتنة بما بسط له من الملك والدنيا صح

عن

عن ابي عبيدة ان يوسف لم يهم وان الكلام فيه تقديم وتأخير
اي ولقد همت به ولولا ان رأى برهان ربه لهم بها وقد قال الله
تبارك وتعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم وقد قال
تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال تعالى وغلقت
الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي الاية
قيل في ربي الله وقيل الملك وقيل هم بها اي بزجرها ووعظها وقيل
هم بها اي غمها امتناعه عنها وقيل هم بها نظر اليها وقيل هم
بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وقد ذكر بعضهم
ما زال النساء يمكن الى يوسف ميل شهوة حتى بناه الله فالقى
عليه هيبة النبوة فسقطت هيبته كل من رآه عن حسنه واما
خبر موسى مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من
عدوه قال كان من القبط الذين على دين فرعون ودليل السورة في
هذا كله انه قبل نبوة موسى وقال قتادة وكزه بالعصا ولم يتعمد
قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله
ظلمت نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي
لنبي ان يقتل حتى يؤمر وقال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا
للقتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه قال وقد قيل ان
هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصة
وفتناك فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه
القصة وما جرى له مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم
وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك اخلاصا قاله ابن جبير
ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا خلصتها واصل
الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في عرف
الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر
الصحيح من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث
ليس فيه ما يحكم على موسى عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا
يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع
عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة ادمي ولا
يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة ادت

كانوا

الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا
من الله فلما جاءه بعد وعلمه الله انه رسوله اليه استسلم وللمتقدمين
وللمتأخرين على هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل
شيخنا ابي عبد الله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره
على صكه ولطمه بالجحد وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في
هذا الباب في اللغة المعروفة واما قصة سليمان عليه السلام
وما حكي فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا سليمان
فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة او تسع وتسعين كلهن
يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شاء الله
فلم يقل فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جاءت بشق رجل قال
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله
لجاهد وفي سبيل الله قال اصحاب المعاني والشق هو الجسد
الذي القي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه
وقيل انه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني
وقيل عقوبته ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه
ميتا ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاعدائه
على خصمهم وقيل او خذ بذنب فارقه بعض نسائه ولا يصح
ما نقله الاخباريون من تسلية الشيطان به وتسلطه على ملكه
وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين لا يسلطون
على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل
سليمان في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها
ما روي في الحديث الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ
مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع صاحبه وشغل عنه
وقوله عليه السلام وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي
لم يفعل هذا سليمان غيرة على الدنيا ونفاسة بها ولكن مقصده
في ذلك كما ذكره المفسرون الا يسلط عليه احد كما سلط الشيطان
الذي سلبه اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل
بل اراد ان يكون له من الله فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص

الامام صح

اسدها

على

غيره

غيره من انبياء الله ورسله بخواص منه وقيل ليكون ذلك دليلا
وحجة على نبوته كما لانة الحديد لابيه واحياء الموتى لعيسى
واختصاص محمد بالشفاعة ونحو هذا واما قصة نوح عليه السلام
فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله
تعالى واهلك فطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عليه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله عليه انه ليس من اهله
الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه
انه مغرق الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاخذ بهذا
التاويل وعتب عليه واشفق هو من اقدامه على ربه لسؤاله
ما لم يؤذن له في السؤال فيه وكان نوح عليه السلام فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي
على نوح بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال
فيمن لم يؤذن له فيه ولا نهي عنه وما روي في الصحيح من ان نبيا
قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى الله اليه ان قرصتك
نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث
ما يقتضي ان هذا النبي اتى معصية بل فعله ما اراده مصلحة وصوابا
بقتل من يؤذي جنسه ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى
ان هذا النبي كان نازلا تحت الشجرة فلما اذته النملة تحول
برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه وليس فيما اوحى الله اليه
ما يوجب عليه معصية بل ندبه الى احتمال الصبر وترك التشفي
كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر
فعله انما كان لازالة ما اذته هو في خاصته فكان انتقاما
لنفسه وقطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك ولم يات
في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى الله اليه
بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه فان قيل فما معنى قوله
عليه السلام ما من احد الا لم يذنب او كاد الا يحيى بن زكريا
او كما قال عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم من ذنوب الانبياء
التي وقعت عن غير قصد وعن سهو وغفلة

فصل

فان قلت فاذا انفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب

الكبيرة

والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتأويل
المحققين فما معنى قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وما تكرر
في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الانبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف منهم واشفاقهم
وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا
الله واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة
بالله وسنته في عباده وعظم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم
على الخوف منه جل جلاله والاشفاق من المواخذة
بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم بامور لم ينهوا عنها
ولا امروا بها ثم اوخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا
من المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو وتزيد
من امور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة
الى علي منصبهم ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم لانها
كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ من الشيء
الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي اخره وادناب الناس
ردالهم فكان هذا ادنى افعالهم واسوأ ما يجري من احوالهم
لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح
والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفي والخشية لله واعظامه
في السر والعلانية وغيرهم يتلوث من الكبائر والفظائع
والفواحش ما يكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات
كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اي يرونها بالاضافة
الى احوالهم كالسيئات وكذلك العصيان الترك والمخالفة
فعلى مقتضى اللفظ كيف ما كانت من سهو او تاويل فهي
مخالفة وترك وقوله غوى اي جهل ان تلك الشجرة هي التي
نهي عنها والغي الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها
وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اوخذ بقوله
لاحد صاحبي السجن اذكرني عند ربك فانساه الشيطان
ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين قيل انسي يوسف ذكر الله
وقيل انسي صاحبه ان يذكره لسيده الملك قال النبي صلى

الله

الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث قال ابن دينار
لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دوني وكيلا لاطيلن
حبسك فقال يا رب انسني قلبي كثرة البلوى وقال بعضهم يواخذ
الانبياء بمثاقيل الذر لكانتهم عنده ويجاوز عن سيئات بقية الخلق
لقلة مبالاتهم في اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج
وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يواخذون
بهذا مما لا يواخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته من حالهم ارفع
محالهم اذا في هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله لنا لا
نثبت لك المواخذة في هذا على حد مواخذة غيرهم بل نقول انهم يواخذون
بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة لهم في درجاتهم ويمتحنون بذلك ليكون
استشعارهم له سببا لحماية دينهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فتاب
عليه وهدى وقال لداود عليه السلام فغفرنا له ذلك الاية وقال
بعد قول موسى تبت اليك اني اصطفيتك على الناس وقال بعد
ذكر فتنة سليمان وانابة فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب
وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة
كرامات وزلف واشار الى نحو ما قدمناه وايضا فليست غيرهم
من البشر منهم او من ليس في درجتهم يواخذهم بذلك فيستشعروا
الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا
الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا المنصب الرفيع المعصوم
فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المري ذكر داود بسطة للتوابين
قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله تعالى من قصة صاحب الحوت نقصا
له ولكن اشتراه ممن بيننا عليه السلام وايضا فيقال لهم فانكم
ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف
بعصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة
على هذا فما معنى المواخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء وتوبتهم
منها وهي مغفورة لو كانت مما اجابوا به فهو جوابنا عن المواخذة
بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبي
صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة
الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه

كما قال عليه السلام وقد أمن من المؤاخذة بما تقدم وما تأخر
أفلا أكون عبداً شكوراً وقال إني لأخشاكم لله وأعلمكم بما أتقي قال
الحارث بن أسد خوف الملائكة والأنبياء خوف أعظام وتعبد لله
لا خوف أمنون وقيل فعلوا ذلك ليقتدى بهم ويستن بهم أممهم
كما قال عليه السلام لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً وأيضاً فإن في التوبة والاستغفار معنى آخر لطيفاً
أشار إليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله تعالى قال الله تعالى
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاستحقاق الرسل والأنبياء
الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين استدعاء
لمحبة الله تعالى والاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى
لنبيه عليه السلام بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الآية وقال تعالى
فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا **فصل** قد اتضح
لك أيها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام
عن الجهل بالله وصفاته وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك
كله جملة بعد النبوة عقلاً وإجماعاً وقبلها سمعاً ونقلاً ولا بشيء
مما قرره من أمور الشرع وأداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً
وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله
قصداً أو عن قصد واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً ونظراً
وبرهاناً وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً وتنزيهه من الكبائر
إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة وعصمته
في كل حالاته من رضى وغضب وجد ومزح فيجب عليك أن
تتلقاه باليمين وتشد عليه بالنواجذ وتقدر هذه الفصول
حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها فإن من يجهل
ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم أو يجوز أو يستحيل عليه
ولا يعرف صور أحكامه لأيامن أن يعتقد في بعضها
خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه
فيهلك من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الأسفل
من النار

من النار إذ ظن الباطل به واعتقاده ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه
دار البوار ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين
رآياه ليلاً وهو معتكف في المسجد مع صفية فقال لهما إنها صفية
ثم قال لهما إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم وإني خشيت
أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا هذه أكرمك الله أحد فوائد
ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع
شيئاً منها يرى أن الحلوم فيها جملة من فضول العلم وأن السكوت
أولى وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر إليها في أصول الفقه وتبنى عليها مسائل لا تستفاد من الفقه
ويتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم
في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وهو باب عظيم وأصل كبير
من أصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي عليه السلام في أخباره
وبلاغه وأنه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من المخالفة في أقواله
عمداً وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في استدلال
الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة
يحتاج إليها الحاكم والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم
شيئاً من هذه الأمور ووصفه بها فمن لم يعرف ما يجوز وما
يمتنع عليه وما وقع الإجماع فيه والخلاف كيف يصمم في الفتيا
في ذلك ومن أين يدري هل ما قاله فيه نقص أو مدح فإما أن يجترئ
على سفك دم مسلم حرام أو يسقط حقاً ويضيع حرمة للنبي صلى الله
عليه وسلم وبسبيل هذا ما قد اختلف أرباب الأصول وأئمة
العلماء والمحققين في عصمة الملائكة **فصل** في القول في عصمة
الملائكة أجمع المسلمون أن الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق أئمة
المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة
مما ذكرنا عصمتهم منه وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم
كالأنبياء مع الأمم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة
إلى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لا يعصون
الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وبقوله وما منا إلا له
مقام معلوم وإنا لنحن الصافون وإنا لنحن المسبحون وبقوله

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون وقوله كرام
بررة وقوله لا يمسه الا المطهرون وبقوله ان الذين عند ربك
لا يستكبرون عن عبادته ونحوه من السمعيات وذهبت طايفة
الى ان هذا خصوص للمرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء
ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله
بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله والصواب عصمة جميعهم
وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم وينزلهم
عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار ان لا حاجة
بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام
في عصمة الانبياء من الفوايد التي ذكرناها سوى فايدة الكلام
في الاقوال والافعال فهي ساقطة هاهنا فيما احتج به من لم يوجب
عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل
الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما
وابتلايهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء
لا يصح ولا يستقيم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو شيئا
يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه
وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه
الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الايات من
افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة
على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه
الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف ولاء في هاروت وماروت
وهل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل
القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله تعالى وما انزل وما يعلما
من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس
بالملكين ليتعلم السحر ويبينه وان عمله كفر فمن تعلمه كفر
ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما
الناس له تعليم انذار اي يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعل ام
كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تحتيلوا بكذا فانه سحر
فلا تكفروا فعلى هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما هو

امرا

امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد
ابن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان
السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقراء بعضهم وما انزل على
الملكين فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد على جلالته وعلمه
نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما ماذونان لهما في
تعليمه بشريطة ان يبينا له المذكورة انه كفر وانه امتحان من الله تعالى
وابتلاء فكيف لا ينزههما عن الكبائر والمعاصي والكفر في تلك الاخبار
وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس وقال مكي
وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه
الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود وما انزل على الملكين قال
مكي قيل هما جبريل وميكائيل ادعاء اليهود عليهما الجني به لما ادعوا
على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر بابل هاروت وماروت قيل هما رجلان
تعلماه قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقراءة
وما انزل على الملكين بكسر اللام وسكون ما ايجابا على هذا وكذلك قراءة
عبد الرحمن بن ابزى بكسر اللام ولكنه قال الملكان هما داود وسليمان
وتكون ما نافيا على ما تقدم وقيل كانا ملكين من بني اسرائيل فحكما
الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر اللام شاذة فحمل الاية
على تقدير ابي محمد مكي حسن ينزه الملائكة ويذهب الرجس
عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون
وكرام بررة ولا يعصون الله ما امرهم وكما يذكرون قصة ابليس
وانه كان من الملائكة ودينسا فيهم ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه
وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا الا ابليس وهذا ايضا
كله يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما ان ادم
ابو الانس وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب
كان من الجن الذين طردتهم الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء
من غير الجنس شايع في كلام العرب سايغ وقد قال الله تعالى
ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما رووه في الاخبار ان خلقا من
الملائكة عصوا الله تعالى فحرقوا وامروا ان يسجدوا لادم فابوا

فحرقوا ثم آخرون كذلك حتى يجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار
لا اصل لها تردها صحاح الاخبار فلا يشتغل بها والله اعلم **الباب الثاني**
فيما يختص بالامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية
قد قدمنا انه عليه السلام وساير الانبياء والرسل من البشر
وان جسده وظاهره خالص للبشرية يجوز عليه من الافات
والتغيرات والالام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى
ناقصا بالاضافة الى ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب
الله على اهل هذه الدار فيها يحيون وفيها يموتون ومنها يخرجون
وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام واشتكى
واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر
وسقط فخمش شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقى
السم وسحر وتداوى واحتجم واغتسل وتعوذ ثم قضى نحبه
فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار
الامتحان والبلوى **وهذه** سمات البشر التي لا محيص عنها
واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم منها فقتلوا وقتلوا
ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه كما عصم بعد بيننا من الناس
فلئن لم يكف بيننا ربه بدين قمنة يوم احد ولا حجبه عن عيون
عداه عند دعوته اهل الطائف فلقد اخذ على عيون قريش
عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف عورث وحجر ابي جهل
وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه ما هو
اعظم من سم اليهودية وهكذا ساير انبيائه مبتلى
ومعافا وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات
ويتبين امرهم ويتم كلمته فيهم وليحقق بامتحانهم بشريتهم
ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا يضلوا بما
يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون
في محنتهم تسلية لامتهم ووفور لاجورهم عند ربهم مما

على

على الذي احسن اليهم قال بعض المحققين وهذه الطوارئ والتغيرات
المذكورة انما تختص باجسامهم البشرية المقصود بها مقاومة
البشر ومعاناة بني ادم ليشاكلوا الجنس واما بواطنهم فمنزهة
غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالرفيق الاعلى والملائكة
لاخذها عنهم وتلقيها الوحي منهم قال وقد قال عليه السلام
ان عيني تنامان ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني ابيت
يطعمني ربي ويسقيني وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بي
فاخبر ان سره وباطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان
الافات التي تحل ظاهره من ضعف وجوع وسهر ونوم لا يحل
منها شيء باطنه بخلاف غيره من البشر في حكم الباطن لانه
اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام في نومه
حاضر القلب كما هو في يقظته حتى قد جاء في بعض الاثار انه
كان محروسا من الحدث في نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك
غيره اذا جاع ضعف لذلك جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية
حركته وهو عليه السلام قد اخبر انه لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم
لقوله لست كهيئتكم اني ابيت يطعمني ربي ويسقيني **وكذلك**
اقول انه في هذه الاحوال كلها من وصب ومرض وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا
يليق به كما يعتري غيره من البشر مما ناخذ بعد في بيانه **فصل**
فان قلت وقد جاءت الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا
الشيخ ابو محمد القشيري بقراءتي عليه قال حدثنا حاتم بن محمد نا
ابو الحسن علي بن خلف نا محمد بن احمد نا محمد بن يوسف نا البخاري
نا عبيد بن اسماعيل قال قال نا ابو اسامة عن هشام بن عروة
عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انه
ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله وفي رواية اخرى حتى كان
يخيل اليه انه ياتي النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا
القياس الامر على المسحور فكيف حال النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم فاعلم وفقنا الله واياك
ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعن فيه الملحدة وتدرعت

لسخف عقولها وتلبيسها على امتنا لها الى التشكيك في الشرع وقد
نزه الله الشرع والنبي عليه السلام عما يدخل في امره لبسا وانما
السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض
مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته واما ما ورد انه كان يخيل اليه انه
فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء
من تبليغه او شريعته او يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع
على عصمته من هذا وانما هذا فيما طرقه عليه في امر دنياه التي
لم يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات
كسائر البشر فغير بعيد ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له
ثم ينجلي عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا الفصل الحديث الاخر
من قوله حتى يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن وقد قال سفيان
وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات في خبر منها انه نقل عنه
في ذلك قول بخلاف ما كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت
خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه كان يخيل
الشيء انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون عقاده
كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا من
الاجوبة عن هذا الحديث مع ما اوضحناه من معنى كلامهم وزدنا
بيانا من تلويحاتهم وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا
الحديث تاويل اخلى وابعد من مطاعن ذوي الاضاليل يستفاد
من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث عن
ابن المسيب وعروة بن الزبير وقال فيه عنهما سحر يهود بنو زريق رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ينكر بصره ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه
من البئر وروى نحوه وذكر عن عطا الخراساني عن يحيى بن يعمر قال حبس رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة سنة فبينا هو نائم اتاه
ملكان فقعد احدهما عند راسه والاخر عند رجليه الحديث
قال عند الرزاق حبس رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عايشة
خاصة سنة حتى انكر بصره فقد استبان لك من مضمون هذه
الروايات ان السحر انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه

واعتقاده

وروى محمد بن سعد عن ابن عباس قال مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم فحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط عليه ملكان وذكر القصة

صح

واعتقاده وعقله وانه انما اثر في بصره وحبسه عن وطي نسائه وطعامه وشرابه
ويكون معنى قوله يخيل اليه انه ياتي اهله ولا ياتيهن اي يظهر
له من نشاطه ومتقدم عادته القدرة على النساء فاذا دنا منهن
اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ واعترض
ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله وهذا اشد ما يكون من السحر
ويكون قول عايشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء
ولم يفعله من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه
راى شخصا من بعض ازواجه وشاهد فعلا من غيره ولم يكن على
ما يخيل اليه لما اصابه في بصره وضعف نظره لا لشيء طرا عليه
في تمييزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر من اصابة السحر له وتاثيره
فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا **فصل** هذه
حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسير ما على اسلوبنا
المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون على شك منه
او ظن بخلاف امور الشرع كما حدثنا ابو بحر سفيان بن العاصي
وغير واحد سماعا وقراءة قالوا ثنا ابو العباس الرازي قال ثنا
ابو احمد بن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي
وعباس العنبري واحمد المقفري قالوا ثنا النضر بن محمد قال
حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا رافع بن خديج قال
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون النخل
فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان
خيرا فتركوه فنفضت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم
بشيء من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رايي فانما انا
بشر وفي رواية انس انتم اعلم باء مر دنياكم وفي حديث اخر انما
ظننت ظنا فلا تواخذوني بالظن وفي حديث ابن عباس في وصية
الخرص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انا بشر فما
حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا بشر
اخطي واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في
امور الدنيا وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده

في شرع شرعه وسنة سنها وكما حكى ابن اسحاق انه عليه السلام
لما نزل ماء في مياه بدر قال له الحباب بن المنذر اهذا منزل
انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الراي والحرب والمكيدة
قال لا بل هو الراي والحرب والمكيدة قال فانه ليس بمنزل انهض
حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه من القلب
فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالراي وفعل ما قاله وقد قال
الله تعالى وشاورهم في الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث
ثمر المدينة فاستشار الانصار فلما اخبروه برايهم رجع عنه
فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التي لا مدخل فيها لعلم ديانة
ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيه ما ذكرنا اذ ليس في هذا
كله نقيصة ولا محطة وانما هي امور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبي عليه السلام مشحون
القلب بمعرفة الربوبية ملآن الجوانح بعلوم الشريعة
مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية ولكن هذا
انما يكون في بعض الامور ويجوز في النادر وفيما سبيله التدقيق
في حراسة الدنيا واستثمارها لا في الكثير الموزن بالبلية والغفلة
وقد تواتر بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا
ودقائق مصالحها وسياسة مرتفقاتها ما هو معجز في البشر
مما قد نبهنا عليه في باب معجزاته من هذا الكتاب **فصل** واما
ما يعتقده في امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياه
ومعرفة المحق من المبطل وعلم المصلح من المفسد فسبيله التنبيل
لقوله عليه السلام انما انا بشر وانكم تختصمون الي ولعل بعضكم
ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو مما اسمع فمن
قضيت له من حق اخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فانما اقطع
له قطعة من النار **حدثنا** الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين
ابن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد
ابن كثير ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة
عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث
وفي رواية الزهري عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من

بعض

بعض فاحسب انه صادق فاقضي له وتجري احكامه عليه السلام
على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة ويمين الحالف
ومراعات الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء ومع مقتضى
حكم الله تعالى في ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده
وخبايا ضمائر امته فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه
دون حاجة الى اعتراف او بينة او يمين او شبهة ولكن لما اتر الله
امته باتباعه والاقتداء به في افعاله واحواله وقضاياه وسيره
وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة سبيل
الى الاقتداء به في شيء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه
لاحد في شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو في تلك القضية
لحكمه هو اذا في ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلعه
عليه من سرائرهم وهذا ما لا تعلمه الامة فاجرى الله احكامه
على ظواهرهم التي يستوي في ذلك هو وغيره من البشر ليتم اقتداء
امته به في تعيين قضاياه وتنزيل احكامه وياء تونه ما اتوا من ذلك
على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول
وارفع لاحتمال اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر
اجلى في البيان واوضح في وجوه الاحكام واكثر فايدة لموجبات
التشاجر والخصام وليقتدي بذلك كله حكام امته ويستوفي
بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطي ذلك عنه من علم
الغيب الذي استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا
الا من ارتضى من رسول فيعلمه منه بما شاء ويستأثر بما شاء
ولا يقدح هذا في نبوته ولا يفصم عروة من عصمته **فصل**
واما اقواله الدنيوية من اخباره عن احواله واحوال غيره
وما يفعله او فعله فقد قدمنا ان الخلف فيها ممتنع عليه في
كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضى
او غضب وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه
الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما المعاريض الموهم
ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية
لا سيما لقصد المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه ليلا يأخذ

العدو وحذره وكما روى من ممازحته وبداعبته لبسطا امته
وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحبيبهم ومسرة
نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة التي سالته
عن زوجها اهو الذي بعينه بياض وهذا كله صدق وقد قال
عليه السلام اني لا امزح ولا اقول الا حقا فما كله فيما بابه الخبر
فاما ما بابه غير الخبر مما صورته صورة الامر والنهي في الامور
الدنيوية فلا يصح ايضا ولا يجوز عليه ان ياء مر احدا بشيء او ينهى
احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان
لنبي ان تكون له خائنة الاعين فكيف ان تكون له خيانة قلب
فان قلت فما معنى اخفاء قوله تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي
انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك الاية فاعلم
اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن
هذا الظاهر وان يامر زيدا بامساكها وهو يحب تطليقه
اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا الباب
ما حكاه اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم
نبيه عليه السلام ان زينب ستكون من ازواجه فلما شكاها
اليه زيد قال امسك عليك زوجك واتق الله واخفى منه في
نفسه ما اعلمه الله به من انه سيزوجها مما الله مبديه
ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها وروى صحة عمرو بن العاص
عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه
ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه
ويصح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا وكان امر الله مفعولا
اي لا بد لك ان تتزوجها ويوضح هذا ان الله لم يبد من امره
معها غير زوجه لها فدل انه الذي اخفاه عليه السلام مما
كان اعلمه به تعالى وقوله تعالى في القصة ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له سنة الله الاية فدل انه لم يكن عليه حرج
في الامر قال الطبري ما كان الله ليوشم نبيه فيما احل له مثال
فعله لمن قبله من الرسل قال الله سنة الله في الذين خلوا
من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي

لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض وقد قال عليه السلام صح

في حديث قتادة من وقوعها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم عند
ما اعجبته ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق
به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحياة الدنيا ولكان هذا
نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الانبياء فكيف
سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة
بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته
وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن
منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق زيد
لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني
وابطال سنته كما قال تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم وقال تعالى لكيلا
يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم ونحوه لابن فورك وقال
ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله
عليه وسلم لزيد بامساكها وهو ان الله اعلم نبيه عليه السلام
انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها اذ لم تكن
بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي
قول الناس يتزوج امراة ابنه فامره الله بزواجها ليباح مثل
ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
وقد قيل كان امره لزيد بامساكها قمعا للشهوة وردا للنفس
عن هواها وهذا اذا جوزنا عليه انه راها فجاءة واستحسنها
ومثل هذا لا نكرة فيه لما جبل عليه ابن ادم من استحسان الحسن
ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وامر زيدا بامساكها
وانما تنكر تلك الزيادات التي في القصة والتعويل والاولى ما
ذكرناه عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن
عطاء وصححه واستحسنه القاضي القشيري وعليه عول ابو بكر
ابن فورك وقال انه معنى ذلك عند المحققين من اهل التفسير
قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق
في ذلك واظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه الله عن ذلك
بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن
ظن ذلك بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد اخطاء قال

وليس معنى الخشية هنا الخوف وانما معناه الاستحياء اى يستحى منهم
ان يقولوا تزوج زوجة ابنه وان خشيته عليه السلام من الناس
كانت من ايجاف المنافقين واليهود وتشنيعهم على المسلمين بقولهم
تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان فعتبه
الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما احله لهم كما عتبه على
مراعات رضى ازواجه فى سورة التحريم بقوله تعالى لم تحرم ما احل
الله لك الاية كذلك قوله تعالى له هاهنا وتخشى الناس
والله احق ان تخشاه وقد روى عن الحسن وعائشة لو كتم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شيئا لكتم هذه الاية لما فيها من عتبه وابداء
ما اخفاه **فصل** فان قلت قد تقررت عصمته عليه السلام
فى اقواله فى جميع احواله وانه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب
فى عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض ولا جد ولا مزح ولا رضى
ولا غضب ولكن ما معنى الحديث فى وصيته عليه السلام الذى
حدثنا به القاضى الشهيد ابو على رحمه الله قال انا القاضى ابو الوليد
قال انا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو الهيثم وابو اسحاق قالوا انا محمد
ابن يوسف ثنا محمد بن اسماعيل قال ثنا على بن عبد الله ثنا عبد الرزاق
ثنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال
لما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى البيت رجال فقال
النبى صلى الله عليه وسلم هلموا اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده
فقال بعضهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلبه الوجع
الحديث وفى رواية ايتونى اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى
ابدا فتنازعوا فقالوا ما له اهجر استفهموه فقال دعونى فالذى
انا فيه خير وفى بعض طرقه ان النبى صلى الله عليه وسلم
يهجر وفى رواية هجر ويروى اهجر وفيه افقال عمر ان النبى
صلى الله عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا
وكثر اللغط فقال قوموا عنى وفى رواية واختلف اهل البيت
واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول الله صلى الله
عليه وسلم كتابا ومنهم من يقول ما قال عمر قال ايئسنا فى هذا الحديث
النبى صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الامراض وما يكون من عوارضها

من شدة

من شدة وجع وغشى ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم ان
يكون منه من القول اثناء ذلك ما يطعن فى معجزته ويؤدى الى فساد
فى شريعته من هذيان او اختلال فى كلام وعلى هذا لا يصح ظاهر
رواية من روى فى الحديث هجرا اذ معناه هذى يقال هجر هجرا اذا هذى
واهجر هجرا اذا افحش واهجر تعدية هجر وانما الاصح والاولى اهجر
على طريق الانكار على من قال لا يكتب وهكذا روايتنا فيه فى صحيح
البخارى من رواية جميع الرواة فى حديث الزهرى المتقدم وفى حديث
محمد ابن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الاصيلى بخطه فى كتابه
وغيره من هذا الطريق وكذا رويناه عن مسلم فى حديث سفيان وعن
غيره وقد يحمل عليه رواية من رواه هجر على حذف الالف الاستفهام
والتقدير اهجر او ان يحمل قول القائل هجر او اهجر دهشة من قائل ذلك
وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله عليه وسلم وشدة
وجعه وهول المقام الذى اختلف فيه عليه والامر الذى هم بالكتاب
فيه حتى لم يضبط هذا القائل لفظه واجرى الهجر مجرى شدة الوجع
لا انه اعتقد انه يجوز عليه الهجر كما حملهم الاشفاق على حراسته
والله يقول والله يعصمك من الناس ونحو هذا واما على رواية اهجر
وهى رواية ابى اسحاق المستملى فى الصحيح فى حديث ابن جبير عن ابن
عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا الى المختلفين عنده
صلى الله عليه وسلم ومخاطبتا لهم من بعضهم اى جئتم باختلاف فكم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا ومنكرا من القول
والهجر بضم الهاء الفحش فى المنطق وقد اختلف العلماء فى معنى هذا
الحديث وكيف اختلفوا بعد امره لهم عليه السلام ان ياتوه بالكتاب
فقال بعضهم اوامر النبى صلى الله عليه وسلم يفهم ايجابها من ندبها
من اباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه السلام لبعضهم
ما فهموا انه لم تكن منه عزمة بل امر رده الى اختيارهم وبعضهم لم يفهم ذلك
فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه اذ لم تكن منه عزمة ولما
راوه من صواب راى عمر ثم هؤلاء قالوا وقد يكون امتناع عمر
اما اشفاقا على النبى صلى الله عليه وسلم من تكليفه فى تلك
الحال املاء الكتاب وان يدخل عليه مشقة من ذلك كما قال

إن النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب
أمورا يعجزون عنها فيحصلون في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق
بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم النظر وطلب الصواب
فيكون المصيب والمخطئ ماجورا وقد علم عمر تقرر الشرع وتأسيس
الملة وأن الله تعالى قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم
بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على
أمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن
في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل
كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه
وسلم لهم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون على ذلك أم يختلفون
فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتدأ
بالأمر به بل اقتضاه منه بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك
غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل في مثل هذه القصة بقول العباس
لعلي رضي الله عنه انطلق بنا إلى رسول الله فإن كان الأمر فينا علمنا
وكراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل بقوله دعوني
فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه من إرسالي الأمر وتركيكم وكتاب الله
وأن تدعوني مما طلبتم ودكان الذي طلب كتابته أمر الخلافة بعده
وتعيين ذلك فصل فإن قيل فما وجه حديث هما يضا الذي حدثناه
الفقيه أبو محمد الحشني بقراءتي عليه ثنا أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر
الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي قال ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم
بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن سالم مولى
النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر وإني قد
اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو
جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها إليك يوم القيمة وفي
رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة في رواية ليس لها بأهل وفي
رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له
زكاة وصلاة ورحمة وكيف يصح أن يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا

يستحق

يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد
أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو المعصوم من هذا كله فاعلم شرح
الله صدرك أن قوله أولا ليس لها بأهل أي عندك يا رب في باطن
أمره فإن حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال وللحكمة التي ذكرنا
ما حكم عليه السلام بجلده أو أدبه بسببه أو لعنه بما اقتضاه عنده
حال ظاهره ثم دعا له عليه السلام لشفقته على أمته ورأفته ورحمته
للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره أن يتقبل فيمن دعا عليه دعوته
أن يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها بأهل لا أنه
عليه السلام يحله الغضب ويستفزه الضجر لأن يفعل مثل هذا بمن
لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما
يغضب البشر أن الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز أن يكون المراد
بهذا أن الغضب لله حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان
يحتمل ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه أو العفو
عنه وقد يحمل على أنه خرج مخرج الإشفاق وتعليم أمته الخوف و
الحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعوته
على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل بما جرت به عادة
العرب وليس المراد بها الإجابة كقوله عليه السلام تربت يمينك
ولا أشبع الله بطنك وعقرى حلقى وغيرها من دعواته وقد ورد في
صفته في غير حديث أنه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال أنس
لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا وكان يقول لأحدنا عند
المعتبة ما له ترب جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم
أشفق عليه السلام من موافقة أمثالها إجابة فعاهد ربه كما قال في الحديث
أن يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك إشفاقا على
المدعو عليه وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر
من لعن النبي عليه السلام وتثقيل دعائه ما يحله على اليأس والقنوط
وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه
صحيح أن يجعل ذلك له كفارة لما أصاب وتنبيه لما اجترم وأن يكون
عقوبة له في الدنيا سبب العفو والغفران كما جاء في الحديث الآخر
ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة فإن قلت

فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصمه
مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير حتى يبلغ الكعبين فقال له
الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يبلغ الجدر
الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع
بنفس مسلم منه في هذه القضية امر ريب ولكنه صلى الله عليه
وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط
والصلح فلما لم يرض بذلك الا خروج وقال ما لا يجب استوفى
النبي صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه ولهذا ترجمه
البخاري على هذا الحديث باب اذا اشار الامام بالصلح فابى
حكم عليه بالحكم وذكر في اخر الحديث فاستوعى رسول الله
صلى الله عليه وسلم حينئذ للزبير حقه وقد جعل المسلمون هذا
الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم
في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي
القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضى سواء
لكونه صلى الله عليه وسلم فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله
عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث
الصحيح وكذلك الحديث في قادرته عكاشة من نفسه لم يكن
لتعمد حمله الغضب عليه فلا ادري اعمدا اراد ذلك ضرب الناقة فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اعيذك يا عكاشة ان يتعمدك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك في حديثه الاخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت
عنك وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه
بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله عليه وسلم ينهاه
ويقول له تدرك حاجتك وهو يابى فضربه بعد ثلاث مرات
وهذا منه عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع
ادب ولكنه عليه السلام اشفق اذ كان حق نفسه من الامر
حتى عفا عنه واما حديث سواد بن عمرو اتى النبي صلى الله
عليه وسلم وانا مستخلف فقال ورس ورس حظ حظ وغشيني

بقضيب

بالقضيب في يده في بطني فاوجعني فقلت القصاص يا رسول الله
فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام لمنكر رآه به ولعله
لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايحاء لم يقصده
طلب التحلل منه على ما قدمناه **فصل** واما افعاله عليه السلام
الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه
ومن جواز السهو والغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح
في النبوة بل ان هذا فيها على الندور واراد عامة افعاله على السداد
والصواب بل اكثرها او كلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذا كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا ضرورته
وما يقيم رمق جسمه وهو مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم
شريعته ويسوس امته وما كان فيما بينه وبين الناس من ذلك
فبيع معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله او يسمعه
او تالف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق
بصالح اعماله منتظم في ذاكي وظايف عباداته وقد كان يخالف في
افعاله الدنيوية بحسب اختلاف الاحوال ويعد للامور اشباهها
فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة وقد يركب
البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها
ليوم الفزع واجابة الصارخ وكذلك في لباسه وسائر احواله
بحسب اعتبار مصالحه ومصالح امته وكذلك يفعل
الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية
بخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد
يرى فعله خيرا منه وقد يفعل ضدا في الامور الدنيوية فيما له الخيرة
في احد وجهيه كخروجه من المدينة لاحد وكان مذهبه التحصن
بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم موالفة لغيرهم
ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس
ان محمدا يقتل اصحابه كما جاء في الحديث وتركه بناء الكعبة
على قواعد ابراهيم عليه السلام مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم
لتغيرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك وبحريك متقدم
عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح

لولا حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل
الفعل ثم يتركه لكون غيره خيرا منه كما ينقل الماء من ادنى
مياه بدر الى اقربها للعدو ومن قريش وكقوله عليه السلام لو
استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط
وجهه للكافر والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول
ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره ويبذل له الرغائب
ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله ما يتولى
الخادم في مهنته ويتمت في ملاءته حتى لا يبدو منه شيء
من اطرافه حتى كان على رؤس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه
بحديث اولهم ويتعجب مما يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون
منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه الغضب ولا
يقصر عن الحق ولا يبطن على جلسائه يقول ما كان لنبي ان تكون
له خائنة الاعين فان قلت فما معنى قوله عليه السلام لعائشة
في الداخل عليه بئس ابن العشيرة فلما دخل الان له القول وضحك
معه فلما سألته عن ذلك قال ان من شر الناس من اتقاه الناس
لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره
ما قال فالجواب ان فعله عليه السلام كان استيلافا لمثله
وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في الاسلام بسببه
اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا
على هذا الوجه قد خرج من حد مداراة الدنيا الى السياسة
الدينية وقد كان يستالفهم باموال الله العريضة فكيف
بالكلمة اللينة قال صفوان لقد اعطاني وهو ابغض الخلق
الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله
فيه بئس ابن العشيرة هو غير غيبته بل هو تعريف ما علمه
منه لمن لم يعلمه ليحذر حاله ويحترز منه ولا يوثق بجانبه
كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل هذا اذا كان
لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الاحيان كما ذب المحدثين في تجريح الرواة والمزكين
في الشهود فان قيل فما معنى المعضل الوارد في حديث

خرج صح

بريرة

بريرة من قوله عليه السلام لعائشة وقد اخبرته ان موالي بريرة
ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه السلام اشتريها
واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال اقوام
يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله
فهو باطل والنبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه
باعوا ولولاه والله اعلم لما باعوها من عائشة كما لم يبيعوها قبل
حتى شرطوا ذلك عليها ثم ابطله عليه السلام وهو قد حرم
الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه النبي عن ذلك ما قد
انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي لهم الولاء اذ ليست في اكثر
طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع لهم بمعنى
عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم
فلها فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي
صلى الله عليه وسلم ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء
لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان ان قوله عليه السلام اشترطي لهم
الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية والاعلام بان
شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم قبل
ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي او لا تشترطي فانه شرط
غير نافع والى هذا ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى
الله عليه وسلم لهم وتقريعهم على ذلك يدل على علمهم به قبل هذا
الوجه الثالث ان معنى قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء
اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو لمن
اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك
ومريحا على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل
يوسف باخيه عليه السلام اذ جعل السقاية في رحله واخذه
باسم سرقتها وما جرى على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون
ولم يسرقوا فاعلم اكرمك الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف
كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ
اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله الاية فاذا كان ذلك

فلا اعتراض به كان فيه ما فيه وايضا فان يوسف عليه السلام
كان اعلم اخاه بانى انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه
بعد هذا من وقفه ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به واذاعة
السوء والمضرة عنه بذلك واما قوله تعالى ايتها العير انكم
لسارقون فليس من قول يوسف فيلزم عليه جواب لحل شبهة
ولعل قائله ان حسن له التاويل كاينا من كان ظن على صورة
الحال ذلك وقد قيل له ذلك لفعلهم قبل بيوسف وبيعهم
له وقيل غير هذا ولا يلزم ان يقول الانبياء ما لم يأت انهم
قالوه حتى يطلب الخلاص منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات
غيرهم **فصل** فان قيل فما الحكمة فى اجراء الامراض
وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء عليهم السلام وما الوجه
فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب وداينال ويحيى وزكريا وعيسى وابراهيم ويوسف
وغيرهم صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه
واصفياؤه فاعلم وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى
كلها عدل وكلماته جميعها صدق لا مبدل لكلماته يبتلى عباده
كما قال لهم لننظر كيف تعملون وليبلوكم انكم احسن عملا ولما يعلم
الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ونعلم المجاهدين
منكم ونعلم الصابرين ونبلوا اخباركم فامتحانه تعالى اياهم بضروب
المحن زيادة فى مكانتهم ورفعة فى درجاتهم واسباب لانتزاع
حالات الصبر والرضى والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيد لبصائرهم فى رحمة الممتحنين
والشفقة على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم
ليتاسوا فى البلايا ويتسكنوا فى المحن بما جرى عليهم ويقتدوا
بهم فى الصبر ومحو السيئات فرطت منهم او غفلات سلفت
لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون اجرهم اكمل
وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضى ابو على الحافظ
نا ابو الحسين الضبى وابو الفضل بن خيرون قالا نا ابو على
البغدادى قال نا ابو على السنجى محمد بن محبوب نا ابو عيسى

وليعلم الله الذين امنوا صح
وليبلوكم حتى صح

الترمذى

الترمذى نا قتيبة نا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب
ابن سعيد عن ابيه قال قلت يا رسول الله اى الناس اشد بلاء قال
الانبياء ثم الامثل فالامثل فيبتلى الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الارض ما عليه خطيئة وكما قال الله
تعالى وكاين من نبى قوتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن
ابى هريرة ما يزال البلاء بالمؤمن فى نفسه وولده وماله حتى يلقى الله
الله تعالى وما عليه خطيئة وعن انس عنه عليه السلام اذا اراد
الله بعبد الخير عجل له العقوبة فى الدنيا واذا اراد الله بعبد الشر
امسك عنه بذنبه حتى يوافى به يوم القيمة وفى حديث اخر اذا احب
الله عبدا ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندى ان كل من كان
اكرم على الله تعالى كان بلاؤه اشد حتى يتبين فضله ويستوجب
الثواب كما روى عن لقمان انه قال يا بنى الذهب والفضة
يختبران بالنار والمؤمن يختبر بالبلاء وقد حكى ان ابتلاء يعقوب بيوسف
كان سببه التفاته الى يوسف وايثاره محبته له وقيل بل اجتمع
يوما هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوى وهما يضحكان وكان
لهما جار يتيم فشم ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدة له عجوز
لبكائه وبينهما جدار ولا علم عند يعقوب وابنه فعوقب يعقوب
بالبكاء اسفا على يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه
من الحزن فلما علم بذلك كان بقية حياته يامر مناديا ينادى
على سطحه الا من كان مفطرا فليتغد عند ال يعقوب وعوقب يوسف
بالمحنة التى نص الله عليها وروى عن الليث ان سبب بلاء ايوب
انه دخل مع اهل قريته على ملكهم فكلموه فى ظلمه واغلظوا له
الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه فعاقبه الله ببلائه ومحنة
سليمان لما ذكرناه من نيته فى كون الحق فى جنبة اصهاره والعمل
بالمعصية فى داره ولا علم عنده وهذه فايدة شدة الوجع بالنبى
صلى الله عليه وسلم قالت عايشة ما رايت الوجع على احد اشد
منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبد الله رايت النبى
صلى الله عليه وسلم فى مرضه يوعك وعكا شديدا فقلت انك
لتوعك وعكا شديدا قال اجل انى اوعك كما يوعك رجلان

المرض و

منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك وفي حديث
ابي سعيد ان رجلا وضع يده على البنى صلى الله عليه وسلم فقال
والله ما اطيق ان اضع يدي عليك من شدة حماك فقال البنى صلى
الله عليه وسلم انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان البنى
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان كان البنى ليبتلى بالفقر وان
كانوا ليفرحون بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس عنه صلى
الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم البلاء وان الله اذا احب
قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضى ومن سخط فله السخط وقد قال
المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به ان المسلم يجزى بمصايب
الدنيا فتكون له كفارة وروى هذا عن عائشة وابي ومجاهد
وقال ابو هريرة عنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يصب
منه وقال في رواية عائشة ما من مصيبة يصيب المسلم الا يكفر
الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها وقال في رواية ابي سعيد
ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى
ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وفي
حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه
خطاياه كما تحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض
لاجسامهم وتعاقب الاوجاع عليها وشدتها عند تمام نهوضها
لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها عند قبضها وتخف
عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض وضعف
الجسم والنفس كذلك خلاف موت الفجاءة واخذه كما يشاهد
من اختلاف احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة
وقد قال عليه السلام مثل المؤمن مثل خامة الزرع تميلها
الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابي هريرة من حيث اتتها الريح
تكفاها وهكذا اذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفا بالبلاء
ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله معنا
ان المؤمن مرتاض مصاب بالبلاء والامراض راض بتصريف
بين اقدار الله منطاع لذلك لين الجانب برضاه وقلة تسخطه
كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها لهبوبها

مثل

وترنحها

وترنحها من حيث ما اتتها فاذا اراح الله عن المؤمن رياح البلايا
واعتدل صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو
رجع الى شكر ربه ومعرفة نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته
وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب عليه مرض الموت ولا نزوله
ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لمعاودته بما تقدمه من الالام ومعرفة
ماله فيها من الاجر وتوطين نفسه على المصايب ورقتها وضعفها بتوالي
المرض وشدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله ممتع بصحة جسمه
كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لجنبه على غرة واخذه
بغتة من غير لطف ولا رفق فكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة
نزعه مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد
كانحطاف الارزة وكما قال تعالى فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون وكذلك
عادة الله في اعدائه كما قال فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا
ومنهم من اخذته الصيحة الاية فجاء جميعهم بالموت على حال غفلة
وغفلة وصبحهم به على غير استعداد بغتة ولهذا ما كره السلف موت
الفجاءة ومنه في حديث ابراهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف
اي الغضب يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان الامراض نذير
الممات وبقدر شدتها الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم بتعاهد ماله للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة
الانكاد ويكون قلبه معلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى
تباعته من قبل الله تعالى وقبل العباد ويؤدي الحقوق الى اهلها
وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه او امر يعهده وهذا
نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم من ذنبه وما
تاخر قد طلب التنصل في مرضه ممن كان له عليه مال او
حق في بدنه واقاد من نفسه وماله وامكن من القصاص منه على
ما ورد في حديث الفضل وحديث الوفاة واوصى بالثقلين بعده
كتاب الله وعترته وبالانصار غيبته ودعا الى كتب كتاب لئلا
تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم بمراده ثم راى
الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لامتلاء

الله لهم ليزدادوا اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى
ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية ولا الى اهلهم يرجعون ولذلك قال عليه السلام في رجل
مات فجاءة سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصيته
وقال موت الفجاءة راحة المؤمن واخذة اسف للكافر والفاجر
وذلك لان الموت ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله
فهان امره عليه كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها
كما قال عليه السلام مستريح ومستراح منه وتاتي الكافر والفاجر
منيته على غير استعداد ولا اهبة ولا مقدمات منذرة من عجة
بل تاتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون
فكان الموت اشد شيء عليه وفراق الدنيا افظع امر صدمه
واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام بقوله من احب
لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه

القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام فيمن تنقصه او سبه
عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه قد تقدم من
الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي صلى الله
عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب
هذا حرم الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل متنقصه
من المسلمين وسابه قال الله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله
لعنهم الله في الدنيا والاخرة واعد لهم عذابا مهينا وقال تعالى
والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى وما كان
لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما وقال تعالى في تخريم
التعريض له يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد
اي ارعنا سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون
الرعونة فنهى الله المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة
ينهى المؤمنين عنها لئلا يتوصل بها الكافر والمنافق الى سبه
والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من مشاركة اللفظ لانها عند

اليهود

اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل بل لما فيها من قلة الادب و
عدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار
بمعنى ارعنا نرعك فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته
لهم وهو عليه السلام واجب الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام
قد نهى عن التكني بكنيته فقال سموا باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة
لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم استجاب لرجل
ناداه يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن
التكني بكنيته لئلا يناء ذي باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه
ويجد بذلك المنافقون والمستهزؤن ذريعة الى اذاه والازراء به
فيناديه فاذا التفت قالوا انما اردنا هذا السواه تعنيتا له واستخفافا
بحقه على عادة الجهال والمستهزئين فحمى عليه السلام وحمى اذاه
بكل وجه فحمل محققو العلماء نهيه عن هذا على مدة حياته واجازه
بعد وفاته لارتفاع العلة والناس في هذا الحديث مذاهب ليس
هذا موضعها والذي ذكرناه هو مذهب الجمهور والصواب ان شاء
الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره وعلى سبيل الندب
والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد كان
الله منع من ندائه به بقوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء
بعضكم بعضا وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ونبي الله وقد يدعونه
بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روي انس عنه
عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك
اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر
كتب الى اهل الكوفة لا يسمى احد باسم النبي عليه السلام حكاه
ابو جعفر الطبري وحكى محمد بن سعيد انه نظر الى رجل اسمه محمد ورجل
يسبه ويقول له فعل الله بك يا محمد وضع وقال عمر رضي الله عنه لابن
اخيه محمد بن زيد بن الخطاب لا ارى محمدا عليه السلام يسب بك والله
لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن واراد ان يمنع لهذا ان يسمى
احد باسماء الانبياء اكراما لهم بذلك وغيرا سماءهم وقال لا تسموا باسماء
الانبياء ثم امسك والصواب جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل
اطباق الصحابة على ذلك وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي

القاسم وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في ذلك لعلي رضي
الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي وكنيته وقد
سمي به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد ابن عمر بن حزم ومحمد بن
ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان
وثلاثة وقد فصلت الكلام في هذا القسم على بابين كما قدمناه الباب
الاول في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض
او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او غابه والحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة
من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء
عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو سابه له والحكم
فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا
الباب على هذا المقصد ولا نميز فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك
من لعنه او دعى عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه
على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر
منكر من القول وزورا او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة
عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه
وهذا كله اجماع من العلماء وايمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان
الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر ابن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان
من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن
انس والليث واحمد واسحاق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو
الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا تقبل توبته
عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة
والاوزاعي في المسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن
مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه
فيمن تنقصه صلى الله عليه وسلم او برى منه او كذبه وقال سحنون
فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته
وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء
الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار و
سلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه

بعض

بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير
المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان
شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه
بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه فقد كفر
واحتج ابراهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد
مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو
سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا
كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط
والعتبية وحكاه ابن مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي
صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في
العتبية او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة
القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان
ابن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا
ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي مصعب
وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي
كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم
او غمز من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل
على كل حال اسر ذلك او اظهره ولا يستتاب لان توبته لا تعرف
وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه وسلم من مسلم او
كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى
ابن وهب عن مالك من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم وبروى زر
النبي صلى الله عليه وسلم وسخ اراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع
العلماء على ان من دعا على نبي من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه
يقتل بلا استتابة وافتى ابو الحسن القابسي فيمن قال في النبي عليه السلام
يتيم ابي طالب بالقتل وافتى ابو محمد بن ابي زيد بقتل
رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل
قبيح الوجه واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي في صفة هذا
المار في خلقه ولحيته قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس

يخرج من قلب سليم الايمان وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل وقال في رجل
قيل له لا وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فعل الله برسول
الله كذا وكذا كلاما قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اسد
من كلامه الاول ثم قال انما اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي
سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا شريكك يريد في قتله وثواب
ذلك وقال حبيب بن الربيع لان ادعاءه التأويل في لفظ صراح لا
يقبل لانه استهانة وهو غير معتقد لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا موقر له فوجب اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب
في عتار قال لرجل اذ واشك الى النبي عليه السلام وقال ان
سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى فقهاء
الاندلس بقتل بن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد
عليه به من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته
اياه اثناء مناظرته باليتيم وختن خديجة وزعمه ان زهده
لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات اكلها الى اشباه لهذا وافتى
فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل ابراهيم الفزاري
وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر
مجلس القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت
عليه امور منكرة من هذا الباب في الاستهزاء بالله وآياته
ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي يحيى بن عمر وغيره
من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين وصلب
منكسا ثم انزل واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه
لما رفعت خشبته وزالت عنها الايدي استدارت وحولته
عن القبلة فكان اية للجميع وكبر الناس فجاء كلب فولغ في
دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا عنه عليه السلام انه قال لا يلغ الكلب في دم
مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن المرابط من قال النبي صلى الله
عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا قتل لانه تنقص اذ لا يجوز
ذلك عليه صلى الله عليه وسلم في خاصة نفسه اذ هو على بصيرة

وذكر

من امره

من امره ويقين من عصمته وقال حبيب بن الربيع القروي
مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام ما فيه تنقص
قتل دون استتابة وقال ابن عتاب نص الكتاب والسنة موجبان ان
من قصد النبي صلى الله عليه وسلم بأذاء او نقص معرضا او مصرحا
وان قل فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا و
تنقصا يجب قتل قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا
متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله على ما اشرنا اليه و
نبينه بعد ان شاء الله وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره
برعاية الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح
او هزيمة لبعض جيوشه او اذى من عدوه او شدة من زمنه
او بالميل الى نسائه فحكم هذا كله لمن قصد به نقصه القتل وقد
مضى من مذاهب العلماء في ذلك ويأتي ما يدل عليه فصل
والحجة في ايجاب قتل من سبه او عابه عليه السلام من القرآن
لعنه الله تعالى لموذيه في الدنيا والآخرة وقرانه تعالى اذاه باذاه
ولا خلاف في قتل من سب الله تعالى وان اللعن انما يستوجبه
من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال الله تعالى ان الذين يؤذون
الله ورسوله الآية وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في
الدنيا القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا
تقتيلا وقال في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في
الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن قال الله تعالى قتل الخراصون
وقاتلهم الله اي لعنهم الله ولانه فرق بين اذاهما واذى المؤمنين
وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال فكان
حكم مؤذي الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى
فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب
اسم الايمان عن من وجد في صدره حرجا من قضائه ولم يسلم
له ومن تنقصه فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين
آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر
يقتل وقد قال تعالى واذا جاؤوك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال

حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين
يؤذون النبي ويقولون هو اذن ثم قال تعالى والذين يؤذون
رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى ولئن ساءلتهم ليقولن انما
كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم قال اهل
التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما
الاجماع فقد ذكرناه واما الاثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله
احمد بن محمد بن غلبون عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال نبا
ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن حيويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد
العزيز بن محمد الحسين ابن زبالة ثنا عبد الله بن موسى بن جعفر عن
علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي بن الحسين عن ابيه
عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث
الصحيح امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل كعب بن الاشرف وقوله
عليه السلام من لكعب بن الاشرف فانه يؤذي الله ورسوله
ووجه اليه من قتل غيلة دون دعوة بخلاف غيره من
المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى
وكذلك قتل ابا رافع قال البراء وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك امره عليه السلام يوم الفتح بقتل ابن خطل و
جاريتيه اللتين كانتا تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر
ان رجلا كان يسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي فقال
خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك لم يقل جماعة
ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من
بادر باسلامه قبل القدرة عليه وقد روى البزار عن ابن عباس ان
عقبة بن ابي معيط نادى يا معشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم بكفرك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه
وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله عليه وسلم سبه رجل
فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله
الزبير وروى ايضا ان امراة كانت تسبه عليه السلام

فقال

فقال من يكفيني عدوتي فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى
ان رجلا كذب على النبي صلى الله عليه وسلم فبعث عليا والزبير اليه
ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته
فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي امية
امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امراة هناك في الردة غنت
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر
ذلك فقال له لولا ما فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء
ليس يشبه بالحدود وعن ابن عباس لحقت امراة من خطمة النبي
صلى الله عليه وسلم فقال من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول
الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال
لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام ولد تسب
النبي صلى الله عليه وسلم فينزجرها فلا تنزجر فلما كانت ذات
ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها
واعلم النبي بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي
كنت يوما جالسا عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على
رجل من المسلمين وحكى القاضي اسماعيل وغير واحد من الايمة
في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه النسائي ايت ابا بكر
وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت يا خليفة رسول الله دعني اضرب
عنقه فقال اجلس فليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف عليه احد
فاستدل الايمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله
عليه وسلم بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب
عمر بن عبد العزيز الى عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل
سب عمر رضي الله عنه فكتب عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم
بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فمن سبه فقد حل دمه وسال الرشيد مالكا في رجل شتم
النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه
بجلده فغضب مالك وقال يا امير المومنين ما بقاء الامة

بعد بينتها من شتم الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
جلد قال القاضي ابو الفضل كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد
من اصحاب مناقب مالك ومؤلفي اخباره وغيرهم ولا ادري
من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا الرشيد بما ذكر وقد
ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم يشتهر بعلم
او من لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قاله يحمل
على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب ام غير سب او يكون
رجع وتاب عن سبه فلم ينقله لمالك على اصله والا فالاجماع
على قتل من سبه كما ذكرناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار
ان من سبه او تنقصه عليه السلام فقد ظهرت علامة مرض
قلبه وبرهان سوء طويته وكفره ولهذا ما حكم له كثير من العلماء
بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول الثوري
وابي حنيفة والكوفيين والقول الاخر انه دليل على الكفر فيقتل
حتما وان لم يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير
منكر له ولا مقلع عنه فهذا كافر وقوله اما صريح كفره كالتكذيب
ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فاعتراف بها وترك توبته
عنها دليل على استحلاله ذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر بلا خلاف
قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر
وكفروا بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما
يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير وقيل قول بعضهم ما مثلنا
ومثل محمد الا كما قال القائل سمن كلبك يأكلك ولئن رجعنا
الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل هذا
ان كان مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه
وقد قال عليه السلام من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم
النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على امته وسائر
الحر من امته بحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام
القتل لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره **فصل**
فان قلت فلم لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي
قال له السام عليكم وهذا دعاء عليه ولا قتل الاخر الذي قال

له

له ان هذه لقسمة ما اريد بها وجه الله وقد تاذى النبي صلى الله
عليه وسلم من ذلك وقال قد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
ولا قتل المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا
الله واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يتألف
عليه الناس ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان وتثبيته
في قلوبهم وبدايهم ويقول لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم
تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا وسكنوا ولا تنفروا
ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه وكان صلى الله
عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويحمل محبتهم ويعفي
عنهم ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفاهم ما لا يجوز لنا اليوم
الصبر لهم عليه وكان يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره
الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم
فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال ادفع بالتي هي
احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم وذلك
لحاجة الناس لتألف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كعقبة
بن خطل ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة
من يهود وغيرهم او غلبة ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط
في جملة مظهري الايمان به ممن كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر
وعقبة وكذلك ندر صلى الله عليه وسلم دم جماعة سواهم
كعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن اذاه حتى القوا بايديهم
ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه السلام
على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم
خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت اليهم وينكرونها
ويحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكان مع هذا يطلع
في فيهم ورجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام
على هنا يقهم وجفوتهم كما صبر اولو العزم من الرسل حتى
فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا كما اظهر جهرا
ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان وحماة

وانصار كما جاءت به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم
الله عن هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام
من اقوالهم ما رفع وانما نقله الواحد ومن لم يقبل شهادة
في هذا الباب من صبي او عبد او امراة والدماء لا تستباح الا
بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في السلام وانهم لووا به
السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه عايشة ولو كان
صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولحدا بنه النبي صلى الله عليه وسلم
اصحابه على فعلهم او على قلة صدقهم في اسلامهم وخيانتهم
في ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم
احدهم فانما يقول السام عليكم فقولوا وعليكم وكذلك
قال بعض اصحابنا البغداديين ان النبي صلى الله عليه وسلم لم
يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يات انه قامت بينة على نفاقهم
فلذلك تركهم صلى الله عليه وسلم وايضا فان الامر كان
سرا وباطنا وظاهرهم الاسلام والايمان وان كانوا من اهل الذمة
بالعهد والجوار والناس قريب عهدهم بالاسلام ~~والجاهلية~~
~~فكانوا من اهل الذمة~~ لم يتميز بعد الخبيث من الطيب وقد
شاع عن المذكورين في العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين
وصحابة سيد المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو
قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم وما يبدر منهم
وعلم بما اسروا في انفسهم لوجدوا المنفر ما يقول ولارتاب الشارد
وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول والاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو
الظالم ان القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الثرة وقد
رايت معنى ما حررته منسوبا الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا
قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف اجراء الاحكام
الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبهه لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون
نفاقهم لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي

رضي الله عنها
مع

ابو الحسن

ابو الحسن بن القصار وقال قتادة في تفسير قوله تعالى
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا
ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية قال
معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن مسلمة في المبسوط عن زيد
بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ
عليهم منسخ ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه
وسلم منه الطعن عليه والتهمة له وانما راه من وجه الغلط في
الراي وامور الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا و
راعاه من الاذى الذي له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه
وكذلك يقال في اليهود اذا قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب
ولا دعاء الا بما لا بد منه من الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر
وقيل بل المراد يسامون دينكم والسام والسآمة الملال وهذا
دعاء على سآمة الدين ليس بصريح سب ولهذا ترجم البخاري
على هذا الحديث باب اذا عرض الذمي وغيره بسب النبي صلى الله
عليه وسلم قال بعض علمائنا وليس هذا بتعريض بالسب وانما
هو تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان
الاذى والسب في حقه عليه السلام سواء وقال القاضي ابو
محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض ما تقدم ثم قال ولم يذكر
في هذا الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة
او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك
كله والاظهر من هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة
على الدين لعلهم يؤمنون ولذلك ترجم البخاري على حديث
القسمة والخوارج باب من ترك قتال الخوارج للتالف ولئلا
ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل
وقد صبر هم عليه السلام على سحره وسمه وهو اعظم من
سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في قتل من حيته منهم و
انزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على من

لهم

شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم
وايدى المؤمنين وكاشفهم بالسبت فقال يا اخوة القردة والخنازير
وحكم فيهم سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم وارضهم وديارهم
واموالهم لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السفلى
فان قلت فقد جاء فى الحديث الصحيح عن عايشة انه عليه الصلوة والسلام
ما انتقم لنفسه فى شئ يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
فاعلم ان هذا لا يقتضى انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه
من حرمات الله التى انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم له فيما يتعلق بسوء
ادب او معاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد
فاعله اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل وجبل عليه
البشر من الغفلة كجذب الاعرابى بازاره حتى اثر فى عنقه وكرفع صوت
الاخر عنده وكجحد الاعرابى شراء ميته فرسه التى شهد فيها خزيمة وكما
كان من تظاهر زوجيه عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه
او يكون هذا مما اذاه به كافر وجا بعد ذلك اسلامه كعفوه عن
اليهودى الذى سحره وعن الاعرابى الذى اراد قتله وعن اليهودية
التى سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما بلغه من اذى اهل الكتاب والمنافقين
فصفح عنهم رجا استيلافهم واستيلاف غيرهم بهم كما قررناه قبل وبالله
التوفيق **فصل** تقدم الكلام فى قتل القاصد لسبه والازراء به وغضه
باى وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين لا اشكال فيه الوجه
الثانى لاحق به فى البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال فى جهته عليه
السلام غير قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم فى جهته عليه
السلام بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا
يجوز عليه او نفى ما يجب له مما هو فى حقه عليه السلام نقيصة
مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة فى تبليغ
الرسالة او فى حكم بين الناس او يغض من مرتبته او شرف
نسبه او وفور علمه او زهده او يكذب بما اشتهر من امور
اخبر بها عليه السلام وتواتر الخبر بها عنه
عن قصد لرد خبره او يأتى بسفه من القول
وقبيح من الكلام ونوع من السب فى جهته وان ظهر

بدليل

بدليل حاله انه لم يعتمد ذمه ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته
على ما قاله او لغضب او سكر اضطره اليه او قلة مراقبة وضبط
للسانه وتحفظ وتثبت فى كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول
القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد فى الكفر بالجهالة ولا بدعوى
زلل اللسان ولا بشئ مما ذكرناه اذا كان عقله فى فطرته سليما
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون
على بن حاتم فى فقيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
الذى قد مناه وقد قال محمد بن سحنون فى المأسور بسب النبى
صلى الله عليه وسلم فى ايدى العدو يقتل الا ان يعلم تنصره
او اكراهه وعن ابى محمد بن ابى زيد لا يعذر بدعوى زلل
اللسان فى مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسى فيمن شتم النبى
صلى الله عليه وسلم فى سكره يقتل لانه يظن به انه يعتقد هذا
ويفعله فى صحوه وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف
والقتل وسائر الحدود ولانه ادخله على نفسه لان من شرب الخمر
على علم من زوال عقله بها واتيان ما يسكر منه فهو كالعامد
لما يكون من سببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبى صلى الله
عليه وسلم وهل انتم الا عبيد لابى قال فعرف النبى صلى الله عليه وسلم
انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم يكن فى
جنايته اثم وكان حكم ما يحدث عنها معفوا كما يحدث من النوم
وشرب الدواء المأمون **فصل** الوجه الثالث ان يقصد
الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفى بذلك نبوته او رسالته او جحوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين اخر غير ملته ام لا فهذا
كافر باجماع يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك
كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوى الخلاف باستتابته وعلى
القول الاخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق النبى صلى الله
عليه وسلم ان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب
او غيره وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا يسقط
قتله التوبة عندنا كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه

من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم ترسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء فقوله يقتل قال ومن كفر
برسول الله صلى الله عليه وسلم وانكره من المسلمين فهو
بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه فهو كالمرتد
يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله
سحنون وقال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ
وهو كالمرتد لانه كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال
اشهب في اليهودي تنبأ او زعم انه ارسل الى الناس او قال
بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا بذلك فان تاب
والا قتل وذلك لانه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
عليه السلام لا نبي بعدي مفتر على الله تعالى في دعواه عليه
السلام الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون من شك
في حرف مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه
عند الائمة القتل وقال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون
من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود قتل لم يكن عليه
السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه مات
قبل ان يكمل او انه كان بتهامة وما هرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا
نفي قال حبيب بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر والمظهر
له كافر وفيه الاستتابة والمسر له زنديق يقتل دون استتابة
ان شاء الله **فصل** الوجه الرابع ان يأتي من الكلام بمحتمل
ويلفظ من القول بمشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او مقره فهاهنا
متردد النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين
ووقفة استبراء المقلدين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى
من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة النبي صلى الله عليه وسلم
وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم ودرأ
الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل

اغضبه

صلى الله عليه وسلم

اغضبه غريمه فقال له صلى على النبي محمد فقال له الطالب لا صلى
الله على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله
عليه وسلم او شتم الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على
ما وصفت من الغضب لانه لم يكن مضمرا للشتم وقال ابو اسحاق
البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس وهذا نحو
قول سحنون لانه لم يعذره في الغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم
ولكنه لما احتمل الكلام عنده ولم تكن معه قرينة تدل على شتم
النبي صلى الله عليه وسلم او شتم الملائكة صلوات الله عليهم ولا
مقدمة تحمل عليها كلامه بل القرينة تدل على ان مراده الناس
غيرها ولاجل قول الآخر له صل على النبي صلى الله عليه وسلم فحمل
قوله وسبه لمن يصلي عليه الان لاجل امر آخر له بهذا عند
غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب
الحرث بن مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف
ابو الحسن القابسي في قتل رجال كل صاحب فندق قرفان
ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده بالقيود والتضييق عليه حتى
يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد
اصحاب الفنادق الان معلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون
امره اخف قال ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق
من المتقدمين والمتأخرين وقد كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل
من اكتسب المال قال ودم المسلم لا يقدم عليه الا بامر بين وما
ترد اليه التأويلات لا بد من امعان النظر فيه هذا معنى كلامه
وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد رحمه الله فيمن قال لعن الله العرب
ولعن الله بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد
الانبياء وانما اردت الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد
السلطان وكذلك افتى فيمن قال لعن الله من حرم المسكر
وقال لو اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع حاضر لباد
ولعن من جاء به انه ان كان يعذر بالجهل وعدم معرفته بالسنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد مظاهرة حاله
سب الله ولا سب النبي عليه السلام وانما لعن من حرمه

SÜLEYMANİYE G. KÜTÜPHANESİ
Kısmı . Tekkeler - Murad
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No. 74
Tasnif No.

من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في المسئلة المتقدمة
ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلبة وشبهه من هجر القول
ولا شك انه يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة
من الانبياء ولعل بعض هذا العدد منقطع الى ادم عليه السلام
فينبغي الزجر عنه وتبيين ما جهل قائله منه وشدة الادب
فيه ولو علم انه قصد سب من في آبائه من الانبياء على علم لقتل
وقد يضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن الله بني
هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي
صلى الله عليه وسلم قولا قبيحا في آبائه او من نسله او ولده
على علم منه انه من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن قرينة
في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض آبائه واخراج النبي صلى الله
عليه وسلم ممن سبه منهم ولقد رأيت لابي موسى بن مناس
فيمن قال لرجل لعنك الله الى آدم ~~[illegible]~~ ثبت على ذلك عليه قتل
وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال لشاهد شهد عليه
بشيء ثم قال كذبتني فقال له الآخر الانبياء يشتمون فكيف انت
فكان شيخنا ابو اسحاق بن جعفر يرى قتله لبشاعة ظاهر
اللفظ وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل
لاحتمال اللفظ عنده ان يكون خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى
فيها قاضي قرطبة ابي عبد الله بن الحاج بنحو من هذا وشدد القاضي
ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد على تكذيب
ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن
ثم اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد بن عيسى
ايام قضائه اتي برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب
فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل ان يكون
قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى
عن حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد عليه
ما يقوي الريبة باعتقاده ضربه بالسوط واطلقه **فصل**
الوجه الخامس الا يقصد نقصا ولا يذكر عيبا ولا سبا ولكنه

ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض احواله عليه السلام
الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او لغيره
او على التشبه به او عند هضيمة نالته او غضاضة لحقته ليس
على طريق التاسي وطريق التحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه
او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام
او قصد الهزل والتنذير بقوله كقول القائل ان قيل في الشؤم
فقد قيل في النبي او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت
فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله
ورسله او قد صبرت كما صبروا ولو العزم من الرسل او كصبر ايوب
او قد صبرني الله من عداه وحلم على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود ونحوه من اشعار المتهجنين
في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى وافته
بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان آخر البيت سديد
وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي عليه السلام وتفضيل حال
غيره عليه وكذلك قوله لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه
بديل هو مثله في الفضل الا انه لم يأته برسالة جبريل فصدر
البيت الثاني من هذا الفصل يشبه به غير النبي في فضله بالنبي عليه السلام
والبيت يحتمل لوجهين احدهما ان هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر
استغناؤه عنها وهذه اشد ونحو منه قول الآخر واذا ما رفعت
راياته خفقت بين جناحي جبريل وقول الآخر من اهل العصر
فر من الخلد واستجار بنا فصيره الله قلب رضوان وكقول حسان
المقيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ووزيره
ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضي وحسان حسان وانت محمد
الى امثال هذا وانما كثرنا بشواهدها مع استشفاء الناحكاية العربية
امثلتها ويتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضحك
واستخفافهم فادح هذا العيب وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر
وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم
لاسيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا والبسائد تسريحا ابن هانئ
الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما عن هذا

الى حد الاستخفاف والنقص وصريح الكفر وقد اجبنا عنه وغرضنا
الآن الكلام في هذا الفصل الذي سقنا امثلته فان هذه كلها
وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة والانبياء نقصا ولست
اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضا مما وقر النبوة
ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزر حظوة الكرامة
حتى شبه من شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء
منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اغلاء في وصفه لتحسين كلامه
بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره ونهى
عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه
القتل الادب والتجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله
ومقتضى قبيح ما نطق به وما لوف عادته لمثله او نذوره او قرينة
كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل المتقدمون ينكرون
مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله فان يك
باقي سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف خضيب
فقال له يا ابن اللخناء انت المستهزئ بعصى موسى وامر باخراجه
عن عسكره من ليلته وذكر القشيري ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به
او قارب قوله في محمد الامين وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم
تنازع الاحمدان الشبه فاشبهما خلقا وخلقا كما قد اشرا كان
وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف لا يدنيك من امل من رسول الله
من نضره لان من حق الرسول عليه السلام وموجب تعظيمه
وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف فالحكم في امثال هذا
ما بسطناه في طريق الفتيا وعلى هذا المنهج جاءت فتيا
امام مذهبنا مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من
رواية ابن ابي مريم عنه في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني
بالفقر فقد رعى النبي صلى الله عليه وسلم فقال مالك قد عزر
بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير موضعه ارى ان
يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان يقولوا قد اخطأ
الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا كاتبا يكون
ابوه عربيا فقال له كاتب قد كان ابو النبي صلى الله عليه وسلم كافرا

فقال

فقال جعلت هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون
ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب
والاحتساب توقيرا له وتعظيما كما امرنا الله وسئل القابسي
عن رجل قال لرجل قبيح كانه وجه نكير ولرجل عبوس كانه
وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير احد فتاني
القبر وهما ملكان فما الذي اراد وع دخل عليه حين
راءه من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة خلقه فان كان
هذا فهو شديد لانه جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد
عقوبة وليس فيه تصريح بالنسبة للملك وانما السب
واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط او السجن نكال
للسفهاء قال وانما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي
ذكره عند ما انكر من عبوس الاخر الا ان يكون المعبس له يدا فيرهب
بعبسته فيشبه القائل على طريق الذم لهذا في فعله ولزومه
في ظلمه صفة مالك الملك المطيع لربه في فعله فيقول كانه لله
يغضب غضب مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض
لمثل هذا ولو كان اثنى على العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك
لكان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة وليس في هذا ذم
للملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في شاب
معروف بالخير قال لرجل سيئا فقال له الرجل اسكت فانك
اخي فقال الشاب اليس كان النبي عليه السلام اميا فشنع
عليه مقاله وكفره واشفق الشاب مما قال واظهر الندم
عليه فقال ابو الحسن القابسي اما اطلاق الكفر عليه فخطأ
لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي عليه السلام وكون
النبي اميا انه له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة ومن
جهالته احتجاجه بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا
استغفر وتاب واعترف ولجاء الى الله فيترك لان قوله لا
ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله بالندم عليه
يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتي فيها بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه

الناس

رجل آخر بشيء فقال له انما تريد نفضي بقولك وانا بشر
وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه وسلم
فافتاه بإطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان
بعض فقهاء الاندلس افتى بقتله **فصل** الوجه السادس ان
يقول القائل ذلك حاكيا عن غيره واثرا له عن سواه فهذا ينظر
في صورة حكايته وقرينة مقالته ويختلف الحكم باختلاف ذلك
على اربعة وجوه الوجوب والندب والكراهة والتحريم فان كان
اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار والاعلام
بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا فيما ينبغي امتثاله ويحمد
فاعله وكذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له و
النقض على قائله والغنيا بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما
يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه فان كان
القائل لذلك ممن يصدى لان يوخذ عنه العلم او رواية الحديث
او يقطع بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على
سامعه الاشادة بما سمع منه والتنفير للناس عنه والشهادة
عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة المسلمين انكاره
وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين وقياما
بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يغلظ العامة او يوذي
الصبيان فان من هذه سريرته لا يوءمن على القاء ذلك في قلوبهم
فيناكد في هوءلاء الايجاب لحق النبي صلى الله عليه وسلم
ولحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه السبيل فالقيام بحق
النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه
متعين ونصرته عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مومن
لكنه اذا قام بهذا من ظهر به الحق وفصلت به القضية
وبان به الامر سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة عليه وعضد التحزب بينه وقد اجمع
السلف على بيان التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان
حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد
بن ابي زيد عن الشاهد يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه

رحمه الله صح

ان لا

ان لا يوءدي شهادته قال ان رجا نفاذ الحكم بشهادته
فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما يشهد به و
يرى الاستتابة والادب فليشهد ويبين مه ذلك واما الاباحة
لحكاية قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا
في الباب فليس التفكه بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتقحم
بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا اثرا لغير غرض شرعي بمباح واما
للاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في
كتابه على وجه الانكار لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد
عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه وكذلك
وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة
على الوجوه المتقدمة واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى
على حكاياة مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم ومجالسهم
ليبينوها للناس ويقضوا شبهها عليهم وان كان ورد
لاحمد بن حنبل انكاره لبعض هذا على الحارث بن اسد فقد صنع
احمد في مثله في رده على الجهمية والقائلين بالخلق
وهذه الوجوه الشايعة الحكاية عنها فاما ذكرها على غيرها من
حكاية سبه والازراء بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار و
الطرب واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث والسمين ومضاحك
المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل
هذا ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان
من قائله الحاكي له على غير قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم تكن
عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم يظهر على حاكيه
استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهى عن العودة اليه وان
قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة
حيث هو كان الادب اشد وقد حكي ان رجلا سال مالكا عمن يقول
القران مخلوق فقال مالك كافر فاقتلوه فقالوا انما حكيته عن غيري فقال
مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على طريق الزجر
والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه

انه اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر
استحسانه لذلك او كان مولعا بمثله والاستخفاف له او التحفظ
لمثله وطلبه ورواية اشعار هجوه وسبه عليه السلام وحكم هذا حكم
الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا ينفعه نسبته الى غيره فيبادر
بقتله ويعجل الى الهاوية امه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن
حفظ شطر بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر
بعض من الف في الاجماع اجماع المسلمين على تحريم رواية ما هجي به النبي
صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو ورحم الله
اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث المغازي
والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها يسيرة
وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليرى واتقوا الله من قائلها
واخذة المفترى عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله
قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد به من اهاجي اشعار العرب
في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم احد برواية او نشره فكيف بما يتطرق الى
عرض سيد البشر صلى الله عليه وسلم **فصل** الوجه السابع ان
يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في جوازه
عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر
ما امتحن به وصبر في ذات الله تعالى على شدته من مقاساة اعدائه
واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيرته وما لقيه من بؤس زمنه ومن
عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية ومذاكرة العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء عليهم السلام وما يجوز
عليهم فهذا فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه
غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف لا في ظاهر اللفظ
ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع
اهل العلم وفهماء طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحقق
فوايده ويجب ذلك من عساه لا يفقه او تخشى به فتنة
فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف
لما انطوت عليه من تلك القصص لضعف معرفتهن

ونقص

ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه السلام مخبرا عن نفسه
باستيجاره لرعاية الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد رعى
الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذه الاعتراضة
فيه جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة
والتحقير بل كانت عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء عليهم
السلام حكمة بالغة وتدريج لله تعالى لهم الى كرامته وتدريب
برعايتها لسياسة امميهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في
الاول ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله نعمه وعليه على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكر الذاكر لها على وجه
تعريف حاله والخبر عن مبتدائه والتعجب من منح الله قبله
وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته
وصحة دعوته اذ اظهره الله تعالى بعد هذا على صناديد العرب ومن
ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملاك
مقاليدهم واستباحة ممالك كثيرة من الامم غيرهم باظهار الله
تعالى له وتاييده بنصره وبالمومنين والف بين قلوبهم وامداده
بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه
ولهذا قال هرقل حين سال ابا سفيان عنه هل في آبائه من ملك
ثم قال ولو كان في آبائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا
اليتم من صفته واحدى علاماته في اراء الكتب المتقدمة واخبار
الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارمياء وبهذا وصفه
ابن ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذ اوصف
بانه امي كما وصفه الله تعالى به فهو مدحة له وفضيلة ثابتة
فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هي
متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم
وفضل به من ذلك كما قدمنا في القسم الاول ووجود مثل ذلك من
رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس ذلك فيه بنقيصة اذ المطلوب من
الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة موصلة

اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب
استغنى عن الواسطة والسبب والامنية في غيره نقيصة لانها
الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره
وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك
من عاداه هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية
قوة نفسه وثبات روعه وهي فيمن سواه منتهى هلكه وحتم
موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله
من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته
نفسه في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية
بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا
منها موردة وقصد بها مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك
على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصده لحق بالفصول
التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره واخبار سائر الانبياء
عليه وعليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي
امورا لا يليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا
يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم
الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من
الاحاديث الموهمة للتشبيه والتشكيك المعنى وقال ما يدعو
الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يحدث بها فقال
لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك الحديث
بها وساعدوه على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن
جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا ينكرون الكلام
فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم
عرب يفهمون كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته
ومجازه واستعارته وتبليغه وايجازه فلم تكن في حقهم مشكلة
ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلم يكاد يفهم
من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها
الى غرض الايجاز ووجيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها

اوحملها

او حملها على ظاهرها فشذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر
فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب ان لا يذكر منها
شيء في حق الله تعالى ولا حق انبيائه ولا يحدث بها ولا يتكلف الكلام
على معانيها والصواب طرحها وترك الشغل بها الا ان تذكر على
وجه التعريف بانها ضعيفة المفاد واهية الاسناد وقد انكر
الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث
ضعيفة موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين
يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه طرحها وتنبيه عن الكلام عليها
التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل ما فيها ازالة اللبس
بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى للنفس

فصل وما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم
وما لا يجوز والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على
طريق المذاكرة والتعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام
وذكر تلك الاحوال الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه
ولا يهمل وتظهر عليه علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر
ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق والارتماض والغيظ على
عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر عليه والنصرة
له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري اعماله واقواله
عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما انكره واجتنب
بشنيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب والمعصية
فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار
بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويجتنب لفظة
الكذب جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا يعلم
الا ما علم وهل يمكن ان لا يكون عنده علم من بعض الاشياء حتى
يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ وبشاعته واذا تكلم في
الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض الاوامر والنواهي وموافقة
بعض الصغائر فهو اولى واذب من قوله هل يجوز ان يعصي او
يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهو ابين حق توقيره عليه
السلام وما يجب له من تعزير واعظام صلى الله عليه وسلم

وقد رأيت بعض العلماء لم يتحفظ من هذا فصبح منه ولم استصوب
عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل ترك تحفظه
في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما يأباه ويكفر قائله واذا
كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم
وخطابهم فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه
اكد فجودة العبارة تقبح الشيء او تحسينه وتحريرها وتهذيبها
يعظم الامر او يهونه ولهذا قال صلى الله عليه وسلم ان من البيان
لسحرا فاما ما اورده على جهة النفي عنه والتنزيه له فقد جرح في
شرح العبارة وتصريحها فيه كقوله لا يجوز عليه الكذب
جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور في الحكم على حال ولكن مع هذا
يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا فكيف
عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات
شديدة عند مجرد ذكره كما قدمناه في القسم الثاني وكان
بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن حكى الله
فيها مقال عداه ومن كفر بآياته وافترى عليه الكذب فكان
يخفض بها صوته اعظاما لربه واجلالا له واشفاقا من
التشبه بمن كفر به **الباب الثاني** في حكم سابه وشانئه ومنتقصه
ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا
ما هو سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع
العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله وتخيير الامام في قتله او صلبه
على ما ذكرناه وقررنا الحجة عليه وبعد فاعلم ان مشهور مذهب
مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا
ان اظهر التوبة منه ولهذا لا تقبل عندهم توبته ولا تنفعه
استقالته ولا فيئته كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق
ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته على هذا بعد
القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه
لانه حد وجب لا تسقطه التوبة كساير الحدود وقال الشيخ
ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب منه
واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن الحذيذ

في مثله

في مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم
تزل توبته عنه القتل وكذلك قد اختلف في الزنديق اذا جاء
تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين قال من
قال من شيوخنا من قال اقتله بامراره لانه كان يقدر على ستر نفسه
فلما اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال
اقبل توبته لاني استدل على صحتها بحبسه فكانا وقفنا على باطنه
بخلاف من اسرته البينة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه وهذا
قول اصبغ ومسئلة ساب النبي صلى الله عليه وسلم اقوى لا يتصور
فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولادميه لا يسقطه التوبة كساير حقوق الادميين
والزنديق اذا تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحاق
واحمد لا تقبل توبته وعند الشافعي تقبل واختلف فيه عن
ابي حنيفة وابي يوسف وحكى ابن المنذر عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل القتل عن
مسلم بالتوبة من سبه رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه
لم ينتقل من دين الى غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو
فيه لاحد كالزنديق لانه لم ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي
ابو محمد بن نصر محبا لسقوط اعتبار توبته والفرق بينه
وبين من سب الله تعالى على مشهور القول باستتابته ان النبي
صلى الله عليه وسلم بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه
الله بنبوته والباري تعالى منزه عن جميع المعايب قطعا وليس
من جنس تلحق المعرة لجنسه وليس سبه عليه السلام كالارتداد
المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه
لغيره من الادميين فقبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه
حق مسلم لادمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده او يقذف فان
توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة
المرتد اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها
ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم لكفره لكن لمعنى

صلى الله عليه وسلم صح

يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقط التوبة
قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه يريد والله اعلم لان سبه
لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى الازراء والاستخفاف اولان
بتوبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر ظاهرا والله اعلم
بسريرته وبقي حكم السب عليه وقال ابو عمران القابسي من
سب النبي صلى الله عليه وسلم ثم ارتد عن الاسلام قتل ولم
يستتب لان السب من حقوق الادميين التي لا تسقط عن
المرتد وكلام شيوخنا هولاء مبني على القول بقتله حدا لا كفرا
وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن مسلم عن مالك
ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد صرحوا
انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم
له بحكم المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر
لما قدمناه ونحن نبسط الكلام فيه فنقول من لم يره ردة
فهو يوجب القتل فيه حدا وانما يقول ذلك مع فصلين اما
مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة وتحقيره ما عظم
الله من حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق
اذا اظهر عليه بكلمة الكفر وانكر او تاب فان قيل فكيف تثبتون
عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه
من الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر
في القتل فلا نقطع عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة
وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان ذلك كان منه وهلا ومعصية
وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات بعض احكام
الكفر على بعض الاشخاص وان لم تثبت له خصايص كقتل
تارك الصلاة واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك
في كفره في ذلك وكذلك ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه وتكفيره
ونحوه فهذا مما لا اشكال فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل
توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم كفره وامره بعد
الى الله تعالى المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم
يظهر التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهذا كافر

والتوبة عنه فنقتله حد لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم صح

بقوله

بقوله واستحلاله هتك حرمة الله وحرمة نبيه بقتل كافرا بلا خلاف
فعلى هذه التفصيلات حذ كلام العلماء ونزل مختلف عباراتهم
في الاحتجاج عليها واجراء اختلافهم في المرتد وغيرها على ترتيبها
وتتضح لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى **فصل** اذا قلنا بالاستتابة
حيث يصح فالاختلاف فيها على الاختلاف في توبة المرتد اذ لا فرق
وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب جمهور
اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم اجمعين على تصويب قول عمر
رضي الله عنه في الاستتابة ولم يذكره واحد منه وهو قول
عثمان وعلي وابن مسعود وبه قال عطاء ابن ابي رباح والنخعي
والثوري ومالك واصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد بن حنبل
واسحاق واصحاب الراي وذهب طاووس وعبيد بن عمير والحسن
في احدى الروايتين عنه انه يستتاب وقاله عبد العزيز ابن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي
عن ابي يوسف وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله
ولكن لا يدرا القتل عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي
ايضا عن عطاء ان كان ممن ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب
الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتد والمرتدة في ذلك سواء
وروي عن علي رضي الله عنه لا تقتل المرتدة وتسترق وقال عطاء
وقتادة وروي عن ابن عباس لا يقتل النساء في الردة وبه قال
ابو حنيفة قال مالك والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء
واما مدتها فمذهب الجمهور وروي عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام
يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر رضي الله عنه وهو احد قولي
الشافعي وقول احمد واسحاق واستحسنه مالك وقال لا باقا لا استظهارا
الا بخير وليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد ابن ابي زيد يريد
في الاستتابة ثلاثا وقال مالك ايضا الذي اخذ به في المرتد قول عمر
رضي الله عنه يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم فان تاب والا قتل
وقال ابو الحسن بن القصار في تاجيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا

اصحاب الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب
امراة فلم تتب فقتلها وقاله الشافعي مرة فقال ان لم يتب
مكانه قتل واستحسنه المزني وقال الزهري يدعى الى الاسلام
ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي رضي الله عنه يستتاب
شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجعت
توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات
في ثلاثة ايام او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد
عن ابن القاسم يدعى المرتد الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى
ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد او يشدد عليه ايام
الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة تجويعا
ولا تعطيشا ويوقى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف
ايام الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب
ابي الحسن الطاهري يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار
قال اصبغ واي المواضع حبس فيها من السجون مع الناس او وحده
اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا خيف ان يتلفه على
المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم سهمان الذي
ارتد اربع مرات او خمسا قال ابن وهب عن مالك يستتاب
ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم وقال
اسحاق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة
قتل دون استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من
السجن حتى يظهر عليه خشوع التوبة قال ابن المنذر لا نعلم احدا
اوجب على المرتد في المرة الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب
مالك والشافعي والكوفي **فصل** هذا حكم من ثبت عليه
ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع فيهم فاما من لم
تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد واللفيف من الناس
او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام
بقدر شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع

عنه

عنه وصورة حاله من التهمة في الدين والتبرز بالسفه والمجون
فمن قوي امره اذاقه من شديد النكال من التضييق في السجن والشد
في القيود الى الغاية التي هي منتهى طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته
ولا يقعده عن صلاته وهو حكم كل من وجب عليه القتل لكن وقف
عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به لاشكال وعايق اقتضاه امره وحالات
الشدة في نكاله تختلف بحسب اختلاف حاله وقد روى
الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة فاذا تاب نكل ولمالك
في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد فلا
عقوبة عليه وقال سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب فيمن
سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما
بالادب الموجع والتنكيل والسجن الطويل حتى تظهر توبته
وقال القابسي في مثل هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق
عايق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق من السجن ولا يستطال
سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل عليه من القيد
ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة
اخرى مثلها ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب
بالسوط والسجن كفاية للسفهاء وتعاقب عقوبة شديدة فاما
ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت من عداوتهما او جرحهما
ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما فامره اخف
لسقوط الحكم منه وكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق
به ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبرز فاسقطهما بعداوة
فهو وان لم ينفذ الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما
وللحاكم هنا في تنكيله موضع اجتهاده والله ولي الارشاد **فصل**
هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه او عرض او استخف
بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف عندنا
في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو
قول عامة الفقهاء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من
اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل ما هو عليه من الشرك اعظم

ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا على قتله بقوله
تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية
ويستدل ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف
واشباهه ولانا لم نعاهدهم ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز
لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم يعطوا عليه العهد
ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا يقتلون
لكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم
من القطع في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان
ذلك حلالا عندهم فكذلك سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم
يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف اذا ذكره
الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم
وابن سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه
المدنيين واختلفوا اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه
قتله لان الاسلام يجب ما قبله بخلاف المسلم اذا سبه ثم
تاب لانا نعلم باطنة الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهر الا مخالفة للامر ونقضا
للعهد فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال
الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف
والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف ما بدا
منه الان فلم تقبل بعد رجوعه ولا استمنا الى باطنه اذ قد
بدت سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقطها
شيء وقيل لا يسقط اسلام الذمي السابّ قتله لانه حق للنبي
صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه
كما وجب عليه من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف
واذا كنا لا نقبل توبة المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى
قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط وابن القاسم وابن
الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا صلى الله
عليه وسلم من اهل الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام

قتل

قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم في العتبية وعند محمد بن سحنون
وقال سحنون واصبغ لا يقال له اسلم ولا لا تسلم ولكن ان اسلم
فذلك له توبة وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من
سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم
او كافر قتل ولم يستتب وروى لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى ابن وهب عن ابن عمر رضي الله عنهما ان راهبا تناول
النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر فهلا قتلتموه وروى
عيسى عن ابي القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل الينا انما ارسل
اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم لان الله
تعالى اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس نبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء يقوله او نحو هذا فيقتل
قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا خير من دينكم انما
دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان لا اله الا الله ولمحمد رسول الله فقال كذبت
يعطيكم الله فعلى هذا الادب الموجع والسجن الطويل قال واما ان
شتم النبي عليه السلام شتما يعرف فانه يقتل الا ان يسلم قاله
مالك غير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله
عندي ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان
ابن سالم في اليهودي يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب
العقوبة الموجعة مع السجن الطويل وفي النوادر من رواية سحنون
عنه من شتم الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي
به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال محمد بن سحنون فان
قيل فلم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه
سبه وتكذيبه قلنا لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على
قتلنا واخذ اموالنا فاذا قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه
استحلاله فكذلك اظهاره لسب نبينا صلى الله عليه وسلم قال
سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على اقرارهم على سبه
لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سبه
منهم ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من

القتل كذلك لا يحصنه الذمة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه
ما ذكره ابن سحنون عن نفسه وعن ابيه مخالف لقول ابن
القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفر وافتاء قتله ويدل
على انه خلاف ما روي عن المدنيين في ذلك حكى ابو المصعب
الزهري قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على
محمد فاختلف علي فيه فضربته حتى قتلته او عاش يوما
وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة فاكلته الكلاب
وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال
يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد
عليه انه قال مسكين محمد يخبركم انه في الجنة فهو الان
في الجنة ماله لا يمنع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل سافيه لو قتلوه
لاستراح منه الناس قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال
ولقد كدت ان لا اتكلم فيها ثم رايت انه لا يسعني الصمت
قال ابن كنانة في المبسوط من شتم النبي صلى الله عليه وسلم
من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه بالنار وان
شاء قتله ثم حرق جثته وان شاء احرقه بالنار حيا
اذا اتهافت في سبه ولقد كتب الي مالك من مصر وذكر مسئلة
ابن القاسم المتقدمة قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل
وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله واكتب ثم يحرق
بالنار فقال انه لحقيق بذلك وما اولاه به فكتبته بيدي بين
يديه فما انكره ولا عابه ونفذت الصحيفة بذلك فقتل وحرق
وافتى عبيد الله بن يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين
بقتل نصرانية استهلت بنفي الربوبية ونبوة عيسى الله تعالى
وتكذيب محمد عليه السلام في النبوة وبقبول اسلامها ودرء
القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي
وابن الكاتب وقال ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله
تعالى ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب وحكى القاضي
ابو محمد في الذي يسب روايتين في دراء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف ويشبهه من حقوق العباد